تحفة الفالحين

شرح رياض الصالحين

كتبه الشيخ
أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

المجلد الخامس

تحفة الفالحين

شرح

رياض الصالحين

كتبه الشيخ

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

تحفة الفالحين

شرح

رياض الصالحين

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

المجلد الخامس

كتبه الشيخ

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

كتاب الأمور المنهي عنها

والمنهي منه المحرم ومنه المكروه، لكن الأصل في المنهيات الحرمة، إلا ما جاء الصارف من الحرمة إلى الكراهة، وقد يكون المنهي عنه منهي عنه لفساد فيه، أو منهي عنه لما يجر إليه من الفساد في الغير، وقد يكون المنهي عنه لما يؤدي إلى الضرر في الشخص نفسه، وقد يكون المنهي عنه لما يؤدي بالضرر إلى الغير.

فالإسلام جاء بحفظ الضروريات، التي يُعبر عنها بالخمس: حفظ الدين، ولذلك حرم الردة، حفظ العقل، ولذلك حرم المسكر، حفظ المال، ولذلك حرم السرقة، والاغتصاب ونحو ذلك، وحفظ العرض، ولذلك حرم الزنا وما في بابه، بقيت واحدة: والنفس، وحفظ النفس، ولذلك حرم القتل.

٢٥٤ - باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨] .

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إِلاَّ كَلامًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلامُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ؛ لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلامُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي العَادَةِ، والسَّلامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

الشرح:

بدأ بها في هذا الكتاب؛ لشدة الغيبة، ولوقوعها كثيرا حتى من الصلحاء، نسأل الله السلامة والعافية، تجد كثيرا من الصلحاء يتركون كثيرا من الذنوب مما شهوتها ربما أشد من شهوة الغيبة، ومع ذلك تبقى هذه المصيبة، والتعاطي لها الحقيقة أنه شهوة، ولذلك ربما يجلس الرجلان في غيبة لساعات، ما يشعران بضيق، ولا يشعران كذلك بذهاب وقت، ولا نحو ذلك.

(﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾) مثل الله عَزَّوَجَلَّ للغيبة بأكل لحم المسلم، كذلك أكل لحمه غيبة في معناه، مما دل على أنها كبيرة، كما أن لحمه محرم فكذلك غيبته محرمة.

(﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾) يدخل في معنى هذه الآية الغيبة والنميمة والكذب، والكلام بغير علم، إلى غير ذلك.

كل هذه الآيات ساقها المصنف؛ لبيان شؤم الغيبة وما في بابها على الفرد والمجتمع، في الحال وفي المآل، نسأل الله السلامة والعافية.

(والسَّلَامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ) هذه قاعدة طيبة لو سرنا عليها، لكن الواقع الضعف فيها.

١٥١١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عَلَيْهِ(١).

وهذا صَرِيحٌ في أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إِلاَّ إِذَا كَانَ الكلامُ خَيرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَى شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ فَلَا يَتَكَلَّم.

الشرح:

كيف إذا تيقن المفسدة؟ فإن الغيبة حرام، ومفسدتها في الحال والمآل، والله المستعان، إلا أن يتدارك الله العبد بتوبة.

وقلت في شرحي على الأربعين النووية:

قوله: («مَنْ كانَ يُؤْمِن باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ»): **هذا حديثٌ عظيم تضمن:** الإشارة إلى مسائل عظيمة يفعلها من كان يؤمن بالله ربًا، وكان يؤمن باليوم الآخر معادًا، فإنه يحرص كل الحرص على فعل الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات، وفي الحديث أن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ هو المقدم على كل شيء، وهو أفضل الأعمال، وقد سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»(٢).

- **ويقول الله عَزَّوَجَلَّ:** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء:١٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (١٥١٩)، ومسلم حديث رقم: (٨٣).

- **والْيَوْمِ الآخِرِ**: هو يوم القيامة وما فيه من النعيم، أو العذاب، وما فيه من الأهوال، مثل تطاير الصحف، ووضع الموازين، ونصب الصراط على النار، وقرب النار، ورؤية الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا الشرب من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأول منازل الآخرة القبر، كما في حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ»[1].

فمن كان يؤمن بالله ويراقبه سيفعل بمرضات الله عَزَّوَجَلَّ وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[2].

- **وقال تعالى**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨].

قوله: («فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»): وبدأ به لأن اللسان هو الذي يورد الناس الموارد، ففي الحديث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا مُعَاذُ أَمسِكْ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[3].

- وَفِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ أَبْعَد مِمَّا بَيْن المَشْرِق وَالمَغْرِب»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: (٣٣٤٩)، ومسلم حديث رقم: (٢٨٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦)، وأحمد حديث رقم: (٢٢٠١٦).

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٧، ٦٤٧٨)، ومسلم حديث رقم: (٢٩٨٨)، بنحوه.

- وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ»[١].

فاللسان يورد الموارد، ولرفع سبب الدرجات فالواجب على الإنسان أن لا يتكلم الا بالخير: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»[٢].

- **وكان السلف يقولون: (مَنْ عَدَّ كَلامَهُ قَلَّ زَلَلُهُ قل كلامه إلا فيما ينفعه).**

والشرور التي في اللسان كثيرة:

- **منها**: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبُهْت، والقذف، والسب، ومنها لغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وربما يكون ضررًا على صاحبه.

- **قَالَ النَّبِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»[٣]، وفي اللفظ الآخر: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً»[٤]، أي: حَسْرَة يوم القيامة.

وكم من الأحاديث الدالة على شأن اللسان حتى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[٥].

بـ(**الْفَمُ**): بالكلام، والسب، والشتم، والقذف، والغيبة، والنميمة، والكذب، وأكل الحرام.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٣١٩)، وجاء عند ابن ماجه وأحمد، وجاء بنحوه عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٥٠١)، وأحمد حديث رقم: (٦٤٨١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: (٤٨٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء عند أحمد وغيره

(٤) أخرجه أحمد حديث رقم: (٩٨٤٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٠٠٤)، وابن ماجه حديث: (٤٢٤٦).

وَ(**الْفَرْجُ**): وضعه في الحرام من الزنا واللواط والعادة السرية.

- **وقال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[1]، **يعني**: من يضمن لسانه، وفرجه يضمن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة، وذلك لعظم شأن اللسان والفرج.

- **حديث أبي سعيد عند الترمذي**: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[2].

- **وقول الخير كثير منه**: قراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس الخير، ويدخل في ذلك مؤانسة الرجل لأهله، ولأبنائه ولصاحبه، فإن ذلك من الخير، لا يجوز كسر نفس المسلم تؤانسه، بابتسامة، وبكلمة، وبرد السلام، وبغير ذلك من الخير وفي الحديث: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[3]. اهـ

١٥١٢ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أَيُّ المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفق عَلَيْهِ[4].

الشرح:

وهذا يدل على تفاضل الإسلام، وعلى كذلك زيادة الإيمان ونقصان الإيمان، وعلى أن الأذية تحصل على المسلم إما من اللسان وإما من اليد، بل ربما من القلب بسبب سوء الظن، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٤٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: (١٩٥٦)، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

١٥١٣ - وعن سهل بن سعد، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ» متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

(مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ): اللسان والفم وما إليه، الفم من أكل الحرام، واللسان من الكلام البطال، ومن الكذب، ومن البهت، ومن النميمة.

(وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ) يعني: الفرج، سواء الزنا، واللواط، أو العادة السرية، وغير ذلك، كلها داخلة، والسحاق، كله داخل، ويدخل في هذا الحديث الرجال والنساء.

ويوافق هذا الحديث: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»، الحديث، أخرجه أحمد وغيره.

١٥١٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ» متفق عَلَيْهِ(٢).

ومعنى: «يَتَبَيَّنُ» يُفَكِّرُ أَنَّها خَيْرٌ أم لا.

الشرح:

وهذا دليل على شؤم الكلام بغير حق، تهوي بك الكلمة أبعد مما بين المشرق والمغرب، بل سيأتي ربما تؤدي بك إلى سخط الله، والكلمة في الحق تؤدي بك إلى مرضاة الله، وأنت لم تلتفت إلى أثر هذه الكلمة التي هي حق، ولم تلتفت إلى أثر الكلمة الباطل، دليل على عظيم شأن الكلام حقا وباطلا.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، وانفرد به.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

١٥١٥ - وعنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلَمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وكم هي الكلمات التي نتكلم بها ونمضي عليها؟ ويذهب أحدنا للنوم ولا يُحدث حتى توبة، كلمات ربما تفسد بين رجل وزوجته، وبين أخ وأخيه، أو ربما يكون فيها نوع تألي، لا سيما أهل الصلاح قد يقع منهم نوع تألي، يقول لك: فلان سارق زاني، والله مثل هذا ما يغفر الله له، ومثل هذا ما يوفق، ومثل هذا كذا، ما أدراك يا أخي، قد يوفقه الله وقد يهديه الله، وقد يغفر الله له، وهكذا «إذا قال أحدهم: هلك الناس فهو أهلكهم».

١٥١٦ - وعن أَبي عبد الرحمان بِلالِ بن الحارِثِ المُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَومِ يَلْقَاهُ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ». رواه مالك في المُوَطَّأ، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

الشرح:

قال الراوي: كم كلمة منعني منها حديث بلال بن الحارث، يعني استفاد من هذا الحديث، وأبا أن يحدث إلا بما رأى المصلحة فيه.

---

(١) حديث رقم: (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه مالك في (الموطأ) (٢٨١٨) برواية الليثي، والترمذي (٢٣١٩).

١٥١٧ - وعن سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: «قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(١).

الشرح:

(قلْ: رَبِّيَ اللهُ): آمنت بالله، وحد الله، وليس المراد بالقول قول اللسان فقط، بل قول اللسان، واعتقاد القلب، وانقياد الجوارح.

(ثُمَّ اسْتَقِمْ) على هذا القول، هذا هو الذي يؤجر، ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [سورة فصلت:٦] .

١٥١٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي». رواه الترمذي(٢).

١٥١٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن(٣).

الشرح:

يعني: من وقاه الله شر اللسان والفم ووقاه الله شر الفرج فقد وقاه شرا كثيرا، وقربه من خير كثير، والله المستعان.

---

(١) حديث رقم: (٢٤١٠)، «قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» له شاهد في الصحيح، واللفظ الأخير يقول المحقق: صحيح، ما عدا بين القوسين.

(٢) حديث رقم: (٢٤١١)، المعنى صحيح، والحديث ضعيف، في سنده إبراهيم بن عبد الله بن الحارث بن حاطب، مجهول حال.

(٣) حديث رقم: (٢٤٠٩).

١٥٢٠ - وعن عقبة بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

كل هذه الأحاديث يدخل فيها النهي عن الغيبة بالمعنى أو باللازم، فاللسان هو سبب فساد كثير من الأمور، فعلى الإنسان أن يستقيم على أمر الله، وأن يحفظ لسانه، إلا من خير.

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ) لم يقل: اصمت، بل قال: **(أَمْسِكْ)** دليل على المبالغة في أطره ومنعه من الكلام.

(وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ) حتى لا تختلط بالناس؛ لأن من دواعي الغيبة والنميمة والكذب والبهت الاختلاط بالناس.

(وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)؛ لأن ذلك مدعاة إلى التوبة والإنابة.

١٥٢١ - وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّما نَحنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا». رواه الترمذي[2].

معنى: «تَكْفُرُ اللِّسَانَ»: أَيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

الشرح:

دليل على أن كثير من الفساد يدخل على الإنسان من اللسان، فباللسان ربما يموت الإنسان، ويصير إلى القبر.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٠٦).

(٢) حديث رقم: (٢٤٠٧).

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كان تهاب لقاءه الشجعان

وفي المثل عند العامة: لسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن زنته زانك، وإن شنته شانك، اللسان، إلى غير ذلك.

١٥٢٢ - وعن مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [سورة السجدة:١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾.

ثُمَّ قَالَ: «ألا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ الجِهادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بلَى يَا رَسولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا رسولَ الله وإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟». رواه الترمذي، وقال: (حديث حسن صحيح)، وَقَدْ سبق شرحه في باب قبل هَذَا[1].

الشرح:

قوله: (مُعَاذ) هو أبو عبد الرحمن الأنصاري.

(أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ) فيه السؤال عن أسباب دخول الجنة، وهذا هو شأن الصحابة، بخلاف كثير من أبناء هذا الزمان.

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: (٢٦١٦)، ولم يسبق ذكر الحديث ولا شرحه في هذا الكتاب، وقد ذكر الحديث في كتاب (الأذكار).

(وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ)؛ لأن أصل العمل من أجل دخول الجنة والسلامة من النار، فالنار حرها شديد وقعرها بعيد، والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فينبغي للمسلم أن يكون مبادرا إلى الجنة حاذرا من النار.

(لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ) فيه مدح الطالب إذا سأل شيخه في مسألة يستفيدها غيره، وربما استفادها هو.

(وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ) فيه أن الهداية من الله، والتوفيق من الله، فإن شاء أعانك، وإن شاء خذلك، فرب أمر سهل المنال سهل الحصول عليه ومع ذلك لا يوفق له الإنسان، ورب أمر صعب يوفق له الإنسان، ويجد فيه الراحة والاطمئنان.

(تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) أوصاه أولا بالتوحيد؛ لأنه رأس الأمر، سبب الصلاح، وسبب السعادة في الدارين، ولأنه حق الله المعظم، ولأنه الواجب المفخم، واتفقت في الدعوة إليه جميع الرسل، ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل:٣٦].

(وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) أي المفروضة، ذكرها؛ لأنها الحق الثاني بعد الشهادة، وقد كفر النبي ﷺ تاركها، كما قد تقدم مرارا.

(وتُؤْتِي الزَّكَاةَ) المفروضة.

وهذه هي الأركان الخمسة، أمره ابتداء بالأركان الخمسة، وقد تقدم الكلام عليها في مواطن متفرقة.

(ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟) يعني زيادة على الفرائض؟ وهذا من كرم النبي ﷺ، وقد ذكر ابن القيم وكذلك شيخ الإسلام: أن الكرم بالعلم أعظم أنواع الكرم، فالنبي ﷺ كان يُسأل عن المسألة فيجيب بأكثر؛ إفادة، دلالة على الخير.

(الصَّوْمُ جُنَّةٌ) جنة من العذاب، جنة من الفتن، جنة من قسوة القلب، جنة من كثير من الشرور.

(وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ) الصدقة المستحبة، أما الواجبة قد وجبت وتعينت، ولو بالشيء اليسير.

(كَما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ) وهذا تمثيل بليغ، انظر ما أسرع الماء في إطفاء النار، بينما هي نار حامية، إذا وُضع عليها الماء صارت باردة، لا أثر لها، ولا حرارة فيها، فهكذا الصدقات تطفئ الخطايا والذنوب، نسأل الله أن يعيننا على طاعته.

(وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ) لا سيما الآخر، آخر الليل، ويدخل فيها أيضا صلاة النساء، وهذا الحديث عام في الرجال والنساء، لكن ذكر النبي ﷺ الرجال على الغالب، كما يعبر عنه العلماء.

وفي هذا بركة قيام الليل، ولو بركعة، ولو بثلاث، ولو بخمس، ولو بسبع، ولو بتسع، ولو بإحدى عشرة، إن تيسر أن تقرأ كثيرا فحسن، وإن قرأت قليلا فحسن، أهم أن يكون لك عادة تتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ في آخر الليل، حين ينزل ربنا عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا.

(﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾) هذه الآية نزلت في الصلاة التي بين مغرب وعشاء، كما في حديث أنس وغيره، لكن أيضا هي دالة على قيام الليل.

(حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾): ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [سورة السجدة:١٦-١٧]، فما أبرك قيام الليل! وإن قل، والنبي ﷺ لم يتركه إلا ليلة مزدلفة.

(أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ؟) يعني إذا أردت الأمر العظيم الذي به صلاح الدنيا والآخرة، وهذا تفصيل بعد إجمال، وإيضاح بعد إيضاح؛ لمزيد

علم ومزيد عناية، علم رسول الله ﷺ من معاذ بن جبل الحرص على الخير، الحرص على العلم، الحرص على العمل.

(رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ) يعني: لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من عامل عملا مع كفره، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان:٢٣] ، فمن شروط قبول العمل: الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩] ، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣] ، **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي والذي جئت به إلا كان من أهل النار»**.

(وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ) مثل الإسلام بالبناء، ومثل الصلاة بعمود البناء، فإذا سقط العمود سقط البناء، كالخيمة فيها عدة أعمدة، من هاهنا ومن هاهنا، لكن العمود الذي في وسطها إذا سقط سقطت، وذهب الانتفاع بها.

وهذا الحديث قد يستدل به على كفر تارك الصلاة؛ لأن عمود البيت عمود السقف عمود الخيمة إذا سقط سقط البناء.

(وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ الجِهادُ) الجهاد يُعلى به دين الله، ويذل به أهل الشرك، ويقهر به المنافقون، وما زال المسلمون في عز حتى تركوا الجهاد، وتسلط عليهم أراذل الناس.

(أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟) يعني هذا مزيد عناية؛ حتى يصل الأمر إلى أحسن الحالات وإلى أكرم الهيئات.

(فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقال: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) فيه التعليم العملي كما يقال لا النظري؛ لأن هذا فيه مزيد عناية، **(كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)** ويشير إليه؛ لشدة تجاوزه.

(وإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟) هو يعلم أنهم سيؤاخذون ببعض الذنوب، لكن كأنه ظن أن لا مؤاخذة بجميعها بجميع الكلام، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله مهما نكتم من شيء يعلمه الله؟ على قول بعضهم: هي ما أرادت نفي العلم جملة،

هي تعلم أن الله بكل شيء عليم، لكن ما ظنت أن مثل هذه الأشياء يؤاخذ الإنسان عليها، أو يُنتبه لها، أو غير ذلك، هذا على القول بأنها أرادت هذا المعنى.

(وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) يعني يكبون من على الصراط كأنه، أو الكفار الذين تكون كلماتهم كفرية يتساقطون في النار تساقط الفراش، وتقاذع الفراش.

١٥٢٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِما يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا الحديث فيه تفسير الغيبة؛ لأن كثيرا من الناس إذا قلت له: اتق الله لا تغتب أخاك، قال: والله أنها فيه زيادة، صحيح أنها فيه، هذا هو الغيبة، أما إذا لم يكن فيه هذا هو الكذب، هذا هو البهت، والبهت أشد من الغيبة، الغيبة حرام، كبيرة من كبائر الذنوب، والبهت غيبة وزيادة؛ لأنه جمع بين الكبيرة الأولى وبين الكبيرة الثانية.

وفيه التعليم بوضع السؤال: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟).

(قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟) وهو الذي يقع فيه الرجال، ويقع فيه النساء، غالبا يتكلمون بما في إخوانهم.

(إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فقد اغْتَبْتَهُ) وارتكبت هذه الكبيرة العظيمة.

(وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ): كذبت عليه.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٨٩).

١٥٢٤ - وعن أَبي بَكْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى في حَجَّةِ الوَدَاعِ: «إِنَّ دِماءكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ» متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

الشاهد منه قوله: (وأَعْرَاضَكُمْ)، وقد تقدم الكلام عليه، ويدخل فيه الغيبة.

١٥٢٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قُلْتُ للنبيّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا، قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصيرَةً، فقالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»، قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسانًا وإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٢).

ومعنى: «مَزَجَتْهُ» خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِها وَقُبْحِهَا.

وهذا الحَديثُ مِنْ أَبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤].

الشرح:

ومن عظيم شأنه أنه في أمر قد لا يتفطن له الناس، انظر هذا بين ضرات، وفي أمر لا تظن فيه أنه غيبة، يعني أخبرت بما فيها من الطول أو القصر، فأخبر النبي ﷺ قال: (لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ)، هذه كلمة، كيف بالذي يعقد المجلس تلو المجلس في غيبة؟ نسأل الله السلامة والعافية، نسأل الله أن يعافينا من هذا البلاء.

(١) أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).

(مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسانًا وإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) هذا رد على أصحاب التمثيليات، والحكاية: أن تقول: فلان مثلا يمشي هكذا، وتقوم تعرج إذا كان يعرج، أو تقول: فلان يعمل هكذا، وتشير إلى صفة حاله.

١٥٢٦ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

وهذا دليل على حرمة الغيبة، وأنها من أسباب عذاب القبر، نسأل الله السلامة والعافية.

وفيه أن النبي ﷺ لا يعلم إلا ما علمه الله، ولذلك سأل جبريل عما رأى، أو كأنه سأله عن سبب هذا العذاب الذي يلحق هؤلاء، فقال: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ) أي: بالغيبة، (وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ) أي: بالكذب والبهت والنميمة، ونحو ذلك.

١٥٢٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

فكما أن قتل المسلم لا يجوز كذلك الكلام فيه لا يجوز، وكما أن أخذ ماله لا يجوز كذلك الكلام فيه لا يجوز، والنبي ﷺ جمع بين هذا؛ لأن كثيرا من الناس نسأل الله السلامة قد يقول لك: أنا ما أفعل ولا أفعل ولا أفعل، ومع ذلك هو يقع في

(١) حديث رقم: (٤٨٧٨).

(٢) حديث رقم: (٢٥٦٤).

مثل هذه الأمور التي قد تؤدي إلى غضب الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وتؤدي إلى كثير من الذنوب والمعاصي والتبعات عليه، والله المستعان.

فينبغي لنا أن نحرص كل الحرص على سلامة ألسنتنا من الوقيعة في إخواننا المسلمين، فإن ذلك كأكل لحم دمه.

وهنا تنبيه: أن من وقع في الغيبة عليه أن يتوب إلى الله، لكن اختلف العلماء في طريقة التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ من الغيبة، فقال بعضهم: يذهب ويستسمح منه؛ لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة لا المسامحة.

وقال بعضهم وهو الذي سمعناه من شيخنا وأيضا قيده ابن مفلح وغيره في (الآداب الشرعية)، قال شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تجمع بين غيبتك له وبين إدخال ضيق الصدر عليه، ولكن إن كانت الغيبة قد بلغته فاستسمح منه، وإن كانت لم تبلغه فاذكره بخير في المجالس الذي ذكرته فيها بشر، وأكثر له من الدعاء والاستغفار.

وهذا الذي يظهر، وكانت هذه الفائدة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حال تدريسه لـ(تفسير ابن كثير)، عند قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات:١٢] ، والله المستعان، وعليه التكلان.

٢٥٥ - باب تحريم سماع الغيبة، وأمر من سمع غيبةً مُحرَّمةً بِرَدِّها والإنكارِ عَلَى قائلها، فإنْ عجز أوْ لَمْ يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [سورة القصص:٥٥] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٣] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٦٨] .

الشرح:

الغيبة شرها مستطير، وإثمها عظيم، وفعلها يسير، وأمرها خطير، يمكن أن يجتمع اثنان وتمضي بهم الساعات في كلام ما يظن أن يصل ما وصل وإذا به أكوام من الخطايا والذنوب، نسأل الله السلامة والعافية.

(﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾) ومن اللغو الغيبة، تحول من المجلس الذي تقع فيه الغيبة إن لم تستطع أن تنهم.

(﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾) ومنه الغيبة، والإعراض منهم يكون إما بعدم فعلها، أو بالبعد عن مجالسها.

(﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾) السمع للمغتابين، السمع للنمامين، السمع للمزامير، السمع للباطل، والبصر: النظر إلى هذه الأصناف، والفؤاد: التلذذ، والرضا، والركون، ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [سورة الإسراء:٣٦] أي: تُسأل عن سمعك وبصرك وفؤادك.

(﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾) وهذه عامة في النهي عن مجالسة أهل البدع، والنهي عن مجالسة المغتابين والنمامين، والمزمرين، وغير ذلك من أصحاب البلايا والرزايا.

١٥٢٨ - وعن أَبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَومَ القيَامَةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

(مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ) سواء تُكلم فيه بالغيبة، أو تكلم فيه بالنميمة، أو تكلم فيه بالبهت، إلى غير ذلك.

(رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَومَ القيَامَةِ) أي: سلمه الله من عذابها، ومن حرها وسمومها، ومفهومه: أنه يكرمه بالجنة.

١٥٢٩ - وعن عِتبَانَ بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل المشهور الَّذِي تقدَّمَ في بابِ الرَّجاء قَالَ: قام النبيّ ﷺ يُصَلِّي فَقَالَ: «أَيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ولا رَسُولهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ يُريدُ بِذَلكَ وَجْهَ اللهِ؟ وإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إلهَ إلاَّ اللهُ يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ». متفق عَلَيْهِ[2].

(وَعِتْبان) بكسر العين عَلَى المشهور وحُكِيَ ضَمُّها وبعدها تاءٌ مثناة مِن فوق ثُمَّ باءٌ موحدة، و (الدُّخْشُم) بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

الشرح:

(لَا تَقُلْ ذَلِكَ) دافع عنه النبي ﷺ.

---

(١) حديث رقم: (١٩٣١).

(٢) انظر الحديث (٤١٧).

١٥٣٠ - وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصةِ تَوْبَتِهِ وَقَدْ سبق في باب التَّوبةِ. قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ جالِسٌ في القَومِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالكٍ؟» فَقَالَ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلمَةَ: يَا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(عِطْفَاهُ): جَانِبَاهُ، وهو إشارةٌ إلى إعجابِهِ بنفسِهِ.

الشرح:

والشاهد: دفاع معاذ بن جبل عن كعب بن مالك.

(١) انظر الحديث (٢١).

٢٥٦ - باب ما يباح من الغيبة

لما ذكر أن الغيبة حرام أراد أن يبين أن بعض الأشياء التي يظنها الناس غيبة ليست بغيبة، فيتفطن لذلك؛ لأن الناس في أي مسألة طرفان وسط، فبعضهم ربما يظن أن كل كلمة غيبة، فإذا قلت له: فلان مبتدع، قال: أنت تغتاب، وإذا قلت له: فلان قال كذا وكذا من الأقوال الباطلة، قال: هذه غيبة، هذا ليس صحيح، وبعضهم لا يبالي إذا وقع في الغيبة، ولذلك كان الوسط: أن يباح ما أباحه الشرع، ويحرم ما حرمه الشرع.

اعْلَمْ أَنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إِلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

الأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلَانٌ بكذا.

الثَّاني: الاسْتِعانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إِزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إِزالَةِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي أَوْ أَخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقي في الخلاصِ مِنْهُ وتَحْصيلِ حَقِّي وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأَحْوطَ والأفضَلَ أَنْ يقول: مَا تقولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ أَوْ زَوْجٍ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كذا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيِينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ المُسْلِمينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ وذلك جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوَرِ أَنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصيحَةِ.

ومنها: إِذَا رأى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيانِ حَالِهِ بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ، وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيَتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أَنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بِهَا عَلَى وَجْهِها: إِمَّا بِأَنْ لا يكونَ صَالِحًا لَهَا، وإما بِأَنْ يكونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغَفَّلًا، وَنَحوَ ذَلِكَ، فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزِيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصْلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حالِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ، وأَنْ يَسْعَى في أَنْ يَحُثَّهُ عَلَى الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

الخامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ، كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إِلاَّ أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السَّادِسُ: التعريفُ، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأَعْمَشِ، والأَعرَجِ، والأَصَمِّ، والأَعْمى، والأَحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تَعْرِيفُهُمْ بذلِكَ، وَيَحْرُمُ إِطْلاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِيصِ، ولو أمكَنَ تَعْرِيفُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أَوْلَى، فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلائِلُهَا مِنَ الأحادِيثِ الصَّحيحَةِ مشهورَةٌ.

الشرح:

هذه تلخيصة طيبة، قد لا تجدها في غير هذا الموطن.

(جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ، وذلكَ جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ) انظر إلى هذه الفائدة العظيمة، جرح أهل البدع جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة، فكلام أهل السنة في الحزبيين في الصوفيين في الرافضة في الباطنية في المفرقين لدين الله في المبتعدين عن سنة رسول الله ﷺ دائر بين الجواز والوجوب، بين الاستحباب والوجوب، فهو من باب النصيحة، ومن باب الذب عن الدين، ومن باب كذلك الجهاد، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة التوبة:٧٣]، ومعلوم أن جهاد النبي ﷺ للمنافقين بلسانه لا بسنانه.

وإذا سكت أهل السنة عن جرح المجروحين وعن تزكية من هو من المنصفين المتبعين لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيدخل في الدين ما ليس منه، ولذلك قال بعضهم ونعما قال: لولا أصحاب المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر، واتخذوها لنشر الزندقة والإلحاد، ولنشر الثورات والفساد، ولكن قيض الله عَزَّوَجَلَّ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصبرون على الناس.

بل الله المستعان تجد ربما بعض إطلاقات من بعض العلماء ويقول لك: هذا من الغيبة والنميمة، وهذا من كذا، يُبتعد عنه، غير صحيح، جرح أهل البدع ليس من الغيبة في شيء، ليس من النميمة في شيء، ليس من باب: **«اذكروا هلكاكم بخير»**، **«لا تذكروا هلكاكم إلا بخير»**، من مات على بدعة يحذر من بدعته؛ لأنه وإن مات بقيت بدعته، يتأثر بها الناس.

فوالله أن من أرجى أعمال علماء أهل السنة والجماعة لهو بيان سبيل المبطلين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٥] .

(وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيَتَفَطَّنْ لِذلِكَ) المهم حسن النية، حسن المقصد، وهذا الباب الباب الذي نتكلم فيه، لو تركناهم يذهبون إلى جامعاتهم، إلى كلياتهم، إلى مدارسهم، يرجع لك حزبيا.

وهكذا الدورات الحوثية، يذهب أحدهم ويرجع حوثيا، يذهب وهو ينتقد الحوثيين، وينتقد الرافضة، ويعرف ضلالهم، ثم مع طول المجالسة والمؤانسة والملامسة وإذا به يرجع منكرا لعذاب القبر، طاعنا في الصحابة رضوان الله عليهم، فيتفطن لهذا.

فلابد من بيان الحق، لا بد من الكلام، وإذا تُكلم في أهل البدع وقلبك يشمئز قل: يا رب عافني، اللهم عافني، وامكث أياما وأن تدعو بهذا الدعاء؛ لأن الاشمئزاز من الكلام في أهل البدع دليل على ضعف الإيمان، دليل على ضعف السلفية، دليل على ضعف العلم، دليل على ورع كاذب، دليل على مدخل من مداخل الشيطان.

يا أخي كما نتعلم الوضوء نتعلم حال الناس؛ حتى لا يلتبس علينا الشأن، وإلا كان الناس حيص بيص، والله يلحقهم الضرر العظيم.

(وأَخْذِ المَكْسِ) يعني: أخذ الضرائب، والربا، والجمارك والباطل.

(فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إِلاَّ أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ) يعني مثل واحد يشرب مخدرات، وقد عرف من حاله إنه من أصحاب المخدرات، أو واحد من أصحاب الزنا، أو من المجاهرين بالواط، أو من المجاهرين بالزور، ما تتورع في غيبته، تذكره بما فيه، هو قد جاهر أصلا بالباطل.

زاد في (شرح مسلم) وفي (كتاب الأذكار): وممن نص عليها هكذا الإمام أبو حامد الغزالي في (الأحياء)، وآخرون من العلماء، ودلائلها ظاهرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وأكثر هذه الأسباب مجمع على جواز الغيبة بها. انتهى.

كتاب (إحياء علوم الدين) من كتب الضلال، نسأل الله السلامة.

فمن ذَلِكَ:

١٥٣١ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رجلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ». متفق عَلَيْهِ[1].

احتَجَّ بِهِ البخاري في جوازِ غيبَة أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيبِ.

الشرح:

ومعنى (بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ): أنه رجل سيء، سيء الملكة، سيء القول، سيء المجالسة، لكن لما دخل ألان له الكلام، قال ﷺ: **«شر الناس من يتقي الناس شره»** بمعنى الحديث.

١٥٣٢ - وعنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلانًا وفُلانًا يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا». رواه البخاري[2].

قَالَ: قَالَ اللَّيْثُ بن سعدٍ أَحَدُ رُواة هَذَا الحديثِ: هذانِ الرجلانِ كانا من المنافِقِينَ.

الشرح:

أي ذكرهما باسميهما.

(كانا من المنافِقِينَ) أما صحابته كانوا على خير، أما نحن الآن مجتمعنا يختلف عن ذاك المجتمع، قد تجد فيه المنافق الخالص، وقد تجد فيه المؤمن الطيب، وقد تجد فيه الذي يخلط عملا صالحا وآخر سيئا.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) حديث رقم: (٦٠٦٧).

فلا يقول القائل: إنما يُستدل بهذا الحديث عن التحذير من المنافقين، أما من كان من أهل الإسلام لا يحذر منه، يحذر من أهل الباطل من كان، هذا إذا كان باطله ضارا بالمجتمع، أما رجل متستر بالمعاصي ندعو له بالعافية، وننصحه سرا.

١٥٣٣ - وعن فاطمة بنتِ قيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنَّ أَبَا الجَهْمِ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وأَمَّا أَبُو الجَهْمِ فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ». متفق عَلَيْهِ(١).

وفي رواية لمسلم: «وَأَمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّساءِ» وَهُوَ تفسير لرواية: «لا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ.

الشرح:

وهكذا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسرها بقوله: **(أَمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ)** أي ليس على إطلاقه، لكن في هذا الباب، كان قليل المال في ذلك الزمن، فلعل النبي ﷺ علم من حالها أنها لا تصبر على قليل المال، أو أنها تحتاج إلى شيء من السعة، فدلها على غير معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من النصح.

(وأَمَّا أَبُو الجَهْمِ فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ) هي قد وقع بينها بين زوجها الأول خلاف، فلعله إذا جاء الزوج الثاني يضرب أو يكثر الأسفار من عندها وهي تحتاج إلى بقائه يضر عليها.

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

١٥٣٤ - وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خرجنا مَعَ رسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عبدُ اللهِ بن أُبَيّ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَأَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بذلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عبدِ الله بن أُبَيٍّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعلَ، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رَسُولَ الله ﷺ فَوَقَعَ في نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أَنْزلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقِي: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون:١] ، ثُمَّ دعاهُمُ النبيّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

وهذا الحديث ذكره المصنف؛ لجواز ذكر أصحاب الريب عند ولي الأمر، أو عند غيره ممن يحتاج إلى أن يذكر بما فيه من الباطل، ونقل الكلام الذي صدر منهم، وأن ذلك ليس من الغيبة وليس من النميمة.

وفيه شدة حال الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ في أسفارهم، وشدة المنافقين بغضا للصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وتمالئ المنافقين على ترك الإنفاق على أهل الخير والصلاح، ظنوا أنهم بمنعهم للنفقة سيضرونهم، ما دروا أن المال مال الله، المال مال الله، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون.

وفيه أن أهل النفاق وأهل البدع يرمي أحدهم أهل السنة بما هو فيه، فلما كان الصحابة هم الأعزة والمنافقون هم أهل الذلة رمى المنافقون الصحابة بخلاف ما هم عليه من العز الذي منحهم الله إياه.

وفيه كثرة أيمان المنافقين، وكذب المنافقين.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢).

وفيه الفرج بعد الشدة، وفيه أن بعض الناس تكون سمعته أمام الناس طيبة وهو في الباطن خبيث مُخبث، فانظر كيف كذبوا زيد بن أرقم وصدقوا ابن أبي، لكن مع ذلك يأتي الله عَزَّوَجَلَّ بما يحق به الحق ويبطل به الباطل، فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون:١] .

(ثُمَّ دعاهُمُ النبيّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ) أي؛ لشدة أعراضهم، دعائهم ليستغفر لهم فأعرضوا، قال واحد منهم: والله لأن أجد الجمل حقي أحب إلي من أن يستغفر لي محمد، لا حول ولا قوة إلا بالله.

١٥٣٥ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قالت هِنْدُ امْرَأَةُ أَبِي سفْيَانَ للنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وولَدِي إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، قَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

في هذا الحديث من الفوائد: ما عليه هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الورع، فإنها أبت أن تأخذ من مال زوجها إلا بعد أن أذن لها رسول الله ﷺ، وقد أسلمت وحسن إسلامها.

ومع ذلك أبا الرافضة أن يقبلوا هذا الأمر، بل ما زالوا يتهمونها بقتل حمزة، وهي بعيدة عن هذا الأمر، فإن وحشي لم يكن عبدا لها، وإنما كان عبدا لأبناء المطعم بن عدي، وهم الذين وجهوه لقتل حمزة، ويقومون بعتقه.

(إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ) هذا هو الشاهد، تكلمت فيه، ووصفته بشدة البخل، فهذه غيبة لو لم تكن للتظلم والتشكي والفتوى.

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

(وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وولَدِي) وهذا دليل على وجوب النفقة على الأزواج وعلى الأبناء بما يكفيهم، وبما يؤدي إلى كف حاجتهم.

(إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ) أي: بدون أذنه.

(خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ) وهذا أيضا حكم وفتوى أن الرجل إذا كان ينفق على أبنائه نفقة لا تكفيهم فلزوجته أن تأخذ بغير إذنه.

وربما استُدل بهذا الحديث في باب الظَّفَر، أن من وجد ماله عند رجل أخذه منه ظلما أو وجد ما يقوم بمقام ماله أن يأخذه بغير الرجوع إليه، لكن هذه المسألة يتفطن بحيث لا يوسم بأنه سارق، فالعرض يحافظ عليه، وفي الحديث: **«ذودوا عن أعراضكم بالمال»**، فما تذهب تقول: هذا حقي، ويذهب يصيح يقول: هذا سارق، وربما ذهب بك إلى البحث، ويشهد عليك الناس أنك سارق، وتروح أنت سارق والرجل يأخذ حقه.

فالإنسان يكون من أصحاب الذكاء وأصحاب الفطنة، مسألة الظفر نعم قد قال بها بعض أهل العلم، لكن ليست على إطلاقها.

٢٥٧ - باب تحريم النميمة وهي نقل الكلام بَيْنَ الناس عَلَى جهة الإفساد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [سورة القلم:١١] .

وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨] .

الشرح:

(عَلَى جهة الإفساد) بهذا القيد، أما إذا نقل الكلام لقصد الإصلاح كما هو الحال في نقل الكلام عن الثوار، عن المفسدين، عن أصحاب الريب، عن بياعي المخدرات، عن أماكن الزنا، عن أماكن الخمر، فهذه تُنقل ويحذر منها، وليست من النميمة في شيء.

(﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾) هذا وصف لبعض المشركين.

(﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾) ومنه النميمة.

١٥٣٦ - وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وفي رواية: **«قتات»**.

وسبب هذا الحديث: أن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى رجلا وذُكر له أنه ممن يرفع الحديث إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال حذيفة: **«لا يدخل الجنة قتات، لا يدخل الجنة نمام»**، بمعنى أن من رفع الحديث إلى الأمير لقصد الإفساد ولم يكن المتكلَّم فيه ممن يستحق نقل الكلام عنه أن هذا من النميمة.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

١٥٣٧ - وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». متفق عَلَيْهِ، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري[1].

قَالَ العلماءُ معنى: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» أيْ: كَبِيرٍ في زَعْمِهِمَا، وقِيلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

الشرح:

الشاهد من الحديث: أنه كان يمشي بالنميمة، وعلى أنها كبيرة من كبائر الذنوب، وأما قوله: **(وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ)** فمحمول على أنه ليس بكبير الترك، ولكنه كبير في الفعل.

(وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ) لا يستتر من بوله يحمل على معنيين:

المعنى الأول: يبول والناس ينظرون إليه.

والمعنى الثاني: يبول في مكان صلب أو نحو ذلك ولا يبالي إذا رجع البول إلى ثوبه، أو إلى جسمه، وقد وافق هذا القول: **«كان لا يتنزه من بوله»**، فعلى الإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه.

١٥٣٨ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم[2].

(العَضْهُ): بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء عَلَى وزن الوجهِ، ورُوِي (العِضةُ) بكسر العين وفتح الضاد المعجمة عَلَى وزن العِدَة، وهي: الكذب والبُهتان، وعلى الرِّواية الأولى: العَضْهُ مصدرٌ يقال: عَضَهَهُ عَضهًا، أيْ: رماهُ بالعَضْهِ.

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) حديث رقم: (٢٦٠٦).

الشرح:

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أبو عبد الرحمن.

المهم أن النبي ﷺ يقول: **(أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟)**: الكذب والبهتان وغير ذلك، **(هي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ)**، أو كذلك العضه التي تؤدي إلى فساد وإلى تقطع الأواصر هي النميمة القالة بين الناس.

وقد ذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد، في باب السحر، مستدلا على أن النمام يفسد ما لا يفسد الساحر.

وقد ذكروا: أن رجلا أراد أن يشتري عبدا، فوجد عبدا رخيص الثمن، إلا أن سيده قال: هذا نمام، قال: سهل، لن أصدقه، فاشتراه، ثم مكث أياما، فما زال يدخل في نقل الشر حتى وصل إلى فتنة عظيمة، فقال للزوجة: إن سيدي يريد أن يتزوج عليكِ، ثم ذهب إلى الزوجة وقال له: سيدتي تعشق غيرك، ثم قال له: وما الدليل؟ قال: ستأتي بالسكين لذبحك وأنت نائم، فرجع إلى زوجة السيد فقال لها: إذا أردت أن أمنعه من الزواج فأتيني بشعرات من لحيته أعمل له شيئا يصده عن الزواج، فهي جاهلة مغفلة، أخذت السكين لقطع بعض الشعرات دون أن ينتبه، والرجل قد عمل نفسه نائما ينتظر الموت أصلا، قد خوفه منها، فلما جاءت إليه السكين في يدها قام إليها وطعنها.

فانطلق إلى أهلها فقال لهم: سيدي قتل ابنتكم، ثم جاء أهلها وقتلوا السيد، فانطلق إلى أهله، فقال: إن بني فلان قتلوا ابنكم.

المهم قضية طويلة عريضة، وقع فيها القتل والقتال وسفك الدماء بسبب هذا النمام، والله المستعان.

٢٥٨ - باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة:٢] .

وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

الشرح:

هذا رد على الجواسيس ومن في بابهم، ولما نتحدث عن الجواسيس أو نحذر من الجواسيس أو نتكلم بشيء أنا ما أقصد أحدا ممن هو من طلابي، طلابنا على السلامة، نحن نقصد جواسيس قد كفانا الله شرهم، فأحيانا أتكلم ببعض الكلام وبعض الأخوة يقول: يقصد فلان أو يقصد فلان، ما أقصد أحدا.

من قال: أني أقصد فلانا كذاب، ومن فهم أني أقصده كذاب في ظنه، إلا إذا كان مثل ذاك الذي يقول: أذن السارق تطن، أنا ما أدري، أنا ما أعلم في الغيب، أنا ما أتهم أحدا بالجاسوسية ممن هو يحضر حلقتي، الحمد لله ما عندنا ما يتجسس عليه أصلا، وأيضا عندي حسن ظن بإخواني، لكن لا يتهم أحد إلا ببينة، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

١٥٣٩ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». رواه أَبُو داود والترمذي[1].

الشرح:

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦)، وفي سنده الوليد بن أبي هشام، وزيد بن زائدة، وهما مجهولان، وقد ضعفه الألباني.

يجزئ عن هذا الحديث: **«فإنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم»**.

٢٥٩ - باب ذمِّ ذِي الوَجْهَيْن

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [سورة النساء:١٠٨] .

الشرح:

(ذي الوَجْهَيْن) يعني: الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، وفي هذا الزمان يسمونه سياسيا، وما هو من السياسة في شيء، الذي يتلون هذا متلون ليس بسياسي، يأتي عند أهل السنة يظهر أنه سني، يذهب عند أهل البدعة يظهر أنه منهم، هذا سبب للإفساد، وربما أخذ كلاما من هؤلاء وأوصله إلى أولئك، لا سيما في غير الدين، أما الدين لا نبالي بنقل الجرح والتعديل، لكن ربما نقل ما يؤدي إلى الفساد.

الشاهد من الآية: أنه يأتي عندك بوجه ويذهب عند هؤلاء بوجه، وفي قلبه غير الذي يظهر.

١٥٤٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

يقول: **(تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ)** المعادن منها الذهب، منها الفضة، منها النحاس، منها القصدير، منها الكبريت، منها ما ينفع، ومنها ما يضر، ومنها ما هو غالي الثمن،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

ومنها رخيص الثمن، فهكذا الناس، أصلا الإنسان خلقه الله عَزَّوَجَلَّ من طينة الأرض، وهو في أخلاقه في معاملاته في جميع شأنه في طيبته في خبثه على طينة الأرض، كما قال النبي ﷺ: «إن الله قبض قبضة، ثم خلق منها الإنسان، فهم على ذلك، فمنهم الطيب، والخبيث، والسهل، والحزم، والأبيض، والأسود»، ونحو ذلك.

فـ(خِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ): خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام، لكن بشرط الفقه، بشرط العمل، كان في الجاهلية معظما، كريما، شجاعا، باذلا، صدوقا، فإذا أسلم وصار عالما عاملا صار من خيار الناس، صار خيار الناس، لا ينقصه الإسلام شيئا من الخيرية.

وفيه فضل الفقه في الدين، وفضل العلم.

(وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ) أي في باب الإمارة، الذي يكره الإمارة ويتقي الإمارة ربما يكون من خير الناس إذا وُليها، ربما حرص على أدائها على الوجه الذي وُكلت إليه، بينما الحريص عليها أصلا همه الدنيا؛ لأن الإمارة كما يقولون: تكليف وليس تشريف، هذه العبارة نسمعها من كثير من السياسيين، لكنها عبارة جوفاء، لا يريدون معناها، وإلا صحيح أن الإمارة والولاية تكليف وليست بتشريف، «يا أبا ذر إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة».

فالحريص عليها أصلا ما يريدها لأمانتها، والمتقي لها تُدفع إليه، فيأخذها قهرا، ويؤديها بأمانتها.

(وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ) يعني يُعرف في وجهه، يعرف في خطابه، يعرف في معاملته.

(الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ) يُظهر لك الصداقة وهو عدو، يُظهر لك القرب وهو بعيد، يظهر لك الصدق وهو كذاب، يظهر لك الأمانة وهو خائن، يظهر لك الإحسان وهو مسيء، إلى غير ذلك.

فعلى الإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، ويراعي شأنه فيما بينه وبين الله، وهكذا في معاملته مع الناس أن يكون صادقا ظاهرا باطنا، فآية المنافق ثلاث، كما سيأتي معنا في تحريم الكذب.

١٥٤١ - وعن محمد بن زيدٍ: أَنَّ ناسًا قالوا لِجَدِّهِ عبدِ اللهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري[1].

الشرح:

المهم: أن هؤلاء يخبرون أنهم يأتون السلطان بوجه غير الوجه الحقيقي لهم، وأنهم يتزيون في كلامهم بما لا يريدونه، فقال: كنا نعد هذا نفاقا، يعني إظهار خلاف الباطن كنا نعده نفاقا، وهذا دليل على بغض الصحابة لهذا الشيء.

فعلى المسلم أن يكون بعيدا عن هذا الخلق الذميم، وهو التخلق بخلق ذو الوجهين، بخلق المتلونين، بخلق السيئين، والله المستعان.

(١) حديث رقم: (٧١٧٨)، قوله: على عهد رسول الله ﷺ ليس في البخاري، عند ابن ماجه.

٢٦٠ - باب تحريم الكذب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨] .

الشرح:

هذه الآيات ليست في صريحة في التحذير من الكذب، ولكنها في الباب.

(﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾): لا تقل ما لا علم لك به، ومنه الكذب.

وهكذا (﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾) ومنه الكذب، فالكذب صفة ذميمة، يتصف بها الكافرون وتتجلى فيهم، ويتصل في بها المنافقون وتتجلى فيهم، ويتصف بها المبتدعة، وكثير من الضالين، صفة مشتركة بين أهل الباطل، وهو التحدث بخلاف الواقع، وهي من الكبائر.

١٥٤٢ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

الشرح:

قوله: (إِنَّ الصِّدْقَ) إن الصدق في الأقوال والأفعال والمعتقدات.

(يَهْدِي إِلَى البِرِّ): إلى الخير، إلى الصلاح، إلى العز، إلى كل خير، كلمة البر كلمة عامة.

(١) انظر الحديث (٥٤).

(وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ) ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف:٧٢] .

(وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ) في قوله وفعله واعتقاده، (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا) وسمي أبو بكر الصديق؛ لكثرة تصديقه.

(وإنَّ الكَذِبَ) الكذب في الأقوال، أو في الاعتقادات، أو في الأفعال.

(يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ): مخالفة الشرع إلى الزور، يهدي معناه: يدل ويرشد أو يوصل، كلمة الهدى كلمة واسعة.

(وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ): يوصل إلى النار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [سورة عبس:٤٢] .

(وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) فيه أن الحسنة تجر إلى أخواتها، والسيئة تجر إلى أخواتها.

وهذا الحديث خطب به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داعيا إلى الصدق، ومحذرا من الكذب، وإذا كتب الإنسان من الصديقين وفق للخير، وإذا كتب من الكاذبين خذل.

١٥٤٣ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

متفق عَلَيْهِ[1].

وَقَدْ سبق بيانه مَعَ حديث أَبي هريرة بنحوه في: باب الوفاءِ بالعهدِ.

الشرح:

(١) انظر الحديث (٦٨٩).

(أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا) هذه تسمى بالنفاق العملي، لأن النفاق ينقسم إلى قسمين: نفاق اعتقادي ونفاق عملي، النفاق الاعتقادي كبر أكبر مخرج من الملة، وهو: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، ويتضمن بغض الدين، بغض النبي ﷺ، تكذيب القرآن، إلى غير ذلك، والنفاق العملي معصية من المعاصي.

ومعنى **(كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا)** أي: تمحضت فيه خصال النفاق العملي.

(إِذَا اؤْتُمِنَ خانَ) يضيع الأمانة، والله يقول: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨] .

(وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) في حديثه، وفي غير ذلك، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون:١].

(وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ): ينقض العهود والمواثيق، يغدر ويفجر، و **«لكل غادر لواء عند استه»**، وسيأتي.

(وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ): تجاوز في الخصومة، والنبي ﷺ يقول: **«أبغض الناس الألد الخصم»**.

١٥٤٤ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنافِخٍ». رواه البخاري[1].

(تَحَلم): أيْ قَالَ إنَّه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وَهُوَ كاذب.

و (الآنك) بالمدّ وضم النون وتخفيف الكاف: وَهُوَ الرَّصَاصُ المذاب.

(١) حديث رقم: (٧٠٤٢).

الشرح:

هذا فيه تحريم الكذب في النوم، يعني تقول: رأيت وما رأيت، كما أن الكذب محرم في الإخبار عن حال اليقظة فكذلك محرم في الإخبار عن حال النوم؛ لأن الرؤيا لا يتلاعب بها، **«والرؤيا من الله والحلم من الشيطان»**، فلا يجوز أن الإنسان يخبر بما لم ير ويكذب في أمر ما كان منه.

ولن يستطيع أن يعقد بين شعيرتين، إنما هذا دليل على أن هذه من الكبائر.

(وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ)

نسأل الله السلامة، ويدخل في هذا المعنى أهل التجسس ابتداء، وإن كان الكلام مباحا وغير محظور، إلا أن المسلم ما يحب أن يسمع منه الجواسيس، أو يُتسمع إلى كلامه منهم، أراد أن يطلب العلم طلب.

(وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافِخٍ) وهذا دليل على أن تصوير ذوات الأرواح في كبائر الذنوب، وأحاديثه كثيرة، نسأل الله السلامة والعافية، ومع ذلك يرتكب من كثير من الناس.

ويدخل في هذا التصوير من صور صورة فوتوغرافية، أو صورة بالفيديو، أو صورة بالرسم، أو صورة بالنحت، ومن فرَّق يعوزه الدليل، فرق بين المتماثلات.

١٥٤٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا». رواه البخاري[1].

ومعناه: يقول: رأيتُ، فيما لَمْ يَرَهُ.

الشرح:

أي في نومه.

(١) حديث رقم: (٧٠٤٣).

١٥٤٦ - وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وإِنَّهُ قَالَ لَنا ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِيَ اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وإِنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ، وإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأَوْلَى».

قَالَ: «قُلْتُ لهما: سُبْحانَ اللهِ! مَا هَذَان؟ قَالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجانبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجانبُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المَرَّةِ الأُوْلَى».

قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هذانِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ»، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ: «فإذا فِيهِ لَغَطٌ، وأَصْواتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِساءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قُلْتُ: مَا هَؤلاءِ؟ قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ»، حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كثيرةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابحُ يَسْبَحُ، مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لهُما: مَا هذانِ؟ قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، أَوْ كَأَكْرَهِ مَا أَنتَ رَاءٍ رجُلًا مَرْأًى، فإذا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟».

«قالَا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا في السَّماءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هؤلاءِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمةٍ لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ، قالا لي: ارْقَ فِيهَا، فارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنٍ ذَهَبٍ وَلَبِنٍ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاها، فَتَلَقَّانَا رِجالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أنت راءٍ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أنتَ راءٍ! قالا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا في ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كأنَّ ماءهُ المَحْضُ في البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا في أَحْسَنِ صُورَةٍ».

قَالَ: «قالا لِي: هذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنْزِلُكَ، فسَمَا بَصَري صُعُدًا، فإذا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيضاءِ، قالا لي: هذاكَ مَنْزلكَ؟ قلتُ لهما: باركَ اللهُ فيكُما، فذَراني فأدخُلَه، قالا لي: أَمَّا الآنَ فَلَا، وأنتَ دَاخِلُهُ».

«قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي رَأَيتُ مُنْذُ اللَّيْلَة عَجَبًا، فما هَذَا الَّذِي رأيتُ؟ قالا لي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بالحَجَرِ فإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرآنَ فَيَرفُضُهُ، ويَنَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكتُوبَةِ، وأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ ومِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ، وأَمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُراةُ الَّذِينَ هُمْ في مِثْلِ بناءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّواني، وأما الرجلُ الذي أتيتَ عَليهِ يَسْبَحُ في النهرِ، ويلقم الحجارةَ، فإِنَّهُ آكلُ الربا، وأَمَّا الرَّجُلُ الكَريهُ المرآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فإِنَّهُ مالكٌ خازِنُ جَهَنَّمَ، وأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي في الرَّوْضَةِ، فإِنَّهُ إبراهيم ﷺ، وأَمَّا الولدان الَّذِينَ حَوْلَهُ فكلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَى الفِطْرَةِ»، وفي رواية البَرْقانِيِّ: «وُلِدَ عَلَى الفِطْرَةِ».

فَقَالَ بعض المُسلمينَ: يَا رسولَ الله، وأولادُ المُشركينَ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وأولادُ المشركينَ، وأما القومُ الذينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبيحٌ، فإنَّهُمْ قَومٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا، تَجاوَزَ الله عنهم». رواه البخاري(١).

وفي روايةٍ لَهُ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي فأخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ»، ثُمَّ ذَكَرَهُ وقال: «فَانْطَلَقْنَا إِلَى نَقْبٍ مثلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وَأسْفَلُهُ واسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نارًا، فإذا ارْتَفَعَتِ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، وَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عراةٌ».

وفيها: «حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ» ولم يشكَّ «فِيهِ رَجُلٌ قائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وعلى شطِّ النَّهرِ رجلٌ، وبينَ يديهِ حِجارةٌ، فأقبلَ الرجلُ الذي في النَّهرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ جَعَلَ يَرْمِي في فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعْ كما كَانَ».

وفيها: «فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ».

وفيها: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يومِ القِيَامَةِ».

وَفِيهَا: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بالنَّهارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، والدَّارُ الأولَى الَّتي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤمِنِينَ، وأمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَداءِ، وأنا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحابِ، قالا: ذاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلُ مَنْزِلِي، قالا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَهُ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ».

(١) حديث رقم: (١٣٨٦).

قَوْله: «يَثلَغ رَأسَهُ» هُوَ بالثاءِ المثلثةِ والغينِ المعجمة، أيْ: يَشدَخُهُ وَيَشُقُّهُ.

قولهُ: «يَتَدَهْدَهُ» أيْ: يَتَدَحْرجُ.

و«الكَلُّوبُ» بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وَهُوَ معروف[1].

قَوْله: «فَيُشَرْشِرُ»: أيْ: يُقَطِّعُ[2].

قَوْله: «ضَوْضَوا» وَهُوَ بضادين معجمتين: أيْ صاحوا.

قَوْله: «فَيَفْغَرُ» هُوَ بالفاء والغين المعجمة، أيْ: يفتح.

قَوْله «المَرآة» هُوَ بفتح الميم، أيْ: المنظر.

قَوْله: «يَحُشُّها» هُوَ بفتح الياءِ وضم الحاء المهملة والشين المعجمة، أيْ: يوقِدُها.

قَوْله: «رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ» هُوَ بضم الميم وإسكان العين وفتح التاء وتشديد الميم، أيْ: وافية النَّباتِ طَويلَته.

قَولُهُ: «دَوْحَةٌ» وهي بفتحِ الدال وإسكان الواو وبالحاءِ المهملة: وهي الشَّجَرَةُ الكَبيرةُ.

قَوْلهُ: «المَحْضُ» هُوَ بفتح الميم وإسكان الحاء المهملة وبالضَّادِ المعجمة، وَهُوَ: اللَّبَنُ.

قَوْلهُ «فَسَمَا بَصَري» أيْ: ارْتَفَعَ.

و «صُعُدًا» بضم الصاد والعين، أيْ: مُرْتَفعًا.

وَ «الربَابَةُ» بفتح الراءِ وبالباء الموحدة مكررةً، وهي: السَّحابَة.

الشرح:

(١) هذه التي يسمونها بالزَّرَّادِية، وكانوا في الزمن الماضي يسمونها: كلبة، ينزعون بها الأضراس، وينزعون بها المسامير، ومن هذه الأشياء.

(٢) يعني: من الفم إلى القفا، ثم من الفم الآخر إلى القفا، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا حديث عظيم، يصلح أن يأتي به الخطيب في خطبة مستقلة، أو في محاضرة مستقلة، وإذا أراد أن يضيف عليه ما في بابه حديث أبي أمامة عند الحاكم، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه زيادات على ما ذُكر في هذا الحديث، مثل المرأة التي ترضع ثديها الحيات، **«قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: التي تفطم ولدها وهو يحتاج إلى لبنها»** الحديث.

وفي الباب حديث آخر، لكنه ضعيف، قد خطب به الشيخ ابن عثيمين مرة، وفيه: ورأيت ورأيت ورأيت، أهوالا شديدة، قد يكون بعضها له شواهد، لكن الحديث في الجملة ضعيف.

وفي هذا الحديث من الفوائد مع ما ظهر منه:

(هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟)؛ لأن الرؤيا من الله، إما أن تكون بشارة، وإما أن تكون نذارة، وأصدقهم رؤية أصدقهم حديثا، ومع ذلك رؤيا المؤمن تسره ولا تضره، فلا تنحرف عن الصراط المستقيم وتُشغل عن العلم والخير بسبب رؤيا، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [سورة الصافات:١٠٢] ، وهل ذبحه؟ ما ذبحه.

فالرؤى هي من البشارات، لا تغتر إذا رأيت رؤيا خلاص أنك على الزكاة، لكن ترجوا خيرها، تستبشر بها، تحمد الله عليها، لا تتطاول على الناس بسببها، وهكذا إذا رأيت رؤيا قبيحة رؤيا مخيفة انظر في نفسك إن كنت تتعاطى ما يحتاج إلى توبة إلى استغفار إلى ترك اترك، تب إلى الله، وادع الله بالثبات، وادع الله بالإخلاص.

وأحيانا الرؤيا تكون في منظرها وفي شكلها قبيحة وليست بقبيحة، ربما يرى الرجل أنه يجامع أمه، وهو إحسانه إليها، أو ربما ترى امرأة من لا يحل لها يأتيها، وهذا من إحسانه إليها.

وهكذا ربما يرى أنه يلوط، وهذا يفسر بأنه أتى أمرا من غير طريقه، ومن غير المكان السهل، أو ربما ينال خيرا من شخص من غير وجهه الشرعي، أو ربما دل على إدبار الشيء، إدبار خير، إدبار مسألة، إدبار كذا.

المهم هناك تفاسير لكل رؤيا، لا بد أن يُنظر إلى حال الرأي، وإلى زمن الرائي، الزمن له دور أيضا في التأويل؛ لأن بعض الأزمان تكثر فيها التهاويل والتخيلات والأحلام.

ثم أيضا لا بد أن تحقق الرؤيا من غير الرؤيا، أحيانا الرؤيا رمز يسير في ليلة كاملة، فيأتي صاحبنا يريد يفسر الجميع، فتختلط عليه، وأحيانا ترى رؤيا جميلة وفيها موطن قبيح.

وإن ترى الطنبور وسط المسجد فأول المسجد واترك الردي

فباب الرؤيا باب واسع، ينبغي ألا يتصدر له إلا من يحسنه، لا يجوز أن كل واحد يقول: أنا أفسر، فالرؤيا بشارة للمؤمن ونذارة للمؤمن، والله المستعان.

ومما يدل حرص النبي ﷺ على السؤال عنها، يسأل: **(هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟)** ونحن والله نقصر في هذا الباب لأمور:

الأمر الأول: أن كثيرا من الرؤى عبارة عن حديث نفس وتهاويل، وأمور لا فائدة فيها.

الأمر الثاني: أن بعض الإخوة هداه الله ربما يجعل الرؤيا كأنها واقعة، لو رأى واحدا من إخوانه مخزنا – يأكل القات – في المنام يبكر يهجره، يقول: هذا دليل على أنه منحرف، أو من هذا الكلام، ربما يا أخي يكون مريضا، ربما يخزن له علما، ربما كذا كذا، أشياء كثيرة، هي عبارة عن رموز، ربما يتكلم بكلام ما هو طيب، المهم.

أو يرى صاحبه لابس بنطالا، قال: هذا منحرف، يا أخي قد يكون مسكين في ضيقه، أو رأى حالق لحية ومستقيم، قد يمر بضيقة؛ لأن طول الشعر وقصر الشعر يفسر بالراحة أو بالضيقة، وهكذا سعة اللباس وضيق اللباس، ومن هذه الأمور.

فينبغي أن الإنسان يكون فطنا، وإذا رأى أن الرؤى تشغله وتكثر عليه وتسبب له كذا لا يبالي بها، ينفث عن يساره ثلاثا، ويستعذ بالله من شرها، ولا يخبر بها أحدا، فإنها لا تضره.

(إِنَّهُ أَتَانِيَ اللَّيْلَةَ آتِيَانِ) أي: ملكان، جبرائيل وميكائيل كما سيأتي في آخر الرواية، والنبي ﷺ رؤياه وحي.

(وإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ) هذا في الحياة البرزخية، هذا دليل على الحياة البرزخية، ويُستدل به على مسائل عذاب القبر، والنعيم في القبر، وعلى إثبات أن النار موجودة الآن، وعلى إثبات أن الجنة موجودة الآن.

(وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ) يعني: يعذبه بصخرة، يشدخ رأسه حتى يكون مثل الخبزة، ثم يذهب الحجر، فيعيدها وقد عاد رأسه كما كان، فيوافيه.

(قلت: من هذا؟ قال: الذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكتُوبَةِ) لا سيما صلاة الفجر، أو الذي يحفظ القرآن ويرفضه، لا يعمل به، ولا يعتقد ما فيه، ولا يدعو إليه، نسأل الله السلامة والعافية.

(قلت: سبحان الله) يقال عند التعجب.

(قَالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ) فيه أنه لا يتعين الإجابة، وتؤخر عن وقتها، وليس هذا من كتم العلم.

(فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ) هذا إنما هو مثال، وإلا قد يكون هذا النائم امرأة، المرأة التي تنام عن الصلاة المكتوبة أو التي ترفض القرآن ينالها نفس هذا العقاب، هذا ليس مخصوصا بالرجال، وهكذا رجل مستلق على قفاه.

(فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ) هذا يدخل فيه الرجال والنساء، وربما تجد المرأة داخلة فيه دخولا أكثر، ومن أكثر الناس دخولا فيه في هذا الزمن الصحفيون، يدخلون فيه دخولا أوليا إلا من رحم الله، فهم يكذبون الكذبة تبلغ الآفاق.

هذا كان قبل أيام نقول: بأنهم هم فقط، أما الآن يدخل فيه أصحاب الواتسابات، وأصحاب وسائل التواصل الاجتماعي، ربما يعطي كذبة وبضغطة زر يرسلها إلى ألف واحد، وهؤلاء يرسلونها إلى كذا كذا، وهؤلاء يرسلونها إلى كذا كذا، فكذبة تبلغ الآفاق، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا هو الذي ساق المصنف الحديث من أجله: شؤم الكذب، وجرم الكذب، وأنه من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، لا تكذب لإضحاك الناس، لا تكذب لتنتصر على خصمك، لا تكذب بدعوى أنك تنشر الحق، العلماء ردوا أحاديث الكذابين، أحاديث الوضاعين، فدين الله عَزَّوَجَلَّ ينصر بالحق، يُنصر بالصدق، ينصر بالبعد عن الكذب.

فالكذب كما تقدم **«يهدي إلى الفجور»**، ما يهدي إلى الخير، كيف تكذب وترجو أن تنتصر بالكذب؟ المثل العامي يقول: من تصبح بكذبة ما تعشى بها، ربما تكذب الصباح ما يأتي المساء إلا وقد فُضحت على رؤوس الأشهاد.

مرة من المرات كنا في المدرسة طلابا، وواحد وجد ورقة من التقويم، هل هذه القدس والأسرى كذا وفيها عمرُ، المهم بكر الصباح وقال: عندي قصيدة أريد أن ألقيها في المدرسة، وكنت أنا المشرف حق إذاعة المدرسة، المهم قدمناه، قام أعطى

القصيدة، فرحنا، وتصفيق، والمدير والأساتذة، يعني قصيدة عظيمة، يحتاج أن ننشرها بين الناس، وتُعمم على المدارس.

المهم يا أخي من أين هذه القصيدة؟ قال: والله هذه القصيدة أمس كنت في مكاني الحالي، كنت مخزنا، وجاءني الهاجس وكتبتها، خلاص الناس كلهم أخذوها على أنها منه، المهم بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام وإذا بالطلاب كل واحد يبكر وفي يده ورقة التقويم، حتى الذي ما ينتبه بالتقويم ذلك اليوم أوصلها، المهم يعني فضيحة.

فالشاهد الذي يتغدى بكذبة ما يتعشى بها، مع ما فيه من الوعيد، ومع ما فيه من الشدة، وسبحان الله الكذب يجعلك في ريبة، تجلس خائفا لا تفضح، بينما إذا أنت صريح ما تخاف، من ماذا تخاف؟ لكن الكذاب يبقى خائف لا يظهر أنه كذاب.

والعجيب أنه يُفضح أنه كذاب ولا يبالي، انظر إلى المنافقين يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٤] ، ومع ذلك يكذبون ويحلفون، والله عَزَّوَجَلَّ قد فضحهم.

فعلينا أن نتخلص من هذه الفعلة إن كانت في أحدنا، لا تكذب حتى على طفلك، لا تقل له: سأعطيك وما تعطيه، لا تكذب حتى على حمارك، بعض السلف أنكر على بعضهم حيث رآه يعمل للحمار هكذا حتى جاء الحمار، قال له: ماذا كنت تريد أن تعطيه؟ قال: ما أريد شيئا، قال: ما أسمع منك الحديث، كذبت على حمار لا تؤمن أن تكذب على رسول الله ﷺ.

فمسألة الكذب مسألة خطيرة، لكن كثير من الناس الله يهديه ما يبالي بمثل هذه الأشياء، المهم أن هذا حديث عظيم، وألفاظه جميلة وجليلة، ومفهومة.

فيه أيضا: خطورة أكل الربا، فيه خطورة الزنا، فيه كذلك بيان عظيم شأن الجنة، فيه كذلك أن نعيم القبر يستمر بالمؤمن إلى قيام الساعة، وعذاب القبر قد يستمر

بالمجرم إلى قيام الساعة، نسأل الله السلامة والعافية، فعذاب القمر منه ما هو مستمر، ومنه ما هو منقطع، على قدر الأعمال.

وفيه أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله.

وفيه الإخبار بالرؤيا الصالحة والاستبشار بها.

وفيه أن الجنة في السماء.

وفيه أن أولاد المشركين الصحيح أنهم في الجنة؛ لهذا النص: وأولاد المشركين؟ وهذا في البخاري، قال: **«وأولاد المشركين»**.

وفيه أن من خلط عملا صالحا وآخر سيئا على خطر إن لم يتداركه الله عَزَّوَجَلَّ برحمة وتجاوز.

وفيه أن دار الشهداء أعلى من دار غيرهم، وأن منزلتهم أزكى من منزلة غيرهم، إلا من كان أفضل منهم.

وفيه أن من دخل الجنة ينعم لا يبأس، ويتغير حاله، بمجرد أن يدخلوا في النهر تتغير صورهم ويحسن حالهم.

وفيه فرح المؤمن بما أعد الله له، فالنبي ﷺ حين أُخبر بقصره ومنزله في الجنة أراد أن يدخله.

وفيه أن الجزاء من جنس العمل، لما كان الكذب يخرج من الفم؛ كان العذاب في الفم وما إليه، لما كان الذي يثقل الإنسان عن الصلاة النوم يعني ثقل الرأس ونحو ذلك؛ يُشدخ في رأسه، لما كان الزاني والزناة يتنعمون بجميع أجسامهم يوضعون في مثل التنور تأتيهم النار من جميع جهاتهم، ولما كانوا قد يريدون التوبة ثم يعودون إلى المعصية؛ يكاد يخرج من التنور ويرجع إليه.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) نحو هذا الكلام: لما كانوا يتذبذبون ويترددون في مسألة التوبة يُبتلى أحدهم يرفع حتى يكاد يخرج من مثل التنور هذا، ثم يعود إلى أسفله، نسأل الله السلامة والعافية.

وفيه أن آكل الربا لا يفرح به، الآن يفرح بدنانير أو دراهم تزيد في رصيده، ويعذب في قبره بحجرة، يسبح في نهر من دم، وكلما أراد أن يخرج تأتيه حجرة تدخل في فيه، نسأل الله السلامة والعافية، تصور هذه الحجرة عند أن تدخل في فيه تكسر أسنانه، تقطع شفته، ربما دخلت إلى حلقه، وسببت له الأضرار الكثيرة، ولا يزال يُفعل به ذلك حتى تقوم الساعة، نسأل الله السلامة والعافية.

إلى هنا نكتفي بهذه التعليقة المختصرة، وإلا فهذا الحديث حقه أكثر من هذا، والله المستعان، وعليه التكلان، والحمد لله.

٢٦١ - باب بيان ما يجوز من الكذب

اعلَمْ أنَّ الكَذِبَ، وإنْ كَانَ أصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ في بَعْضِ الأحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أوْضَحْتُهَا في كتاب (الأَذْكَارِ)[١]، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَى المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إِلاَّ بالكَذِبِ جازَ الكَذِبُ، ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الكَذِبُ مُبَاحًا، وإنْ كَانَ وَاجِبًا كَانَ الكَذِبُ وَاجِبًا.

فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفى مالَه وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ وَجَبَ الكَذِبُ بإخْفَائِه، وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ وأراد ظالمٌ أخذها وجبَ الكذبُ بإخفائها.

وَالأحْوَطُ في هَذَا كُلِّهِ أن يُوَرِّيَ، ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحيحًا لَيْسَ هُوَ كَاذِبًا بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وإنْ كَانَ كَاذِبًا في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأَطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ في هَذَا الحَالِ.

وَاسْتَدَل العُلَمَاءُ بِجَوازِ الكَذِبِ في هَذَا الحَالِ بِحَديثِ أُمِّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سمعتْ رسُولَ الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». متفق عَلَيْهِ[٢].

زاد مسلم في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُومٍ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلاَّ في ثَلَاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، والإصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَديثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا[٣].

---

(١) (٥١٥ - ٥١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٣) هذا ضعيف، هذا الأخير ضعيف لا يثبت إلى النبي ﷺ، قال: وقد أعل هذه الزيادة بأنها مدرجة من كلام الزهري جماعة من الحفاظ، منهم الخطيب في (الفصل الواصل المدرج)، والدارقطني، والنسائي، وموسى بن هارون، والحافظ ابن حجر، والألباني، رحمة الله عليهم جميعا. أفاده المحقق.

الشرح:

الصحيح التفصيل: لا يكذب إلا لضرورة وإكراه وإلجاء، هذا أيضا إذا لم يجد معاريض، أما إذا وجد معاريض ففي المعاريض مندوحة على الكذب، ولا يتوسع في هذا الباب، الكذب حرام، ومذمة ونقيصة، وكبيرة من كبائر الذنوب، ولكن كان أن الميتة محرمة إذا وجد مثل هذا الحال لو دللته على ذاك الإنسان قتله ما يجوز تدله وتقول: أنا صادق.

مع أن بعض المتقدمين كان قد رُزق الصدق، وأغروا به الحجاج، كان الحجاج يبحث عن ولده لقتله، فقالوا للحجاج: فلان لا يكذب، وقالوا في أنفسهم: اليوم نرى أنه يكذب أو لا يكذب، فجاء إليك قال: أين ولدك؟ قال: في الدار، فعند ذلك عفا الحجاج عن ولده، مع أنه كان بطاشا جبارا.

(لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا) هذا يأتي بمعاريض، كيف المعارض هنا؟ كأن يقول: يا أخي أنتم أخوة، ما بينكم شيء، والله أنه يحب لك الخير، يعني بمعنى أن المسلم يحب لأخيه الخير في الجملة، وأنتم كذا، كلام طيب، كلام طيب في الجملة، ليس معنا يذهب يقول له بكلام هو كذب في نفس الأمر، قد ترجع إلى الأول يقول لك: والله أنه كذاب، ما قلت هذا الكلام.

٢٦٢ - باب الحثّ على التثبت فيما يقوله ويحكيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨] .

الشرح:

فتثبَّت، « كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، ولا تقل: أنا ما آثم، قد تأثم، لا سيما في الأمور التي ظاهرها الكذب وتحدث بها.

١٥٤٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

لأن كل ما تسمع: منه الكذب، منه البهت، منه الصدق، منه المقلوب على وضعه.

١٥٤٨ - وعن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ». رواه مسلم(٢).

١٥٤٩ - وعن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ امْرأةً قالت: يَا رسولَ الله إنَّ لِي ضَرَّةً فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». متفق عَلَيْهِ(٣).

وَ (المُتَشَبِّعُ): هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الشِّبَعَ وَلَيْسَ بِشَبْعَان. ومعناهُ هُنَا: أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَضِيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلَةً.

---

(١) حديث رقم: (٥)، في مقدمة صحيحه.

(٢) في مقدمة صحيحه (١/ ٧)، وجاء عن المغيرة، وفي سنده ضعف، من طريق ميمون بن أبي شبيب.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠).

(وَلابِسُ ثَوْبَيْ زُورٍ) أَيْ: ذِي زُورٍ، وَهُوَ الَّذِي يُزَوِّرُ عَلَى النَّاسِ، بِأَنْ يَتَزَيَّى بِزِيِّ أَهْلِ الزُّهْدِ أَوِ العِلْمِ أَوِ الثَّرْوَةِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ وَلَيْسَ هُوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ واللهُ أَعْلَمُ.

الشرح:

إذا كان هذا في شأن امرأة مع زوجها تذهب وتقول: أعطاني وأعطاني كذابة، سماه زورا، فكيف بغيره؟

وهذا حديث عام، المتشبع بما لم يعط من العلم، المتشبع بما لم يعط من الفصاحة، المتشبع بما لم يعط من المال، المتشبع بما لم يعط من الجاه، المتشبع بما لم يعط في أي باب من الأبواب، يدخل في هذا الوعيد، **(كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ)**.

كان بعض الصوفية في الزمن المتقدم أصحاب الخرق يذهب يفصل له ثوبا مخرقا من أول يوم، يعني خرقة حمراء، وخرقة بيضاء، وخرقة سوداء، ويعطي المخيط يخيطها له، ويلبسها، فالذي يراه يظن أنه من الزهاد من الورعين، وهو يتعمد ذلك ويتقصد ذلك، هذا مع أنه مبتدع في هذا اللباس من أصحاب الزور.

بل لم يكتفوا بهذا حتى قالوا: افتخروا علينا بعلم الورق ونحن نفتخر عليهم بعلم الخرق، بل لم يكتفوا بهذا حتى نسبوا الخرقة إلى النبي ﷺ، وأصبح كثير منهم يأخذها بالسند المتصل، من أين لهم سند متصل؟ السند المتصل إلى البخاري، إلى مسلم، إلى أبي داود، إلى الترمذي، إلى النسائي، إلى كتب أهل العلم التي توصلك إلى النبي ﷺ.

أما لبس الخرقة ما عُلم أن النبي ﷺ كان يتخذ خرقة يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بلبسها، لبس النبي ﷺ حلة حمراء، لبس النبي ﷺ الثوب الأبيض، لبس النبي ﷺ جبة شامية، لبس النبي ﷺ إزارا ورداء، ما جاء في شيء من الآثار أنه لبس الخرقة.

الحمد لله التصوف بالنسبة لنا في اليمن هنا شبه خامد، ما نقول: خامد، شبه خامد، لكن في بعض البلدان ما زال مسيطرًا عليها، نعوذ بالله، والله في بعض البلدان أخبرونا: أن قبل زف المرأة إلى زوجها يبدؤون بها إلى الحبيب، وتدخل إلى ذلك الحبيب وزوجها يعلم ماذا يريد منها، وماذا سيفعل بها، وما تُزف إلى زوجها إلا وقد فقدت شرفها وعذريتها، هذا أمر معلوم من بعض غلاة التيجانية ومن إليهم، نسأل الله السلامة والعافية، وهكذا القادرية، فرقة سيئة إلى أبعد الحدود.

ونحن عندنا في اليمن ابن حفيظ هذا، وكذلك علي الجفري، قطع الله دابرهما، يريدان إعادة الناس إلى المذاهب الهدامة في التصوف، نسأل الله السلامة والعافية، وتبذل لهم الأموال الكثيرة، وعندهم الجنسيات الوفيرة، وتفتح لهم المطارات.

وهذا كله من تحت الكفار؛ لأن المخابرات الفرنسية في الزمن الماضي أيام الاستعمار عملوا تقريرا على أن مذهب الصوفية هو المذهب الذي يعين على استعمارهم، بل يذكر بعض الكتاب في الجزائر: أن كثيرا من الأضرحة التي يتعبد الصوفية فيها في الأصل بناها المستعمرون الفرنسيون من أجل إشغال الناس عن الجهاد.

بل عبد القادر الجزائري المشهور أنه كان يقاتل الفرنسيين أرسلوا إليه بعض الصوفية، وحرفوه من الجهاد، حتى ذهب يموت عند ابن عربي الطائي في دمشق، استردوا رفاته قبل سنتين أو ثلاث، يذهب يموت عند صوفي حلولي.

وهكذا نابليون بونابرت يذكرون عنه لما غزا مصر في سنة من السنوات تخلف الصوفية عن إقامة الموالد، قال: ما شأنكم ما تقيمون المولد حق النبي ﷺ؟ قالوا: أيها الأمير، وكذا، اعتذروا بقلة المال وكذا، أعطاهم ما أدري كم من الدنانير الفرنسي، ذاك الدينار الفرنسي الذي تعرفونه، كنا نسميه ريال فرنسي، أدركناه، كثير

من الناس يعرفونه، كان له قيمة، قال: أحيوا الموالد، ماذا يحيون يحيون سنة النبي ﷺ؟ يُميتون سنة النبي ﷺ، وبذلك يفرحون.

هؤلاء متشبعون بالزور، هؤلاء متشبعون بالفجور، فعلينا أن نحذرهم ونحذر منهم، إنما إذا قويت السنة أنت تلاحظ هؤلاء أنهم أهل سكينة، كذب، والله لو تمكنوا منك أيها السنة لاستباحوا دمك.

٢٦٣ - باب بيان غلظ تحريم شهادة الزُّور

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [سورة الحج:٣٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق:١٨] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر:١٤] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [سورة الفرقان:٧٢] .

الشرح:

(﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾) وفعل الزور، ومكان الزور، فالدراسة عند أهل البدع دراسة عند أهل الزور، وحضور دورات أهل البدع وندوات أهل البدع من شهود الزور، وهكذا حضور أماكن الغناء والرقص والطرب من شهادة الزور، وكذلك حضور الملاعب التي يقام فيها كأس العالم وما إليها من الملاعب من شهادة الزور، وهكذا أماكن الترفيه التي فيها الأغاني والتصوير والاختلاط.

كل هذا من الزور، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [سورة الحج:٣٠] ، فمن حضر هذه الأماكن فهو من أصحاب الزور، مرتكب كبيرة من الكبائر الذنوب، ألا وهذا الزور.

(﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾) يعني هذه آيات وعيد عامة، في التحذير من الكذب، في التحذير من الغيبة، في التحذير من النميمة، في التحذير من قول الزور.

(﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾) وهذه آية عامة في كل مخالف للكتابة والسنة، يخشى عليه من بطش الله وغضبه وانتقامه.

(﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾) لا يشهدون الزور بأقوالهم، ولا يشهدون الزور بأفعالهم.

١٥٥٠ - وعن أَبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْراكُ باللهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ألا وَقَولُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أبو بكرة هو نفيع بن الحارث، سمي بأبي بكرة؛ لأنه تدلى من الحصن حين هاجر في بكرة.

(أَلَا أُنَبِّئُكُمْ): أخبركم.

(بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ) دليل على أن الكبائر تتفاوت، فمنها كبير وأكبر، كما أن الذنوب تتفاوت منها صغير وكبير.

(الإِشْراكُ باللهِ) وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان:١٣] ، من لقي الله مشركا شركا أكبر لا يدخل الجنة، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة:٧٢] .

(وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ): عقوق الأب والأب ومن في أمثالهم كالأجداد والجدات، فعلى الإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في أبويه، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، كيف بضرب الوالدين؟ كيف بإهانتهما؟ كيف بإخراجهما من بيوتهما؟ هذه معصية صارت منتشرة، نسأل الله السلامة والعافية، عقوق الوالدين، وقد تكلمنا عليه في أول الكتاب.

---

(١) انظر الحديث (٣٣٦).

(وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ) يعني؛ لشدة ما سيأتي ويقوله.

(ألا وَقَولُ الزُّورِ) يعني: القول المخالف للكتاب والسنة، للحق، هذا كله زور.

(أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ): حضور أماكن الزور، فالحديث تضمن النهي عن قول الزور، وعن حضور أماكن الزور، وعن شهادة الزور عند الحكام والقضاة لتحليل الحرام أو تحريم الحلال، أو كذلك إيقاع البريء في التهمه.

(فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ)؛ لغلظها ولشدتها.

٢٦٤ - باب تحريم لعن إنسان بعينه أَوْ دابة

١٥٥١ - عن أَبي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أصحاب بيعة الرضوان هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، **«ولا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»**، وكانوا ألفا وأربعمائة وقليل.

(مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ) كأن يقول: هو يهودي، هو نصراني، أو هو مجوسي، أو بوذي، أو هندوسي، أو حتى يقول: هو رافضي، أو نحو ذلك.

(فَهُوَ كَمَا قَالَ) إن كان معتقدا لدينهم منكرا لدين الإسلام، وإلا فهذا على الوعيد، لا بد أن يقال فيه هكذا.

(وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ) كما قال النبي ﷺ: **«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل لنفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سُمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»**.

(وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ) يعني ما تأتي تقول: أنا نذرت بهذا الكتاب لله والكتاب لغيرك، أو تقول: هذا الثوب أنا نذرته لله وهو لغيرك، لا يجوز، إنما الإنسان يتحكم في ماله، ويتصرف في ماله، صدقة، أو هبة، أو نذرا، على الوجه الشرعي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

(وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ) هذا دليل على أن لعن المؤمن عظيمة من عظائم الذنوب، وكبيرة من كبائر الآثام، إذ جعله النبي ﷺ كالقتل، وقتل المؤمن عظيمة، نسأل الله السلامة والعافية.

إلا أنه قد ثبت على النبي ﷺ لعن بعض المستحقين للعن، وهكذا ثبت عن بعض السلف لعن لبعضهم، والنبي ﷺ لما كان دعاؤه مستجابا قال: **«اللهم أيما عبد لعنته سببته وليس لها أهل فاجعلها له زكاة ورحمة»**، مفهومه: أنه إذا لعن أحدا وهو لها أهل أن اللعنة تقع عليه.

فهذه المسألة ليس على إطلاقها أنه لا يجوز لعن المعين مطلقا، لا سيما الحي، أما لعن المعين الميت إن كان كافرا فلا محظور فيه عند الجميع، لكن إن كان حيا بعضهم ربما يتحرج، قد لعن السلف أبا حنيفة، وكذلك لعنوا حفص، فرد، ولعنوا كذلك بشر المريسي، ولعنوا غير واحد من المحدثين والمخالفين لدين رب العالمين.

وفي حديث عائشة: دخل رجلان على النبي ﷺ فسبهما ولعنهما، وقد تكلمت على هذه المسألة بتوسع في كتابي (فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب)، من أراد أن يراجعها.

مع أن الإنسان لا يكثر من اللعن، لا يبقى لعانا، **«لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»** كما سيأتي.

١٥٥٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا». رواه مسلم(١).

الشرح:

انظر إلى لفظ هذا الحديث، لم يقل: يكن يلعن، (لعانا)، صيغة مبالغة، أي أنه يتعود هذه الفعلة، لكن إن كان الإنسان مستحقا للعن أحدث حدثا عظيما لك أن تقول: يلعنه الله، والله عَزَّوَجَلَّ إن شاء استجابها وإن شاء لم يستجبها، وإن كان مسلما اللعن يكون في حقه طردا مؤقتا، وليس طردا كليا.

١٥٥٣ - وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

أبو الدرداء: عويمر.

أيضا هذا (اللَّعَانُونَ)، لم يقل: لا يكون من لعن؛ لأن اللعن قد يُحتاج إليه في بعض مواطن، لكن الإكثار من ذلك، يلعن دابته، يلعن ولده، يلعن زوجته، يلعن ذلك، يلعن الجميع، هذا خرج عن الطور، خرج عن الاعتدال.

(وَلَا شُهَدَاءَ)؛ لأن الشفعاء والشهداء هم أهل الرحمة، أهل الرفق، أهل التؤدة، وهذا الذي يكثر اللعن ما يكون من هذا الصنف، كما أن الجزاء من جنس العمل، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن:٦٠] ، والجزاء من جنس العمل، فمن كان رفيقا بالناس في الدنيا؛ وُفق للشفاعة فيهم يوم القيامة، والشهادة عليهم، ومن كان شديدا مخالفا للشرع فيهم لا يكون كذلك.

(١) حديث رقم: (٢٥٩٧).

(٢) حديث رقم: (٢٥٩٨).

١٥٥٤ - وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

الشرح:

يعني لا تبقى: الله يلعنك يا فلان، لعنك الله يا فلان، أو: عليك غضب الله يا فلان، أو يا فلانة، هذا يُترك، المؤمن يدعى له بالهداية، يدعى له بالرحمة، يدعى له بالتوفيق.

(وَلَا بِالنَّارِ) كأن تقول: الله يدخلك النار، الله يعذبك بالنار، الله يحركك بالنار، هذا ما يصلح، على المسلم أن يكون رحيما بالمسلمين، مستغفرا لهم، داعيا لهم.

١٥٥٥ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

الشرح:

(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ) كامل الإيمان (بالطَّعَّانِ) في أعراض الناس بالباطل، (وَلَا اللَّعَّانِ) بالباطل، (وَلَا الفَاحِشِ): المتكلم بالفحش بالباطل، (وَلَا البَذِيِّ) هذا كله من تمام ما يجب على المسلم أن يكون عليه من تمام الأخلاق وكمالها، والنبي ﷺ يقول: «إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش».

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦).

(٢) حديث رقم: (١٩٧٧).

١٥٥٦ - وعن أَبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُهَا دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمينًا وَشِمالًا، فَإِذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذلِكَ، وإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

نسأل الله السلامة والعافية، هذا وعيد عظيم، إذا لُعن من لا يستحق اللعن رجعت اللعنة على اللاعن، كما أن الداعي لغيره بالخير الملك يقول: آمين ولك بمثل كذلك اللاعن لغيره وليس بمستحق للعن عادت اللعنة إليه، فهذا يجعلك تكون متورعا من اللعن؛ حتى لا تلعن نفسك وأنت لا تشعر.

(إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا) حتى الدابة، الحيوان البهيم، وهكذا، بعضهم يلعن نفسه، بعضهم يلعن سيارته، بعضهم يلعن ولده، وهكذا مستمر في اللعن.

(فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُهَا دُونَها)؛ لشدتها، يعني ترد حتى لا تستجاب.

(رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ) يعني: الملعون الذي دُعي عليه باللعنة.

١٥٥٧ - وعن عمران بن الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ».

قَالَ عِمْرانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ. رواه مسلم[2].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٤٩٠٥).

(٢) حديث رقم: (٢٥٩٥).

وهذا الحكم لا يقوم به كل أحد، إنما النبي ﷺ أطلعه الوحي أنها ملعونة، فلذلك أمر بتركها، أما الآن إذا لعن دابته هل نأمره بتركها؟ أو لعن زوجته هل نأمره بفراقها؟ لا، لكن ننصحه بترك هذه الأعمال، وعدم الولوغ فيها؛ لما تجر إليه من غضب الله ومقته وسخطه، والوقوع في نهيه وزجره، النبي ﷺ حين لعن بعضا من كفار قريش أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران:١٢٨] .

وفيه أن السفر سبب لضيق الصدر، فعلى الإنسان أن يكون متحملا لشأنه.

وفيه أن النساء أسرع في الغضب من الرجال، والله المستعان، ولذلك جعل الله الطلاق إلى الرجل؛ لأن المرأة إذا كان الطلاق إليها ربما تطلقت في اليوم والليلة، نسأل الله السلامة والعافية.

وفيه سرعة استجابة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بمجرد أن قال: **(خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا):** سمعنا وأطعنا، ما قالوا: يا رسول الله ما عندنا إلا هذه الناقة، الآن بعض الناس تقول له: يا أخي كذا وكذا حرام، يقول لك: ما البديل؟ يا أخي ما أمرنا الله أن نعمل لك بديلا، ما يريد يترك شيئا من المحرمات إلا ببديل، أنت مأمور أن تترك المحرمات، سواء وُجد البديل أو لم يوجد.

يعني مثلا إذا لم توجد له زوجة يزني؟ ما يجوز له أن يزني، وكذلك يذهب إلى السينما، وأماكن اللعب، وأماكن الزور، ثم يقول: ما البديل؟ البديل يأتي المسجد، إذا كنت من أهل الطاعة، من أهل القربة.

١٥٥٨ - وعن أَبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَضَايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ». رواه مسلم[1].

قَوْله: (حَلْ) بفتح الحاء المهملة وَإسكانِ اللاَّم: وَهِيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإِبِلِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَدْ يُسْتَشكَلُ مَعْنَاهُ، وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، بَلِ المُرَادُ النَّهْيُ أَنْ تُصَاحِبَهُمْ تِلْكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْبَةِ النبيّ ﷺ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا سِوَاهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ جائِزٌ لا مَنْعَ مِنْهُ، إِلاَّ مِنْ مُصَاحَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا؛ لأَنَّ هذِهِ التَّصَرُّفَاتِ كُلَّهَا كَانَتْ جَائِزَةً فَمُنِعَ بَعْض مِنْهَا، فَبَقِيَ البَاقِي عَلَى مَا كَانَ، واللهُ أَعلم.

الشرح:

ولأن حال النبي ﷺ أكمل من حال غيره، فلذلك أمر بترك هذه الناقة والبعد عنها.

(١) حديث رقم: (٢٥٩٦).

٢٦٥ - باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة هود:١٨] .

وقال تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف:٤٤] .

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَعنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»(١)، وَأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا»(٢)، وأَنَّهُ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ(٣)، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»(٤)، أيْ حُدُودَهَا، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ»(٥)، وأَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ» وَ «لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(٦)، وَأَنَّه قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَة والنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٧)، وأَنَّه قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ»(٨)، وهذِهِ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ، وأَنَّه قَالَ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٩)، وأنهُ «لَعَنَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجالِ»(١٠).

---

(١) انظر الحديث (١٦٤٢).

(٢) انفرد به مسلم عن ابن مسعود وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانفرد به البخاري عن أبي حجيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في البخاري حديث رقم: (٢٢٣٨)، عن أبي حجيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: (١٩٧٨)، عن علي بن أبي طالب رضي الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتقدم.

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧) (٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، متفق عليه، وانفرد به مسلم عن أنس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٨) أخرجه مسلم (٢٩٤) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري وليس فيه التصريح بأسماء الملعونين.

(٩) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١٠) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَجَمِيعُ هذِهِ الألفاظِ في الصحيح، وبعضُها في صَحيحَيّ البُخاري ومسلمٍ، وبعضها في أحَدِهِمَا، وإنما قصدت الاختِصَارَ بالإشارةِ إِلَيهِمَا، وسأذكر معظمها في أبوابها من هَذَا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَى.

الشرح:

(لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ) الواصلة: التي تصل شعرها بما يطوله، والمستوصلة: التي توصل لها.

... (وأَنَّهُ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ) كل هذا دليل على أن هذه من الكبائر.

(لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ) يعني لعن بالوصف لا بالشخص.

(لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

يعني معناه: جواز اللعن بالوصف، والنهي عن اللعن بالشخص، نعم هذا الذي عليه جماهير العلماء، وتُعرف الكبيرة بلعن صاحبها، إذا لُعن صاحب عمل دل على أن فعل هذا العمل كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظائم الآثام، نسأل الله السلامة والعافية.

٢٦٦ - باب تحريم سب المسلم بغير حق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

وإذا سُب بحق لا تتجاوز فيه المباح من الألفاظ.

(﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾) بالقول أو الفعل.

(﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾): بغير جرم حصل منهم، بغير سبب يبيح أذاهم.

(﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟﴾): تحملوا (﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾): إثما عظيما.

١٥٥٩ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

سباب المسلم غير المستحق للسب فسوق، والفاسق: هو مرتكب الكبيرة، أو المداوم على الصغيرة.

(وَقِتالُهُ كُفْرٌ) أي: كفر دون كفر، إلا إذا استحل دمه، وإلا فهو كفر أصغر، وظلم أصغر، يعني ليس بالكفر المخرج من الإسلام، ليس معنى أصغر أنه ليس من الكبائر، لا، قتاله كبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم، لكن غير مخرجة من الإسلام، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الحجرات:٩] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

١٥٦٠ - وعن أَبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنهُ سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا) وكذلك امرأةٌ امرأةً.

(بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ) يعني ظلما وعدوانا.

(إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ): (إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ) فإن كان صاحبه فاسقا أو كان كافرا فليس عليك حرج، أما أن تتهمه بما ليس فيه فهذا هو المصيبة، **«من قال في مسلم ما ليس فيه يسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال»**.

١٥٦١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «المُتَسَابَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى البَادِي منهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ». رواه مسلم[2].

الشرح:

(المُتَسَابَّانِ) من الرجال أو النساء، **(مَا قَالَا)** من أقوال.

(فَعَلَى البَادِي منهُمَا): من الرجال أو النساء، الذي بدأ بالسب الإثم عليه، مثلا يقول له: يا فاسق وهو فاسق فعلا، يا فاعل، يا تارك، وهو كما قال، الإثم على البادئ، لكن إذا تجاوز وقال له: يا زاني وليس بزان فعند ذلك يرجع الإثم على المظلوم؛ لأنه تجاوز، فلا يجوز أن تزيد على ما ليس لك.

(حَتَّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ) الذي بُغي عليه ابتداء، لكن لما اعتدى صار ظالما، وهذا كثير، ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ

(١) حديث رقم: (٦٠٤٥)، بل ومسلم بمعناه.

(٢) حديث رقم: (٢٥٨٧).

ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ [سورة الشورى:٤١-٤٣].

١٥٦٢ - وعنه، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ قَالَ: «اضربوهُ»، قَالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ، قَالَ: «لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(قَدْ شرِبَ) أي الخمر.

يقال: أن هذا الرجل كان يسمى بالنُّعَيْمان، وكان كثير شرب الخمر، وشهد له النبي ﷺ مع معصيته بشرب الخمر أنه يحب الله ورسوله، ومع ذلك هذه المحبة لله ولرسوله ﷺ لم تشفع له في عدم إقامة الحد عليه، فيقام الحد عليه وإن كان في نفس الأمر صالحا، إلا أنه ارتكب ما يوجب عليه الحد يقام عليه الحد، فكم من صالح يقع في قتل متعمدا فيقام عليه الحد قصاص، إلا أن يعفو إلى الدية، أو بالعفو المطلق.

هذا الحديث قد استدل به على أن حد الخمر غير محدد بعدد معين، وقد جاء في غير هذا، ضرب النبي ﷺ بالجريد والنعال، وضرب أبو بكر أربعين، وضرب عمر ثمانين.

وفي هذا الحديث أن الضرب ضرب تأديب، ما هو ضرب قتل، ضرب تأديب، انظر **(فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ)** وهكذا يضربه بيده في كتفه، أو في رأسه، أو في ظهره، أو في صدره؛ لتعذيبه.

(والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ) ونعالهم كان بعضها من الجلد، ربما تؤلم.

(والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ) إهانة له.

---

(١) حديث رقم: (٦٧٧٧).

(قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ) وهذا تجاوز، فأنكر عليهم النبي ﷺ قال: (لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَان) ولكن يقال: هداك الله، أصلحك الله.

١٥٦٣ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَى يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يومَ القِيَامَةِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهذه مصيبة، مع أن المملوك عبد وعبارة عن ملك، يستطيع أن يبيعه ويهبه ويرهنه ويؤجره فيما يجوز له ذلك، ومع ذلك يقام عليه الحد يوم القيامة؛ لأنه لا حد عليه في الدنيا، فيقام عليه الحد يوم القيامة، والحدود كفارات.

(إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ) زانيا، أو واقعا فيما قُذف به.

وهذا الباب يقع فيه الناس كثيرا، يتجاوزون الشيء، فربما يكون الإنسان قد وقع في نوع ظلم يستحق أن يُسب بذلك الظلم الذي وقع فيه، لكن يتجاوز الساب.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (١٦٦٠).

٢٦٧ - باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحةٍ شرعية

وَهِيَ التَّحْذِيرُ مِنَ الاقْتِدَاء بِهِ فِي بِدْعَتِهِ، وَفِسْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَفِيهِ الآيةُ والأحاديثُ السَّابِقَةُ فِي البَابِ قَبْلَهُ.

الشرح:

هذا تبويب موافق لما عليه أهل السنة من جرح أهل البدع وإن ماتوا، وحديث النبي ﷺ: **«لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»** وهكذا: **«لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»** عام مخصوص بأهل البدع؛ لأن الكلام فيهم تحذير من بدعتهم، وتحذير من شرهم وضررهم، لكن إذا كان شخص لا أثر له في المجتمع وكان صاحب معاصي وكبائر لا تعيره بذلك وقد مات، قد أفضى إلى ما قدم، وحسبه الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

لكن مثل القرضاوي الآن مات وخلف أمة من الناس يتأثرون بطريقته ويأخذون بمذهبه، نسكت عنه؟ مع أن جمهور من يدعو إلى وحدة الأديان إنما يستدل بالشبه التي وضعها القرضاوي، وهكذا الذين يدعون إلى وحدة المذاهب، ويدعون إلى الحزبية، ويدعون إلى الديمقراطية، يستدلون بأقوال هؤلاء.

فلذلك نحن نحذر من سيد قطب، مع أنه قد مات قديما، ونحذر من حسن البناء مع أنه مات قديما، ونحذر من القرضاوي، ومن الغزالي، ومن غيرهم كثير، كل مبطل نحذر منه ما دام باطله موجودا في الأرض يؤخذ به ويسار عليه.

أما زلنا نحذر من بشر المريسي؟ لأن باطل بشر المريسي ما زال موجودا، وهكذا الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، ومثل عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أظهر الإسلام للطعن في الإسلام، وهكذا مثل جمال الدين الأفغاني، ومثل محمد عبده المصري، ومثل طه حسين، ومثل أحمد أمين صاحب كتاب (فجر الإسلام وظهره

وضحاه)، فأي مبطل نحذر منه ما دام باطله وضرره موجود، وما دام الشأن يتعلق بنصح الأمة.

فمنهج الجرح والتعديل ليس فقط للأحياء، بل للأحياء والأموات، بين أيدينا كتب تمتلئ بها المكاتب، نقول: خلاص مات اتركوه؟ الناس يقرؤون في كتبه، ويأخذون من أفكاره، هذا ليس من الورع في شيء، هذا من سوء الفهم، أو البلادة، أو ضعف الاستقامة.

١٥٦٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا». رواه البخاري[1].

الشرح:

على التفصيل السابق.

(أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا) أي: سيحاسب أحدهم ما فعل من خير أو شر، لكن إن كان الكلام فيهم نصحا للأمة تكلم، **«الدين النصيحة»**، قلنا: لمن؟ قال: **«لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم»**، والله لو تركنا الكلام في أهل البدع لرأيت العجب العجاب، لرأيت الكفر في الإسلام.

انظر الآن إلى عباد القبور من الصوفية إن تركنا الكلام فيهم كثير من الناس سيغترون بهم، عندك علي الجفري عند جماهير الناس الجهال من علماء المسلمين، وهو كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، وهكذا عمر بن حفيظ، كلهم صوفية قبورية.

وهكذا باب الرفض، لو تركنا الكلام فيهم سيغتر الناس بالرافضة، انظر إلى عبد الملك الحوثي وإلى من إليه من رافضة اليمن، وهكذا رافضة إيران، دائما يشيدون بالإسلام، ويدعون أنهم أهل الإسلام وأهل القرآن، وهم في الواقع كفار كفرا أكبر

(١) حديث رقم: (١٣٩٣).

مخرج من الملة، إن ماتوا على هذا لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا، ولا ينتفع بشيء من كلامهم في الدين؛ لأنهم على معتقدات المنافقين، سواء في باب القرآن، في باب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، في باب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فلا بد من التحذير من أهل البدع، من رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط.

ونحن إذا نظرنا إلى مصلحة أنفسنا سنجد أن السكوت عنهم أسلم لنا، ربما يحضرون عندنا في مساجدنا، ويقرؤون كتبنا، ويشيدون بنا، ويمدحوننا، لكن قد أخذ الله علينا الميثاق أن لا نسكت عن باطل ما استطعنا إلى ذلك سبيلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران:١٨٧] ، هذا ميثاق أخذ على العلماء الربانيين.

فلا بد من جرح البطالين المبطلين، لا سيما ممن يُقتدى بهم، ويؤخذ بطريقهم، وشرهم موجود في الأمة، أغلب المصائب التي تقع في الأمة بسبب هؤلاء، دعاة الباطل، ثورات، انقلابات، قتل، قتال، حزبيات، ديمقراطيات، عقائد فاسدة، أمور كثيرة بسببهم.

وإلا الناس من قبل كانوا إذا ذكرت لهم ديمقراطية يشمئزون منها، حتى جاء عبد المجيد الزنداني يقول: ديمقراطية إسلامية، ويقولون: الديمقراطية هي الشورى، وأصبح كثير من الناس ممن كان يحب الدين، نحن ما نقول: كثير من الإصلاحيين أو كثير من الإخوان المسلمين ما يحبون الدين، هم يحبون الدين، وربما بذلوا الأموال الكثيرة من أجل محبة الدين، لكن أخطأوا الطريق بسبب إضلال هؤلاء لهم، والواجب عليهم أن يسألوا أهل الاستقالة وأهل السنة والجماعة السلفيين، لكن

جاءهم هؤلاء الملبسون فأضلوهم، ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل:٢٥] .

والحمد لله قد عاد الناس إلى كلام أهل السنة والجماعة، لكن متى؟ بعد أن وقع الفأس في الرأس، عرفوا أن علماء السنة كانوا ناصحين، كانوا صادقين، وهكذا عادة الناس، لا يفهمون كلام العالم إلا بعد أن تولي الفتنة، أما في بداية الفتنة في وسط الفتنة العالم يحذر وهم يقولون: هؤلاء لا يفهمون، هؤلاء لا يفقهون، هؤلاء عملاء، هؤلاء مخابرات، إلى غير ذلك.

عبد الله زعتر عمل محاضرة في صعدة يقول: أقسم بالله أن هؤلاء - يشير إلى أهل دماج - مخابرات مع أمريكا وإسرائيل، والرافضة أخرجوا مقالات في جريدة البلاغ وفي غيرها: أن رئيس إسرائيل نزل إلى دماج، والتقى بيحيى الحجوري، ومن هذا الكلام، وقامت حرب كبيرة على أهل دماج، أُخرجوا من تلك البلاد قسرا بدعوى أنهم عملاء، وأنهم دواعش، والواقع أن العملاء هم الرافضة، والواقع أن الدواعش والرافضة أبناء علة، أخوة لعلات.

ولذلك الزرقاوي صاحب القاعدة ذاك الذي أحدث التفجيرات في العراق أين تلقى تدريباته؟ تلقاها في إيران، أولاد أسامة بن لادن وكثير من حركاتهم كانت تمر على إيران، وهذا البغدادي وغيره خرجوا من السجون الأميركية بعد أن ربوهم وجهزوهم.

لكن نحن ننصح لله، من أخذ بنصائحنا الحمد لله، ومن لم يأخذ ضر نفسه، ونحن ننصح لله، ونرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يدافع عن أوليائه، وإن شاء غير ذلك فنسأله الثبات، نسأله أن يتوفانا غير مفتونين.

والحمد لله انظروا كم سلم بسبب نصح أهل السنة من الشباب، شباب كثير بحمد لله سلموا من الأفكار الزائغة بسبب النصح، وإلا لو سكت فلان وسكت علان هذا

الشعب الذي يحب الدين سيظن أن نصر الدين مع الرافضة، ذهب مع الرافضة، يظن أن نصرة الدين مع القاعدة، يذهب مع أصحاب القاعدة، وذاك يظن أن نصرة الدين مع الدواعش يذهب مع الدواعش، وذاك يظن أن نصرة الدين مع الإخوان المسلمين يذهب مع الإخوان المسلمين، وذاك يظن أن نصرة الدين مع الصوفية يذهب مع الصوفية، وذاك يظن أن نصرة الدين باعتقاد الإباضية يذهب مع الإباضية.

لكن تكلم، ويجعل الله عَزَّوَجَلَّ بركة ونفعا وخيرا، الحق منصور ولو بعد حين.

فالذي جرنا إلى هذا الكلام أن النهي عن سب الأموات ليس على إطلاقه، إنما هو سب الأموات الذين لا أثر منهم على المجتمع، أما إذا كان الميت من صلحاء المجتمع وله مؤلفات وكتب ونصائح وتوجيهات يُثنى عليه، ويذكر بالخير حتى بعد موته؛ من أجل أن يستفيد الناس من علمه، وإن كان العكس يذم ويحقر؛ حتى يبتعد الناس عن شره وفتنته.

٢٦٨ - باب النهي عن الإيذاء

للمؤمنين، والإيذاء بغير حق.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

مفهوم الآية: أن من آذى من يستحق الأذى كإقامة حد عليه أو السجن له هذا إلى ولي الأمر ليس بآثم.

١٥٦٥ - وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) سلم المسلمون من سبه وشتمه، وكذبه عليهم، وغيبته ونميمته، وسلموا من يده من ضربه، من قتله، من جرحه، من سرقته، من نهبته، وأيضا سلموا من قدمه ما يذهب إلى أذاهم، وسلموا من فرجه لا يؤذيهم في أبنائهم ولا في نسائهم.

وإنما ذكر اللسان واليد؛ لأنهما أكثر الجوارح يقع بهما الأذى.

المسلم كامل الإسلام من سلم المسلمون من لسان ويده.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (٤٠)، والصحيح أنه انفرد به البخاري.

(والمُهَاجِرُ) أي: حقا (مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ) لأن الهجرة هجرتان: هجرة إلى بلاد الإسلام من بلاد الكفر، أو إلى بلاد الطاعة من بلاد المعصية، هذه هجرة طيبة أمر الله بها ورغب فيها.

لكن الهجرة الثانية التي أجرها عظيم: أن تهجر ما نهى الله عنه، أن تكون مهاجرا وأنت في بيتك، في مسجدك، في سوقك، بعيدا عن الحرام، بعيدا عن الآثام، وقد قال النبي ﷺ: «خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره».

١٥٦٦ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ». رواه مسلم.

وَهُوَ بعض حديثٍ طويلٍ سبق في بابِ طاعَةِ وُلَاةِ الأُمُورِ[1].

الشرح:

(مَنْ أَحَبَّ) من الرجال أو النساء، من الجن أو الإنس.

(أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ): يسلم منها، ومن مغبتها، والوقيعة فيها.

(ويُدْخَلَ الجَنَّةَ) ينعم فيها بأنواع النعم، من ملبوس، أو مطعوم، أو مشروب، أو منكوح، أو مسكون.

(فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ): الموت، (وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ) «الأعمال بالخواتيم»، وقال النبي ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

(وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) الجزاء من جنس العمل، كما أنك تحب أن لا تؤذَى لا تؤذي، أن لا تُسَب لا تَسب، أن لا تُغتاب لا تغتب، أن لا يُنم عليك لا تنم على أحد.

(١) انظر الحديث (٦٦٧).

فلو سلك الناس هذا المسلك (وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) ما وقع شر في الدنيا من هذه المؤذيات، ما أح يحب أن تُسرق أمواله، إذًا ما يسرق أموال الناس، لن يسرق أموال الناس، ما أحد يحب أن يُزني بحرمه إذا ما سيزني بحرم الناس، ما أحد يحب أن يُتكلم فيه ويغتاب إذا ما سيغتاب الناس.

لكن الواقع أن الناس لا يلتفتون إلى هذا المعنى العظيم، فهذه قاعدة نبوية، ليست في مسألة من المسائل، بل هي عامه: (وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)، حتى في الظنون، لا تظن بغيرك ظن السوء؛ لأنك تكره أن يُظَن بك ظن السوء، والله المستعان، نسأل الله أن يعيننا على أنفسنا إلى مثل هذه الأخلاق العظيمة لو أن الناس تقام عليها صلح شأنهم، لكن لله الحمد والمنة، نسأل الله أن يصلحنا ويصلح أحوالنا.

٢٦٩ - باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤] .

وقال تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح:٢٩] .

الشرح:

(التباغض والتقاطع والتدابر) أخلاق سيئة، لا ينبغي أن تحصل بين المسلمين، المؤمنون وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ بالأخوة، فهذه الأخلاق لا تقع بين المؤمنين، أخ مع أخيه وبينهما التباغض وبينهما التقاطع وبينهما التدابر وبينهما التهاجر؟ هذا دليل على ضعف الأخوة، دليل على تسلط الشيطان.

وإلا تقع الخلافات، الخلافات كثيرة، قد لا تسلم منهم مع زوجتك، لكن إن لم تقطع الخلاف تبقى أنت وهي في خلافات، فكما تختلف مع زوجتك تختلف مع ولدك كذلك اصطلح مع أخيك، ما تبقى هاجرا له، محذرا منه، قاليا له، مؤذيا له، لا سيما الأذى في بيوت الله هذا من أشد أنواع الأذى.

إذا كان تؤذي الإنسان في السوق هذا أذى، تؤذي الإنسان في سيارته أذى، بسبه أو بشتمه، أو بضربه، أو بهجره وهو لا يستحق الهجر الشرعي، كل هذا من الأذى، فإذا كنت تؤذيه في المسجد هذه مصيبة، هذا انتهاك لحق المسلم وانتهاك لحرمة بيت الله.

الله عَزَّوَجَلَّ حين أمر بإحياء شعائر البيت الحرام أخبر أن من دخله كان آمنا، وهكذا بيوت الله من المساجد من دخلها ينبغي أن يبقى على أمنه، حتى وإن كان عنده نوع خطأ إن ثبت عليه، البيوت التي هي بيوت الله بُنيت لثلاثة أشياء: لذكر الله، والصلاة،

وقراءة القرآن، فمن دخل لهذه المقاصد لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن لا يتعرض له بأذى، لا يتعرض له لا بأذى قولي ولا بأذى فعلي.

وإن كان مستحقا لشيء من ذلك الشأن ليس لكل أحد، يبقى عند رأسه يدعو عليه، أو يؤذيه في حال سجوده، أو يؤذيه في حال دخوله، كل هذه أمور غير صحيحة، **«الدين النصيحة»** والله، لا يجوز أن يسكت الإنسان عن بعض المنكرات.

أيضا: لا تدخل إلا بعد الإقامة، من أمره بهذا؟ لو أراد يبكر في الجمعة من الصباح إلى الظهر ما جاز منعه من المسجد، يبكر يا أخي، هو داخل في عموم أحاديث التبكير يوم الجمعة، هو داخل في عموم التهجير للصلاة، مثل المهجر، ربما يدخل قبل الظهر من أجل أن يصلي أربع ركعات، تفتح أبواب السماء لهذه الركعات.

فيُمنع من الدخول إلا بعد الإقامة، من الذي أمره بذلك؟ هذا أمر إلى الله، شأن الصلاة، والإتيان لها، وكذلك شأن الخروج منها، إلى الله، أيضا بعد أن ينتهي ينصرف؟ لا، النبي ﷺ يقول: **«ولا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه»**.

كيف تمنعه من ذكر الله بعد الصلاة المكتوبة؟ كيف تمنعه من التطوع؟ قد يرجع إلى بيته نعم الصلاة في البيت أفضل صلاة النافلة، لكن قد يكون بيته بعيدا من المسجد، إذا صلى النافلة في البيت تفوته تكبيرة الإحرام، تضيع عليه تكبيرة الإحرام؟ أو يبقى محجوزا على باب المسجد؟ الباطل باطل، وأذى المسلمين لا يجوز لا بالقول ولا بالفعل.

فعلى كلٍ: من وقع في مخالفة شرعية أن يتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نحن أعطانا الله بعض العلم له الحمد والمنة، لكن لسنا مفوضين في دين الله، لسنا مفوضين بحيث نأمر وننهى ما يخالف الكتاب والسنة، هذه مسائل شرعية يعود فيها الناس إلى

الكتاب والسنة، ما هناك عالم مفوض في دين الله عَزَّوَجَلَّ، بحيث يأمرك: لا تدخل إلا مع الإقامة، ما علمنا بهذا لا في المتقدمين ولا في المتأخرين.

وهكذا: بمجرد ما تسلم تنصرف، أمور غير موافقة للشرع، فينبغي للمسلمين من وقع منهم هذه البلية وهذه المعصية يسارع بعلاج نفسه.

ثم لا يأتي آت وقول: هذا الناصح متحامل، أنا ما بيني وبين أحد شيء أصلا، أنا ما بيني وبينهم خلاف لا على أرض، ولا على عمارة، ولا تكلموا في، ولا حذروا مني، ولا شيء، أنا بيني وبينه نصيحة، لو كان عندي هنا أراه يفعل هذه الأفاعيل لقمت عليه بما ينهاه عن منكره، لكن قد لا أصل إليه فأعمل هذه النصيحة؛ حتى لا تقع هذه الأمور في كثير من المساجد، الناس يقلد بعضهم بعضا، ويتأثر بعضهم ببعض.

أما أنا شخصيا ما عندي مقصد آخر؛ لأنه بلغني عن بعضهم يقول: الزعكري كذا وكذا، والله ما عندي شيء من هذا، لا أريد أذية أحد، ولا أريد إسقاط أحد، بل أريد أن الناس يقع منهم الاستقامة على دين الله جميعا، أنا وهم، إذا علموا مني بخطأ ينصحوني، إن أحب أحدهم علم مني خطأ ورأى أني أستحق النصح ينصحني بالتلفون إن أحب، ينصحني كذلك برسالة إن حب.

وإن رأى إني مثلا عندي خطأ قد ذاع وتأثر به الناس ينصحني من فوق الكرسي، يقول: أنت أخطأت في مسألة كذا وكذا علميا أو عمليا، وأنا أتوب إلى الله، واجب علي أن أتوب إلى الله، سواء نصحني من هو أعلم مني أو من هو دون مني، لا يجوز لي أن لا أقبل النصيحة بدعوى: أن الذي نصحني دوني، أو طالب من طلابي، أو غير ذلك، لا، أنا لست فوق الحق، كما أن جميع العلماء ليسوا فوق الحق.

نحن عُرفنا بالحق، الله عَزَّوَجَلَّ من علينا بما منَّ من العلم، وعرفنا الناس بهذا العلم، إذا خالفنا هذا العلم استحق أحدنا التحذير منه بقدر مخالفته، أحيانا يحذَّر من

المخالفة، كما هو في كثير من المسائل، حتى في المسائل الفقهية، أما نحن نختلف في المسائل الفقهية؟ أنا أرجح مثلا وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، والآخر يرجح عدم ذلك، ومع ذلك قد أُشيع الفتوى بقراءة الفاتحة في كل ركعة، وهكذا في بقية المسائل.

فما بيننا وبين أحد شيء، يعني بالنسبة أننا نتكلم من باب الانتقام، أو نتكلم من باب إرادة الإسقاط، والله ما هذا ليس عندي لا من قريب ولا من بعيد، أنا ناصح لجميع إخواني أهل السنة كبارا وصغارا علماء وطلاب علم طلاب علم وعوام: أن نكون على مقتضى الكتاب والسنة في حال الرضا وفي حال السخط، في حال الموافقة وفي حال المخالفة، في حال الصحبة وفي حال العداوة، هكذا على الكتاب والسنة.

أما إذا جاوزنا ذلك لحقنا الضرر، وإذا سكتنا عن الباطل المنتشر في أوساط المسلمين ما ننكر يلحقنا الضرر، لكن كل إنكار بحسبه، أنا الآن أعطيت نصيحة عامة، ما يأتي واحد يقول: أنت تقصدني، أنا أقصد من وقع في هذه الأشياء، لو قال لي واحد: أنت تقصد فلان؟ أقول له: أنا عملت نصيحة عامة، إذا كان هناك ما في خطأ في هذه الأشياء موجود في المجتمع اجعلوها نصيحة للمستقبل، وإن كانت الأخطاء موجودة الذي عنده هذا الخطأ يقول: أنا أستغفر الله وأتوب إليه؛ حتى لا يقع في أذى المؤمنين، حتى لا يقع في مخالفة الشرع الكريم، حتى لا يلقى الله عَزَّوَجَلَّ بما يؤدي إلى غضب الله عليه، والله المستعان.

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم»، مصيبة هذه الأشياء إذا وقعنا فيها والله.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ والأخ لا يهجر أخاه إلا بقصد شرعي، وليس بنظر نفسه إلى هذا المقصد، لا بد أن يكون الواقع أنه يستحق الهجر، يستحق البغض، يستحق أن تدبر عنه.

(﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) انظر ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤] : في تواضع للمؤمن، «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا»، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤] : عزيز على الكافر، إذا استطاع أن يقتل الكافر في حربه يقتله، إذا استطاع أن يأسره يأسره، إذا استطاع أن يضيق عليه في مسيره يضيق عليه، «إذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه»، كل بحسبه.

(﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾) ومن الرحمة: أن لا تقطع أخاك المسلم، ولا تبغضه، ولا تهجره، ولا تتدابر معه، ما دام لا يستحق ذلك.

١٥٦٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عَلَيْهِ[1].

١٥٦٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم[2].

وفي روايةٍ لَهُ: «تُعْرَضُ الأَعْمالُ في كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وإِثْنَيْن» وذَكَرَ نَحْوَهُ.

الشرح:

سيأتي شرح هذا الباب إن شاء الله في باب يأتي، باب التقاطع والتدابر والتهاجر والتباغض الغير شرعي، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٢) حديث رقم: (٢٥٦٥).

وفي الحديث الآخر: الوعيد لمن هجر أخاه وقلاه وازدراه بغير حكم شرعي، **(أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)**، ما تفتح السماوات لأعماله، لا تفتح أبواب الجنة لأعماله، وكذلك تؤخر المغفرة له، نسأل الله السلامة والعافية.

فلهذا يكون الإنسان على حذر، لا يهجر إلا من يستحق الهجر، ويصطلح مع غيره إن كان ما بينهما من الخلاف لا يستدعي جواز التهاجر والتباغض والتقاطع والتدابر.

٢٧٠ - باب تحريم الحسد

وَهُوَ تمني زوالُ النعمة عن صاحبها، سواءٌ كَانَتْ نعمة دينٍ أَوْ دنيا، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النساء:٥٤] ، وفِيهِ حديثُ أنسٍ السابق في الباب قبلَهُ(١).

الشرح:

الحسد: تمني زوال النعمة عن الغير، أو تمني عدم الخير للغير المسلم، أما تمني زوال النعمة عن الكفار والمنافقين فأمر طيب، ليس من الحسد في شيء، لكن المراد بها هنا تمني زوال النعمة عن المسلم، أو كذلك تمني عدم زيادة النعمة للمسلم.

وقد يكون الحسد في الحسية، كالحسد في الأموال، والحسد في الأبناء، وقد يكون الحسد في المعنويات، كالتحاسد في العلم، والتحاسد في الطاعة، ربما يحسد صاحبه إذا قام يصلي الضحى، أو يقيم الليل، أو حفظ القرآن، أو غير ذلك من الأمور.

فينبغي للمسلم أن يكون قلبه على محبة الخير للمسلمين، كما قال النبي ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، أي: من الخير، كما جاء في بعض الروايات.

والحسد صفة اليهود، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة النساء:٥٤] ، وصفة المنافقين، قال النبي ﷺ: **«ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»**، وقديما قيل: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

(١) انظر الحديث (١٥٦٧): «ولا تحاسدوا».

كالنـــــار تأكـــــل بعضـــــها إن لـــــم تجـــــد مـــــا تأكلـــــه

والحاسد معترض على القدر، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أكرم هذا الإنسان بما أكرمه به، وهو على مقتضى علمه وحكمته، فلماذا تعترض على قدر الله؟ بل سل الله أن يكون لك مثله وأكثر منه، علما أو مالا أو جاها، ما شئت، ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [سورة النساء:٣٢] .

١٥٦٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أَوْ قَالَ: «العُشْبَ». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

الحاسد معذب، يبقى قلبه يحرقه ليل نهار، يضيق صدره من الخير الذي يحصل لصاحبه، إن رُزق مالا حسده وتنكد حاله، إن رآه مبتسما تنكد حاله، إن حصل على زوجة وأولاد ومال وجاه وعلم ساء حاله، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالاستعاذة من شر الحاسدين، لا سيما إذا حسد، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورة الفلق:١-٥].

وقديم قيل: ما خلا جسد من حسد، ولكن الكريم يخفيه، واللئيم يبديه، فالكريم إذا وقع في نفسه شيء على أخيه دعا له بالخير، دعا له بالسعة، دعا له بالعلم، دعا له بالثبات؛ حتى يغيظ الشيطان، وذاك يبدي الحسد حتى يأكل نفسه بنفسه، ربما يكون

(١) حديث رقم: (٤٩٠٣)، وهو ضعيف، في سنده إبراهيم بن أبي أسيد البراد، عن جده، عن أبي هريرة، وجده لا يعرف، وضعفه الألباني في (ضعيف أبي داوود)، وفي (الضعيفة)، وجاء من حديث أنس عند ابن ماجه، وفي سنده عيسى بن أبي عيسى الحنَّاط، متروك، وضعفه الألباني في (الضعيفة). أفاده المحقق، والأحاديث الصحيحة في النهي عن الحسد كثيرة، تغني عن هذا الحديث الضعيف.

في مجلس فيُذكر صاحبه بالخير فيقوم، ولكن يضيف كلمة (ولكن)؛ حتى يبدي عيبا لصاحبه ولأخيه، وهكذا في كل الأبواب، نسأل الله السلامة والعافية.

ما اقتتل الناس إلا بسبب التحاسد، قال النبي ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم: **«إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟»** قالوا: نكون كما كنا يا رسول الله، قال: **«بل تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتقاطعون، ثم تتدابرون، ثم تعمدون إلى رقاب المهاجرين فتضعوا بعضها على بعض»**، إلى غير ذلك من الأدلة.

بل ما قتل ابن آدم أخاه إلا بسبب الحسد، ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧] ، فحسده وقتله، نسأل الله السلامة والعافية، وإلا لو سأل الله من فضله كما رزق هذا أن يرزقه، كما وسع على هذا أن يوسع عليه، كما علم هذا أن يعلمه.

علينا عباد الله أن نجاهد أنفسنا، ومن سوء الحسد أنه ما يقع إلا بين المتماثلين، بين أخوين، بين زميلين، بين صاحبين، بين جارين، بين أصحاب مهنة واحدة، هل وجدتم جزارا يحسد رئيسا؟ لا يمكن، ما يمكن، الجزار يحسد الجزار، وطالب العلم يحسد طالب العلم، والفقير يتحاسد مع الفقير، والأح يتحاسد مع أخيه، هذا من شؤمه ومن بلائه، والله المستعان.

٢٧١ - باب النَّهي عن التجسُّس والتَّسَمُّع لكلام من يكره استماعه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٢] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

التجسس حرام، وقد انتشر في هذه الأزمة، وصار له من يتوظف فيه، وتصير له رتبة، تلقاه عقيد جاسوس، عميد جاسوس، مهيب جاسوس، مقدم جاسوس، نقيب جاسوس، ملازم أول وملازم ثاني جاسوس، جعلوا له رتبا كغيره من الوظائف، نسأل الله السلامة والعافية.

ولو كان تجسس هؤلاء على أهل الريب على أهل الشر؛ لفضحهم لوأد شرهم لكان حسنا، لكن تجسسهم على أهل الصلاح، كانوا يتجسسون في دماج على طلاب العلم في دماج، وتركوا حسين بدر الدين الحوثي يعمل له جيشا، ويعمل له أتباعا، ويعمل له تنظيما، والعين قد غُضَّت عنه، فهذا من البلاء أن يكون التجسس على الصالحين الذين ينبغي أن يكون حسن الظن بهم.

ثم يُترك أهل الريب يفعلون كل ما أرادوا من البلاء والشر، الحزبيات، ويدعون إلى الثورات، ويدعون إلى المظاهرات، وربما أقرتهم الدول على هذا البلاء، نسأل الله السلامة والعافية.

(﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾) هذه الآية تدل على شؤم وعلى كبيرة الجوسسة بالمفهوم لا بالمنطوق؛ لأن الجاسوس يؤذي المسلمين، والله لو علمت أن ولدك يتجسس عليك

أنه يضيق صدرك، أو زوجتك تتجسس عليك يضيق صدرك، كيف إذا كان واحد غريب؟

مع أن الكلام الحمد لله الذي نقوله هنا هو الذي نعيش عليه ونموت، نسأل الله أن يميتنا عليه، ما عندنا مكر لا بالدولة ولا بغير الدولة، نحن ندعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إلى التوحيد، إلى العمل الصالح، إلى متابعة النبي ﷺ، لكن الإنسان يتأثر إذا عُلم أن هناك من يتجسس عليه ويتتبع عوراته.

١٥٧٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسَّسوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ»[1].

وَفِي رواية: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوانًا».

وفي رواية: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوانًا».

وَفِي رِوايةٍ: «وَلَا تَهَاجَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ». رواه مسلم بكلّ هذِهِ الروايات، وروى البخاريُّ أَكْثَرَهَا[2].

(١) رواه البخاري ومسلم، رُوي مفرقا وجمع هكذا.

(٢) انظر الحديث (٢٣٥).

الشرح:

هذا حديث عظيم، إذا حفظه الطالب وأراد أن يشرحه يصلح أن يكون محاضرة، ويصلح أن يكون خطبة جمعة، ويصلح كذلك أن يكون مصنفا موسعا؛ لما تضمنه من الأوامر والنواهي، ولما تضمنه من الأخبار.

قال: **(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ)** أي: الظن السيء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢] ، وانظروا إلى فساد ما بين الناس من الأخلاق بسبب الظنون، بسبب الظنون تطلق النساء، بسبب الظنون يتفرق الأخوة، يخرج على الحاكم المسلم بسبب الظنون.

بل من أسوأ الظنون ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي سلكه المشركون، ما أشركوا إلا لظنهم السيئ بالله، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] .

فعليك أن تصفي قلبك، ولا تظن بأخيك ظن سوء وعندك مندوحة عن هذا الظن، قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: من أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وسريرته إلى الله، ومن أظهر لنا شرا لم نأمنه ولم نقربه، وإن قال بأن سريرته حسنة.

قال: **(ولا تحسَّسوا)** قيل: التحسس هو طلب الخير، والتجسس: طلب الشر، وقيل بأن المعنى واحد.

(وَلَا تَنَافَسُوا) تنافس يفضي إلى التحاسد، وإلا التنافس مأمور به، لاسيما في باب الطاعات، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [سورة المطففين:٢٦] ، في باب العلم، في باب العمل، في باب العبادة، وهكذا التنافس في الدنيا لا بأس أن تنافس صاحبك تريد أن تحصل على خير مثله أو أكثر منه، لكن بدون تحاسد.

(وَلَا تَحَاسَدُوا) هذا هو الشاهد أيضا، النهي عن الحسد؛ لما يؤدي إليه من الفساد.

(وَلَا تَبَاغَضُوا) تدرج، التباغض يكون في الصدور، فإذا وقع التنافس الخارج عن الاعتدال وقع التحاسد، فإذا وقع التحاسد وقع التباغض في القلوب، فإذا وقع التباغض وقع التدابر بالأبدان، وغير ذلك.

فالإنسان يتدرج في الشر كما أنه يتدرج في الخير، فإياك أن تنتقل إلى المرحلة في الشر التي هي أسوأ من التي قبلها، وإياك أن تفوتك مرحلة الخير التي هي أحسن من التي قبلها، فكن سبَّاقا إلى الخير، محاربا للشر والضير.

(وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) هذا هو الأساس، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠] ، كن أخا لأخيك المؤمن، تحبه وتوده وتنصره، وسيأتي بيان ذلك.

(كَمَا أَمَرَكُمْ) الله في القرآن.

(لَا يَظْلِمُهُ) بنفسه، **(وَلَا يَخْذُلُهُ)** إذا ظُلم من غيره.

(وَلَا يَحْقِرُهُ) يحتقر أصله، أو نسبه، أو ماله، أو جاهه، أو غير ذلك، **«كفى بالمرء إثما أن يحقر أخاه المسلم»**.

(التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ) لكن لا بد من العمل، لا يستدل بهذا الحديث على أنه لا حاجة إلى العمل كما يقول بعضهم: ساعة وساعة، لا بد من العمل، **«ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»**.

ثم قال: **(بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)** يحتقر المسلم الذي هو عند الله عظيم، المسلم عظيم، شأنه رفيع، وإن كان نسبه دون ذلك، **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**.

قال: **(كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ)** لا يسفكه بقتل ولا جراحات.

(وَعِرْضُهُ) لا يقع في الزنا مع محارمه، ولا القذف له.

(وَمَالُهُ) لا يأخذه بنهبة ولا سرقة، ولا غصبة، ولا شيء من ذلك.

(إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ) مع أن الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفى عليه خافية، يرى كل شيء، ويبصر كل شيء.

(وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ) يعني أن الإنسان تكون رفعته وتكون ضعته بسبب ما في قلبه، وبسبب عمله، فإن كان ما في قلبه الخير والصلاح وكان عمله موافقا لذلك فهو المحبوب عند الله، ومن جعل الله له حبا بين أوليائه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [سورة مريم:٩٦] ، وإن كان غير ذلك لحقه الذل الهوان.

وهذه ألفاظ تزيد الحديث وضوحا.

(لَا تَحَاسَدُوا) تقدم بيانه، **(وَلَا تَبَاغَضُوا)** تقدم بيانه.

(وَلَا تَنَاجَشُوا) ما هو النجش؟ النجش: أن تدخل في بيع أخيك لا لقصد الشراء ولكن لقصد الزيادة في السلعة، هذا نجش، وما هو البيع على بيع الأخ؟ هو كالنجش إلا أن فيه أنك تريد السلعة، فلا يجوز النجش، وهو: البيع على بيع الأخ لقصد زيادة السلعة لا لقصد شرائها، ولا يجوز البيع على بيع الأخ مع قصد الشراء.

(وَلَا تَهَاجَرُوا) هذا زائد على ما في الحديث الأول، **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**.

(وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) كما لا يخطب بعضنا على خطبة بعض، فهمتم الفرق بين النجش والبيع على بيع البعض؟ تدخل إلى المكتبة، فصاحبك يريد هذا الكتاب، ويكون بينك وبين صاحب المكتبة اتفاق أو لم يكن، فصاحب المكتبة يقول له: هذا الكتاب بثلاثة آلاف مثلا، وأنت تقول: أنا أريده بأربعة آلاف، وأنت لا تريد الشراء، إلا أن ذلك يريد الكتاب، فيقول: أنا اشتريته بأربعة آلاف، فهذا نجش، وهو محرم.

أما البيع على بيع الأخ: قد تدخل أنت تريد الكتاب وهو يريد الكتاب، فأنت تقول: بثلاثة وهو يقول: بأربعة، أو: بعه مني، أنا أحوج منه، وهكذا في السيارات أو في غيرها، لا يجوز البيع على بيع الأخ، لا مع النجش ولا بدون نجش.

١٥٧١ - وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ». حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

وهذا حديث عظيم، يرويه معاوية بن أبي سفيان، أحد خلفاء المسلمين، وأحد أمرائهم وملوكهم، مشهودا له بالخير والصلاح عند أهل السنة، وإنما تبغضه الرافضة، وما جرى بينه وبين علي بن أبي طالب قد أفضوا إلى الله رضي الله عنهم جميعا، قد أفضوا إلى الله، مع اعتقادنا أن الحق مع علي بن أبي طالب، والإنسان قد يخطئ عليه أخوه وما يخرجه هذا الخطأ من الإسلام.

لكن الرافضة لم تتسع قلوبهم لهذا الأمر؛ لأن عندهم قاعدة: لا ولاء إلا ببراء، فلا يمكن أن تحب علي بن أبي طالب إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر، والعكس، إذا كانت محبتك لأبي بكر وعمر لا يمكن أن يكون في قلبك حب لعلي بن أبي طالب، وهذا من العجائب.

والواقع أننا نحب أبا بكر وعمر، وعثمان وعلي، محبتهم في قلوبنا عظيمة، تنشرح صدورنا لقراءة سيرهم، ونستفيد من مروياتهم، ونأخذ بترجيحاتهم، ونترضى عنهم، ونترحم عليهم، ونكف عما شجر بينهم، ونذكر محاسنهم، ونسكت عن مساوئ بعضهم إن وجدت، مع أنهم خلص الأمة، وخيرة الأمة.

---

(١) حديث رقم: (٤٨٨٨).

(إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ) بالتجسس، أو بالنميمة، أو بغير ذلك من الأمور.

(أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ): قاربت إفسادهم.

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفعه هذا الحديث، نهى عن تتبع العورات، حتى قال الراوي: سمع معاوية حديثا من رسول الله ﷺ فانتفع به.

١٥٧٢ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأْخُذ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أَبُو داود بإسنادٍ عَلَى شَرْطِ البخاري ومسلم[1].

الشرح:

(هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا) أي رأوا فيه آثار الخمر.

فقال عبد الله بن مسعود: **(إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ)** مثلا قاء الخمر، أو مشى سكرانا، أو أقر بذلك، نأخذ به، ونقيم عليه الحد.

(١) حديث رقم: (أخرجه أبو داود (٤٨٩٠).

٢٧٢ - باب النهي عن سوء الظنّ بالمسلمين من غير ضرورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢] .

١٥٧٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ». متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: اجتنبوا الظن وكونوا على حذر منه، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، فإن كثيرًا من الأواصر والأخوات والبيوت تُدمر بسبب سوء الظنون، فالمرأة تظن بزوجها ظنًا على غير الواقع فتفسد حياتها معه، والرجل يظن بزوجته أو بأبنائه، وهكذا المجتمع قد يظن بنفسه فيقع الفساد العريض، وعمر رضي الله عنه يقول: من أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وسريرته إلى الله، ومن أظهر لنا شرًا لم نؤمنه ولم نقربه وإن قال بأن سريرته حسنة، أخرجه البخاري). "من كتابي "القول المؤصل في تفسير الكتاب المنزل".

"(فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ) ربما تظن أن الأمر على ما ظننته وهو خلاف ذلك وأسوأ الظن ظن الجاهلية بالله: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]، يظنون أن الله يديل على المؤمنين، وأن الله يمكن الكافرين من استئصال الدين". من "شرحي على صحيح مسلم".

(١) انظر الحديث (١٥٧٠).

٢٧٣ - باب تحريم احتقار المسلمين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الحجرات:١١].

وقال تَعَالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة:١] .

الشرح:

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾) أي للونه، أو لماله، أو لوظيفته وعمله، أو لفهمه، فالمسلم يحب المسلم، مع أن المحبة تتفاوت، فإياك أن تسخر منه؛ لأن السخرية منه قد تسبب سخرية الله منك.

(﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾) عند الله (خَيرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ) أي عند الله (﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾).

(﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾) يعني: لا تجعل ألقابا على المسلمين لا يرضاها المسلم لنفسه، كما لا ترضاها لنفسك، ومن أسوء الألقاب الألقاب العامة، التي يلقب بها الناس، قال النبي ﷺ كما في حديث عائشة: «شر الناس الذي يريد أن يهجو الشخص فيهجو القبيلة».

ومن ذلك ما شاع في هذه البلاد اليمنية من وصف جماهير البلاد الشمالية بأنهم دحابشة، هذا الوصف السيئ الذي قام به رجل سيئ مثَّل تلك المناطق بتمثيلية سيئة، ثم أطلق هذا اللقب على جميعهم، هذا لا يجوز شرعا، ولا يجوز قدرا، ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [سورة الحجرات:١١] ، فإن الله سمى هذا التنابز:

(﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾) فسوق، صاحبه فاسق، يدخل في سلك الفاسقين، هذا ليس حكمي، حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يجوز السخرية، لا تسخر، إن

كان عدوك أو يستحق السخرية يستحق اللقب بما هو فيه لقبه بشيء هو فيه، أما مثل هذه الألقاب والتعميمات ونحو ذلك نسأل الله السلامة والعافية.

بل وصل الحال ببعضهم أن يقول في بعض الصحابة: دحباشي، صحابي دحباشي! مع أن كلمة دحباشي عندهم أسوأ السب، ويوصف بها أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! الذي قال عنه النبي ﷺ: «لقد أوتي زمارا من مزامير آل داوود»، هذا يعود ضرره على المتكلم.

فنصيحتي للمسلمين ألا يصفوا من في قلبه عليه شيء بلقب لا يرضاه، بغض النظر، والأخطاء نحن لا ندافع عنها، لكن استخدام مثل هذه الألفاظ لا تجوز.

(﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾) أي: من هذه الذنوب والمعاصي (﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) ظالم لنفسه بارتكاب المعصية، وظالم لغيره، بالوقيعة في عرضه.

(﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾) الهمز يكون بالحركة، واللمز يكون باللسان، يلمزه بلسانه، ويهمزه بالحركة، إما أن يغمض عينه، وإما أن يلوي فمه، وإما أن يضرب بيده، أو نحو ذلك، هذا همز، واللمز: أن يصفه بوصف سيء ينفر منه.

١٥٧٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». رواه مسلم، وَقَدْ سبق قريبًا بطوله[1].

١٥٧٥ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم.[2]

(١) انظر الحديث (١٥٧٠).

(٢) انظر الحديث (٦١١).

ومعنى «بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُه، و (غَمْطُهُمْ): احْتِقَارُهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا فِي بَابِ الكِبْرِ.

الشرح:

(لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) هذا يحمل في حق المسلم المتكبر على أنه لا يدخل دخولا أوليا، فقد يحرم من الدخول الأولي، وإلا فعقيدتنا أن كل مسلم مآله إلى الجنة، وإما أن يحمل الحديث على أن من في قلبه كبر أخرجه من الإسلام، ككبر إبليس الذي تكبر عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فأصبح من الكافرين.

(إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً) يحب أن يتجمل، جمهور الناس إذا رأوا واحدا يمشي في ثوب جميل وعمامة طيبة ونعل طيب ربما قالوا: هذا متكبر، هذا ليس من الكبر، أن يكون ثوبك حسنا، أن تكون سيارتك جميلة، أن يكون تلفونك طيبا، أن يكون كتابك جميلا، أن يكون بيتك مزوقا بما لا إسراف فيه، كل هذا ليس من الكبر.

(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ) فيه إثبات اسم الجميل لله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

(الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ): رد الحق وعدم قبوله، (وَغَمْطُ النَّاسِ): احتقار الناس.

وهذا الحديث جاء في أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والله المستعان.

١٥٧٦ - وعن جُندب بن عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

(قَالَ رَجُلٌ) أي فيمن كان قبلنا.

(وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ) يتألى على الله، ما أدراه أن الله لا يغفر له؟ من أسماء الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢] ، ومن وصف الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨]، فمهما أعرض المعرض فهدايته إلى الله، ومهما أذنب المذنب فشأنه إلى الله، إلا إذا كان كافرا مشركا منددا هنا لا يغفر الله له، أما من مات على الإسلام وإن فعل ما فعل.

(مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ) يعني: من ذا الذي يحلف على الله؟ كأنه متحكم في شأن الله يغفر لمن شاء ويعذب من شاء.

(وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ) هذا الحديث بعضهم استدل به على حبوط عمله جملة؛ لأنه كفر بهذه الكلمة، وبعضهم استدل على أنه حبط ذلك العمل الذي كان هو فيه، ليس جميع العمل، وهذا يظهر أن الإنسان قد يتألى ولا يقع في الكفر، وقد يتألى ويقع في الكفر، كل بحسبه.

(١) حديث رقم: (٢٦٢١).

٢٧٤ - باب النهي عن إظهار الشماتة بِالمُسْلِم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة النور:١٩] .

الشرح:

يروى عن بعضهم أنه قال: والله لو عيرت كلبا أخشى أن يبتليني الله بهذا، أو كما قال، فالمسلم لا يعير أخاه المسلم، ولا يشمت بأخيه المسلم، بل شأن المسلم عند الله عظيم، انظر إلى أبي ذر حين قال: يا ابن السوداء، قال له النبي ﷺ: **«إنك امرؤ فيك جاهلية»**.

وربما تُظهر الشماتة فتُبتلى، والله نسأل الله السلامة والعافية أن أحدهم اتصل لي يوم موت ولدي محمد يعزيني فيه، رحم الله الجميع، وشعرت بشماتة من اتصاله، أحرقني اتصاله، والله ما هي إلا ثلاث ليال أو أربع ليال وقد مات، فالإنسان لا يشمت، عفا الله عنهم جميعا، وعفا الله عنا جميعا، لكن الإنسان لا يشمت بمصيبة نزلت بأخيه، ولا بعيب كان في أخيه، قد يحول الله هذا العيب من أخيك إليك، قد يحول الله هذا العيب الذي شمت بأخيك من أجله إليك، ويُشمت بك بعد ذلك، الجزاء من جنس العمل.

فلا تشمت بأحد، لا للونه، لا لماله، لا لنسبه، لا لمصيبة نزلت به، بل سل الله العافية، لا تعير أخاك فيعافيه الله ويبتليك.

(﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ والأخ لا يؤذي أخاه بشماتة ولا نحو ذلك، والله عَزَّوَجَلَّ يقول عن هارون: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٠]، وفي الحديث: **«وأعوذ بك من شماتة الأعداء»**، شديدة على النفس، نسأل الله السلامة والعافية.

١٥٧٧ - وعَن وَاثِلَةَ بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[١].

وفي الباب حديث أَبي هريرة السابق في باب التَّجسُّس: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ» الحديث[٢].

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٢٥٠٦)، في سنده القاسم بن أمية الحذاء، قال الحافظ: تُكلم فيه. قاله المحقق.

(٢) انظر الحديث (١٥٧٠).

٢٧٥ - باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

الناس مأمونون على أنسابهم، الناس كل واحد مأمون على نسبه، فلو قال لك: أنا حضرمي لا يجوز أن تصفه لغير الحضرمي، وإن قال لك: أنا همداني لا يجوز أن يُنسب لغير الهمداني، وإن قال لك: أنا حميري لا يجوز أن تنسبه لغير الحميري، هكذا الناس مأمونون على أنسابهم، فلا يجوز أن نتدخل في شأنهم.

وعلى الإنسان أن لا ينتسب لغير نسبه، **«فمن انتسب إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**، فهذه المسألة لا يجوز أن يتدخل فيها الإنسان.

وإنك لتعجب من بعض المبتدعين الضالين إذ بين الحين والأخر لا سيما بعد أن عجزوا عن الطعن في شيخنا الحجوري حفظه الله تارة قالوا: سب النبي صل الله عليه وسلم، ما عندهم دليل على ذلك، ظهر كذبهم، تارة قالوا: يتنقص الصحابة، ما عندهم دليل على ذلك، ظهر كذبهم، تارة يقولون: بدَّع عثمان بن عفان، بل سُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحفظه: ما حكم من يبدع عثمان بن عفان؟ قال: هذا كافر، إلى غير ذلك من الأمور المذكورة عنه وفيه، ويبرئه الله عَزَّوَجَلَّ من كذبهم وزورهم.

وإذا بهم هذه الأيام يرجعون إلى الاتهام في نسبه، وأنه المُورِي، الموري نزيلا، وإلا فهو معروف بأنه حجوري، ولو مشيت في طريق الحديدة حرض تجد لوحة قبل أن تصل إلى بيته: بلاد حجور، إشارة إلى قرية حجور، مع أن تلك المنطقة أصلا ليس فيها من الحجوريين يُنسبون إلى هذا إلا هو وأبوه ومن إليهم، ويعرف نسبهم أنهم من حجور كُعَيْدِنَة، من بني وهان، وبلادهم معروفة.

وبغض النظر رجل انتسب لك نسبة لماذا تطعن في نسبة؟ أين ديانتكم يا أيها الحزبيون؟ أين أمانتكم؟ أين تقاكم؟ لما عجزتم على الحجج العلمية تذهبون: الموري الموري، أو نحو ذلك، هب أنه موري، لا ينقصه ذلك، لكن هو يقول أنه حجوري، وأبوه يعلم أنه حجوري، وبيتهم في حجور معلوم، لماذا نطعن في الأنساب؟ نسأل الله السلامة والعافية.

١٥٧٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِم كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فهذه من أخلاق الجاهلية، الطعن في الأنساب من أخلاق الجاهلية، ومن الأمور التي لا تُترك، مع أنها واقعة في أهل الجاهلية.

(وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ) النوح على الميت أيضا من صفات الجاهلية، **«والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»**.

والنوح: هو الصياح على الميت بما ليس فيه، فمثلا تندبه: يا جبلاه، يا كذا يا كذا، ونحو ذلك، فينبغي للمسلمين أن يتحلوا بحسن الأخلاق، وأن يبتعدوا عن مساوئها.

(١) حديث رقم: (٦٧).

٢٧٦ - باب النهي عن الغش والخداع

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

انظر إلى هذه الآية ذكرها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدة أبواب: أذية المؤمنين بالتجسس عليهم، أذية المؤمنين بتعييرهم، أذية المؤمنين باحتقارهم، أذية المؤمنين كذلك بغشهم وخداعهم، سواء في مطعوماتهم، أو ملبوساتهم، أو مسكوناتهم، أو غير ذلك، فلا يجوز أذية المؤمنين، فالاستدلال بعموم هذه الآية يدخل تحت أبواب كثيرة.

١٥٧٩ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

الشرح:

فيه النهي عن التعرض للمسلمين بالقتل والجراحات والخروج ونحو ذلك، وأيضا فيه النهي عن الغش، وإظهار السلعة بالمنظر الطيب وهي مخالفة للواقع.

وهل يدخل في هذا ما يفعله كثير من الناس الآن من تزويق البضاعة؟ كانت عندهم عادة وما زالت: أنهم يجعلون الثمرة الطيبة في الفوق، والتي دونها هكذا وهكذا، الذي يظهر إذا كانوا قد اتخذوا هذا أمرا يسيرون عليه وليس فيه غش ولا

(١) حديث رقم: (١٠١).

خداع لا حرج منه، أما إذا كان فيه إخفاء للسيء وإظهار للطيب حتى يخدع فالخداع حرام لا يجوز.

١٥٨٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَنَاجَشُوا» متفق عَلَيْهِ[١].

١٥٨١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عن النَّجْشِ. متفق عَلَيْهِ[٢].

١٥٨٢ - وعنه، قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ». متفق عَلَيْهِ[٣].

(الخِلَابَةُ) بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

الشرح:

وهذا من أسباب الخيار، الخيار بالغبن أو الخيار بالخديعة، إذا خُدعت لك أن تعود إلى صاحب الصفقة وتردها إليه، وإن لم يكن بينكم خيار، خيار الخديعة، أو خيار خيانة، أو خيار الغبن، إلى غير ذلك من المسميات.

١٥٨٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا». رواهُ أَبُو داود[٤].

(خَبب) بخاءٍ معجمة، ثُمَّ باءٍ موحدة مكررة: أيْ أفْسده وخدعه.

الشرح:

في أهله، في مملوكه، ومن ذلك ما يفعله كثير من الناس بالمراسلات مع النساء، وإشغالهن عن أزواجهن، وكذلك دعوتهن إلى الفساد والإفساد، كل هذا من التخبيب الذي يقع، لا سيما في هذا الزمان، ونسأل الله السلامة والعافية، فمن فعل ذلك كما

(١) انظر الحديث (٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم (١٥١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢١١٧)، ومسلم (١٥٣٣).

(٤) حديث رقم: (٥١٧٠).

قال النبي ﷺ: **«ليس منا»**، وهذا على الوعيد الشديد، وعلى الظلم الأكيد لدى هذا المخبب، والله المستعان، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

٢٢٧ - باب تحريم الغدر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [سورة المائدة:١] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [سورة الإسراء:٣٤] .

الشرح:

الغدر: هو الخيانة في موطن الائتمان، وهو من صفات أهل النفاق، ليس من صفات أهل الإيمان.

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾) والعهود والمواثيق والأيمان، فهي كلمة عامة.

١٥٨٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

هذا يسمى بالنفاق العملي، لأن النفاق ينقسم إلى قسمين: نفاق اعتقادي مخرج من الملة، وهؤلاء الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥] .

والثاني: نفاق عملي، أي أن هذه الأعمال أعمال المنافقين، لا يصلح للمسلم ولا يجوز أن يتصف بها.

ومن أشهر هذه الأعمال أربع خصال ذميمة، ويزداد النفاق في القلب بزيادة الأعمال المخالفة للكتاب والسنة، كما أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) انظر الحديث (٦٨٩).

(إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) إذا اؤتمن على حسيات أو على معنويات خان الأمانة، وفي الحديث: **«أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»**، والنبي ﷺ بُعث بالأمانة كما في حديث أبي سفيان: يأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلاة، والأمانة في بعض الروايات.

(وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ) يكذب في حديثه، والمؤمن يتعود الصدق في حديثه، **«والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»**.

وهذه الصفة اجتمعت في جميع المبطلين، صفة الكذب، الكفار يكذبون، ووصفهم الله بالكاذبين، المنافقون يكذبون، بل هي من أظهر صفاتهم، وأهل البدع والحزبيات تميزوا بها، ما يدخل أحد في بدعة أو حزبية إلا وتقمص هذه الخلة السيئة، كما سمعنا من شيخنا مقبل مرارا وهو يقول: أركان الحزبية ثلاثة: الكذب، والتلبيس، والمكر، يكذبون على أهل الاستقامة، ويكذبون كذلك فيما يدعون إليه.

(وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) إذا عاهد أحدا على أمر من الأمور غدر، ونقض العهد، وهو مؤتمن على ذلك، ولم يخبر، الله عَزَّوَجَلَّ أمر النبي ﷺ أن ينبذ إليهم على سواء، والنبي ﷺ أرسل ببراءة في الموسم، أما أصحاب النفاق يغدرون.

(وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) اشتدت خصومته، النبي ﷺ يقول: **«أبغض الناس إلى الله الألد الخصم»**: شديد الخصومة، وإلا الإنسان قد يختصم مع أخيه المسلم، لكن لا تكن خصومتك متجاوزة للحد.

١٥٨٥ - وعن ابن مسعودٍ، وابن عمر، وأنس ﷺ قالوا: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

سيأتي في حديث أبي سعيد أنه عند استه، أن هذا اللواء يكون عند استه، يراه الناس وهو يرفرف عند سوءته، وعند المكان الذي يحب أن لا ينظر إليه، وهذا لزيادة فضيحته وزيادة خسته، والله المستعان.

(لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ) هذا إذا لم يتب من غدرته، الغدر مذموم، قال بعضهم:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ... لبست ولا من غدرة أتقنع

الغدر مذموم.

(يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ) يعني التي غدر بها في الدنيا.

١٥٨٦ - وعن أَبي سعيدٍ الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ». رواه مسلم[2].

الشرح:

(يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ) ربما يكون إلى رأسه، وربما يكون إلى مكان أعلى، على قدر غدرته تكون فضيحته، ﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة آل عمران:٦١].

---

(١) حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٧٣٦)، حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥)، حديث أنس أخرجه البخاري (٣١٨٧)، ومسلم (١٧٣٧).

(٢) حديث رقم: (١٧٣٨).

(أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ) ويخونهم، ولا يؤدي حقوقهم، هذه مسألة مهمة، فإن كثيرا من أمراء المسلمين لا سيما في الزمن المتأخر يظنون أن الإمارة مغنم وليست بأمانة، ولذلك لا يلتفتون إلى شأن الرعية، لا ينصحون لهم، وربما رضوا بدخول الزور فيهم، أو أذنوا به، هذا ضرر عظيم، فباب الولاية باب عظيم، أمانة، يقوم بشأن المسلمين، بإقامة الحدود، بإظهار الدين، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والناس على دين ملوكهم.

١٥٨٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أجْرَهُ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(قَالَ الله تَعَالَى) هذا يسمى حديث قدسي.

(ثَلَاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ) يعني بدل أن يخاصمك من خصمته في الدنيا كان الله عَزَّوَجَلَّ خصيمك، ومن كان الله خصيمها لك فإن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعجزه شيء ولا يكرثه شيء.

الأول: (رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ) يعني أعطى بالله، عاهد بالله، أو كفَّل الله، أو وثقوا فيه من أجل الله، كمن يظهر الدين والاستقامة والخير من أجل أن يحصل على الدنيا، ثم بعد ذلك يغدر بمن أمنه، هذه مصيبة والله، هذه إساءة، إلى الدعوة وإلى الدين، وإلى أهل الاستقامة، ولذلك استحق هذه العقوبة.

(١) حديث رقم: (٢٢٢٧).

(وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ) والحر لا يجوز أن يباع، وإنما يباع العبيد ويوهبون، ويعتقون ويحررون، أما حر يبيعه لا يجوز أن تبيع ولدك، ولا يجوز أن تسرق أحدا وتبيع، هذا كان يحصل في الزمن الماضي.

(وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) يعني: عمَّل عاملا معه في أي شأن من الشؤون، كتابة، أو حفرا، أو بناء، ثم استوفى منه ولم يعطه أجره، فينبغي للمسلم أن يكون بعيدا عن هذه الأخلاق الذميمة، ومنها الغدر.

٢٧٨ - باب النهي عن المنِّ بالعطية ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] .

وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [سورة البقرة:٢٦٢] .

الشرح:

(باب النهي عن المنِّ بالعطية ونحوها) يعني تمن على الناس بما أعطيتهم، وترفع عليهم، وتذكر نعيمك فيهم، هذا يؤدي إلى ضعفهم، وإلى حرجهم، ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [سورة المدثر:٦] .

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾) بالمن على من بذلت له الصدقة، والأذى له بالقول أو بالفعل.

(﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾) فأخبر الله أن المن يفسد الأجر، وأخبر الله أن من سلم من المن سلم له المثوبة والأجر.

١٥٨٨ - وعن أَبي ذَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ». رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ: «المُسْبِلُ إِزَارَهُ» يَعْنِي: المُسْبِلَ إِزَارَهُ وَثَوْبَهُ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ لِلخُيَلَاءِ.

(١) حديث رقم: (١٠٦).

الشرح:

الصحيح أنه لو أسبل سواء للخيلاء أو لغير الخيلاء أنه داخل في الإثم، فهذه المسألة الإثم فيها من جهتين: الخيلاء، سواء كان لباسه فوق الكعب أو دون الكعب، المسألة الثانية: الإسبال، سواء كان بخيلاء أو بدون خيلاء.

(ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) قد جاء غيرهم، إنما هؤلاء ذُكروا في هذا الحديث، قيلك لا يكلمهم كلام رحمة، وإلا فقد جاء: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص:٦٥] ، فينادي جميع من في الموقف.

(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) نظرة رحمه، وإلا فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يخفى عليه خافية، وهو السميع البصير سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(وَلَا يُزَكِّيهِمْ) أي: لا تحصل لهم الزكاة في قلوبهم ولا في أعمالهم، ولا يحصلون على الأجر والمثوبة.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): موجع.

(فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مِرارٍ) تحذيرا من هذا الباطل.

(المُسْبِلُ) لإزاره، لثوبه، **(والمَنَّانُ)** في عطيته، ونفقته وهبته.

(وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ) تاجر يبيع بالله ويشتري بالله: والله أني اشتريتها بكذا، أسألك بالله أعطني كذا، اشتر وبع بغير الحلف، الحلف ينفق ثم يمحك، فالإنسان يتقي الله عَزَّوَجَلَّ.

والشاهد: من سوق الحديث هنا: النهي عن المن بالعطية، سواء كانت العطية مالية أو العطية معنوية، مثلا واحد وفقك الله لدعوته، واهتدى على يديك، وإذا بك دائما: أنا السبب في هدايتك، أنا الذي فعلت لك، أنا الذي صنعت لك، هذا أيضا من المن، ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] .

٢٧٩ - باب النهي عن الافتخار والبغي

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [سورة النجم:٣٢] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة الشورى:٤٢] .

الشرح:

الافتخار: التطاول، على الغير، والبغي: المجاوزة.

(﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾) يعني لا تزك نفسك بما ليس فيها، تمدحها بما ليس فيها، أو بما لا تحتاج إليه، الأصل أنك لا تمدح نفسك، لكن قد تحتاج إلى مدحها إذا كان في مقابلة المبطلين الذين يحذرون من الخير وأهل الخير، فأحيانا تحتاج أن تقول: أنا عالم، إذا رأيت من يعني يقلل من شأنك ومن خيرك ومن دعوتك، وإذا كان الأمر على خلاف هذا كلنا طلاب علم، العالم طالب علم، والبادئ طالب علم، ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [سورة النور:٢١].

فأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [سورة الأعلى:١٤] ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس:٩] فالمراد هنا: بالأعمال الصالحة، تزكية النفس بالأعمال الصالحة، **«اللهم آت نفسي تقواها وزكاها أنت خير من زكاها»**، ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٢٩] .

(﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾) ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾: الوصول إلى هؤلاء بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة الشورى:٤٢] : يبغون عليهم، ويفتخرون عليهم، ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ معناه: أنه إذا كان فعله بحق ليس بمأثوم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: موجع.

١٥٨٩ - وعن عياضِ بن حمارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رواه مسلم(١).

قَالَ أهلُ اللغةِ: البغيُ: التَّعَدِّي والاستطالَةُ.

الشرح:

هذا ضمن حديث طويل قد تقدم، وليس له في مسلم إلا هذا الحديث.

(إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ) إما وحي القرآن كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [سورة الإسراء:٣٧]، ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [سورة لقمان:١٩] ، ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [سورة الفرقان:٦٣] ، أو وحي سنة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أوحى لنبيه ﷺ بالقرآن، وأوحى لنبيه ﷺ بالسنة، **«ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»**.

(أَنْ تَوَاضَعُوا) لا ترتفعوا على بعضكم، وقبل ذلك لا ترتفعوا على ربكم فتتنكرون لنعمه وعظيم فضله، وتشركون، وتندون، فأعظم التواضع التواضع لله بالتوحيد، التواضع لله بالسجود والصلاة، التواضع باتباع الكتاب والسنة، **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»**، ثم التواضع للمسلمين، لا ترتفع عليهم بنسب، ولا بمال، ولا بجاه، ولا بعلم، فالذي أعطاك هذه الأمور هو الله، لا يعجزه أن يسلبها منك، فكم من إنسان سلبت نعمته بسبب إعراضه، بسبب فخره، بسبب تكبره، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف:١٤٦] .

(حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) فيه أن البغي إنما يحصل بسبب التعالي والتعاظم والتفاخر والتطاول، وإلا لو تواضع الناس ما وقع بينهم مفاسد.

---

(١) حديث رقم: (٢٨٦٥).

(وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣] ، يعلم المسلم أن ما هو فيه من الخير من الله، وإن كان كريما، مثلا جعله الله كريما في نسبه، كريما في ماله، كريما في علمه، كريما في جاهه، يعني اجتمعت فيه أنواع المكارم، يعلم أن الله الذي وهب له ذلك، فلا يتطاول عن الغير، أو جعله الله كريما في الدين، هكذا نفس المؤدى، فسبب التطاول على الناس هو عدم التواضع، وسبب الفخر على الناس هو عدم التواضع، «من تواضع لله رفعه الله».

١٥٩٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». رواه مسلم[1].

والرواية المشهورة: «أَهْلَكُهُمْ» بِرَفعِ الكاف وروي بنصبها: وذلكَ النْهيُ لِمنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ لِما يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّنًا عَلَيْهِمْ وعَلَى الدِّينِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَمَاءُ وفَصَّلُوهُ، وَمِمَّنْ قَالَهُ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ: مالِكُ بن أنس، وَالخَطَّابِيُّ، والحُمَيدِي وآخرونَ، وَقَدْ أَوْضَحْتُهُ في كتاب: (الأذْكار).

الشرح:

(إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ) هذا إذا كان على سبيل الاحتقار، ويرى نفسه، كما يقول العامة: فلان يرى نفسه، أما إذا كان يخبر بالواقع الحال: هلك الناس بالشر والفساد ويخشى على نفسه أن يلحقه ما لحقهم هذا لا محظور فيه.

لكن إذا كان يرى نفسه هنا يُذم، إذا قال الرجل: هلك الناس، ويتطاول، يقول: إلا أنا، لأن بعضهم إذا أراد أن يمدح نفسه يذم غيره، وبعضهم إذا أراد أن يمدح نفسه يظهر التواضع، ولذلك قالوا: أسوأ أنواع المدح إظهار التواضع لمدح النفس.

(١) حديث رقم: (٢٦٢٣).

(فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ): أشدهم هلاكا؛ لأنه رأى نفسه، ونسي فضل ربه عليه، وتثبيت ربه له.

٢٨٠ - باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلاَّ لبدعة في المهجور، أَوْ تظاهرٍ بفسقٍ أَوْ نحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة:٢] .

الشرح:

(إلاَّ لبدعة في المهجور، أَوْ تظاهرٍ بفسقٍ أَوْ نحو ذَلِكَ) نعم بهذا القيد، تحريم الهجر بين المسلمين، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يهجره»، إلا إذا كان مبتدعا فالمبتدع يهجر، وعن باطل يزجر؛ لأن مخالطة المبتدعة سبب للتأثر بهم، وربما السير بسيرهم، ومن جالس جانس، و «المرء على دين خليله»، ومن خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته.

والهجر لأرباب البدع، وأما عوام الناس يُترفق بهم، ويدعون إلى الاستقامة وإلى السنة وإلى الخير، فإن أبوا يعرض عنهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة النجم:٢٩] ، وهكذا من تظاهر بفسق يُنظر إليه، صاحب الفسق ينظر إليه، يفصل في شأنه.

المبتدع يُهجر مطلقا حتى يتوب من بدعته، والأصل في ذلك هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وما جاء في ذلك: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٦٨] ، وأما صاحب الفسق فإن كان هجره يؤدي إلى ترك الباطل فيُهجر، أو كان هجره سيؤدي إلى ضعفه في هذا الباب يهجر، أما إذا كان هجره سيؤدي إلى زيادة في الباطل فيصبر عليه، ويدعى له، وينصح.

(﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾) ومن أمور الصلح ألا يتهاجروا.

(﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾) والهجر في غير محله من الإثم والعدوان.

١٥٩١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاث». متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

تقدم الكلام على أغلب فقرات هذا الحديث، وأما هجر الثلاثة الأيام في الخلافات الدنيوية والخلافات الشخصية رخص فيه الإسلام؛ حتى يذهب ما في النفس، أما إذا استمر بعد الثلاثة أيام هذا دليل على أنه قد تولد في قلبه حقد وغل على المسلم، وهو غير مأمور بهذا.

١٥٩٢ - وعن أَبي أيوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». متفق عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

يعني: خير الرجلين وخير المسلمين سواء من الرجال أو النساء الذي يبدأ بالسلام، ويعاجل بالصلح، أما الهجر فوق ثلاث لغير ما مسوغ شرعي لا يجوز، فإن الإعراض عن المسلمين سبب لقسوة قلوبهم، وسبب لتنافر أبدانهم، وسبب لضيق صدورهم، والإسلام جاء بسد ذرائع الفتن.

(١) انظر الحديث (١٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

وفيه أن من تنازل عن حقه أفضل من غيره، فانظر إلى هذا بدأ بالسلام، وتنازل عن حقه، وقرب من أخيه، فكان خيرهما؛ لمبادرته ولمسارعته، ولطاعته لربه، وبعده عن طاعة الهوى والشيطان والنفس.

١٥٩٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا وعيد عظيم، ووعد كريم، الوعد في قوله: **(تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا):** يتجاوز، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء:٤٨]، ولذلك على الإنسان أن يُحدث توبة دائما من جميع المعاصي، ومنها الشرك، فإنك قد تقع فيه بدون أن تشعر أنك أشركت، بالقول، أو بالفعل، أو بالاعتقاد، وأحيانا يكون الشرك شركا لفظيا، فالإنسان يحدث توبة بين الحين والأخر من جميع ذنوبه ومعاصيه.

وهذا دليل على خطر الشرك، إذ لا يغفره الله، سواء الشرك الأكبر أو الأصغر، وهذا هو الصحيح، إن الله لا يغفر إشراكا به، وهو اختيار شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، والشيخ ابن عثيمين، والسعدي من المتأخرين، على ما بيناه وحققناه في كتابنا (فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب).

(لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا) وإن كبُر أو صغر، الشرك ذنب عظيم، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [سورة المائدة:٧٢] ، وهذا أيضا محمول على الصغائر، أما الكبائر لا بد فيها من توبة عند جماهير أهل العلم.

---

(١) حديث رقم: (٢٥٦٥).

(إِلاَّ امْرَءًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ) يعني: تهاجر تقاطع تدابر.

(فَيُقَولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) والعجب أن كثيرا من المسلمين يبقى أحدهم على الشحناء ولا يلتفت مع قراءته لمثل هذه الأحاديث وسماعه مثل هذا الحديث؛ انتصارا لنفسه، ولو تواضع لربه واعتذر من أخيه لسلم شأنه.

١٥٩٤ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». رواه مسلم[1].

(التَّحْرِيشُ): الإفْسَادُ وتَغْيِيرُ قُلُوبِهِمْ وتَقَاطُعُهُم.

الشرح:

هذا الحديث من الأحاديث التي رفع بها الصوفية عقائرهم، وكلما بينا لهم الشرك الموجود في عبادة القبور، وتعظيم القبور، والذبح للقبور، والنذر للقبور، قالوا: يقول النبي ﷺ: **(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ)** أي: ما هناك شرك في جزيرة العرب، وهذا لجهلهم من أمور:

الأمر الأول: أن هذا يأس الشيطان، وليس بخبر الرحمن، الشيطان يئس.

الأمر الثاني: أن الشيطان يئس لما رأى قوة أهل الإيمان.

الأمر الثالث: أن النبي ﷺ يقول: **«لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حيل ذي الخلصة»**، والنبي ﷺ يقول: **«لا تقوم الساعة حتى يُعبد اللات والعزى»**.

ثم الواقع شاهد على أن الشرك موجود، لما يذهب الناس إلى قبر هود يدعونه من دون الله، ويذبحون له من دون الله، وينذرون له من دون، ويطوفون بقبره، وتجد

(١) حديث رقم: (٢٨١٢).

الرغبة والرهبة، ثم يقول لي: ما في الشرك، هذا كلام من لا يعقل معنى التوحيد ومعنى الشرك.

(وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) وانظر هذه الأيام قد أدخلوا معابد للبوذيين في جزيرة العرب، يقول: ما في الشرك، قد أدخلوا معابد الهندوس، يقول: ما في الشرك، ربما تجد في بعض المناطق يهود، ما في شرك؟ الشرك موجود، سواء من المشركين الظاهرين الكافرين المعلوم كفرهم بأدلة القرآن والسنة، أو من الكافرين المشركين المنددين المعلوم كفرهم بأدلة القرآن والسنة، من عباد القبور، من الصوفية، لا يُمترى في كفرهم، ولا يتشكك في كفرهم.

من يدعو محمدا من دون الله، أو يدعو العيدروس، أو يدعو البدوي، أو يدعو الدسوقي، أو يدعو المحضار، أو يدعو الهادي، أو يدعو غيرهم من دون الله: هات لي منك يا ابن موسى إغاثة ...، لا يُمترى في كفرين.

وهكذا الرافضة الذين يكفرون صحابة النبي ﷺ، ويتهمون عائشة بما برأها الله منه، ويكذبون بالسنة، وأشياء كثيرة، لا يُمترى في كفرهم، فما يأتي جاهل من الجهال ويقول: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، يئس الشيطان، يئس في ذلك الوقت، أما الآن قد حصل الأمر الذي تخوفه النبي ﷺ.

(وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) يعني التحريش حتى يقع بينهم الشحناء والبغضاء، والتقاطع والتدابر، والقتل والقتال.

١٥٩٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ». رواه أَبُو داود بإسناد عَلَى شرط البخاري ومسلم[1].

الشرح:

هذا من أدلة الوعيد، وإلا فهو داخل تحت المشيئة، وهذا دليل على أن الهجر بدون مسوغ شرعي يُعتبر من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، فإن ضابط الكبيرة: ما تُوعد عليه بنار، أو حرمان من جنة، أو حد، أو لُعن صاحبه، أو براء من صاحبه، ونحو ذلك.

١٥٩٦ - وعن أَبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ ويقالُ: السُّلَمِيّ الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[2].

الشرح:

وهذه مصيبة، يعني أن يقع التهاجر بين أخوين سنيين سلفيين لهذه المدة الطويلة، كقتله، نسأل الله السلامة، كسفك دمه يعني: في الإثم.

فعلى الناس أن يعالجوا أنفسهم من هذه الكبيرة والمعضلة، واجعل هجرك على مقتضى الكتاب والسنة، ومواصلتك على مقتضى الكتاب والسنة، وهذا الهجر كما قلت لكم: فيما يكون من الشؤون الشخصية، أما أهل البدع لا يدخلون في هذا العموم.

---

(١) حديث رقم: (٤٩١٤).

(٢) حديث رقم: (٤٩١٥).

١٥٩٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوقَ ثَلَاثٍ، فإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ». رواه أَبُو داود بإسناد حسن[1].

قَالَ أَبُو داود: إِذَا كَانَتْ الهِجْرَةُ للهِ تَعَالَى فَليسَ مِنْ هَذَا في شَيْءٍ.

الشرح:

(فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ) جميعا الهاجر والمهجور.

(وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ) الذي لم يرد ولم يقبل السلام.

فهذا دليل على أنك إذا لم يرض أخوك بالصلح معك لا تتخلف أنت عن الصلح عن المبادرة إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، إلى امتثال أمر رسول الله ﷺ، وتبشر إن شاء الله من الله بالخير العظيم.

(١) حديث رقم: (٤٩١٢).

٢٨١ - باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلاَّ لحاجةٍ وَهُوَ أن يتحدثا سراً بحيث لا يسمعهما وفي معناه مَا إِذَا تحدثا بلسان لا يفهمه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [سورة المجادلة:١٠] .

الشرح:

وهذه فتوى طيبة، قد يكون عندك ثلاثة يتكلمون لغة غير لغتك، فإذا ما أنكرت عليه وقلت لهم: كيف تتحدثون وتتناجون دوني؟ يقولون لك: نحن ثلاثة؟ لكن ثلاثة لم تؤمن غائلتهم، يتحدثون بغير لسانك.

١٥٩٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كانُوا ثَلاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ». متفق عَلَيْهِ[١].

ورواه أَبُو داود وزاد: قَالَ أَبُو صالح: قُلْتُ لابنِ عُمرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ[٢].

ورواه مالك في (الموطأ)[٣]: عن عبد الله بن دينارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بنُ عُقْبَةَ الَّتي في السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا آخَرَ حَتَّى كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الثَّالِثِ الَّذِي دَعَا: اسْتَأْخِرَا شَيْئًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ».

الشرح:

مفهومه: إذا كانوا أربعة أو خمسة لا حرج.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٨)، ومسلم (٢١٨٣).

(٢) سنن أبي داود عقب (٤٨٥٢).

(٣) حديث رقم: (٢٨٢٦) برواية الليثي.

١٥٩٩ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وفي هذا الحديث سد ذرائع الشر، وسد ذرائع الفتن، والحرص على تآلف القلوب وعلى تحابها، فهو أصل في باب سد الذرائع.

وفيه أن الإسلام دين كامل شامل، يعالج جميع الأمور.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

٢٨٢ - باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد علَى قدر الأدب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء:٣٦] .

الشرح:

(النهي عن تعذيب العبد) مع أنه ملك لك، تستطيع أن تبيعه كما تبيع الحمار، وتستطيع أن ترهنه كما ترهن السلاح، وإذا مات ورثه أبناءك، ومع ذلك لا تعذبه، له حق.

(والدابة) مع أنها حيوان، لكنها لها إحساس، فظلمها لا يجوز، والنبي ﷺ يقول: **«والشاة إن رحمتها رحمك الله»**.

(والمرأة) الزوجة، سماها صاحبة، رحمة، مودة، فإذا لم تكن مع زوجتك على هذه الخلال فانظر في شأنك، وانظر في شأنها، وعالجوا أمركم بالتي هي أحسن، ما من مشكلة إلا ولها حل، يستطيع الرجل أن يجلس مع زوجته ويقول لها: يا بنت الناس كثر المشاكل بيننا، وكثر الخلاف، وإلى متى هذا؟ والله عَزَّوَجَلَّ جعل الزواجة رحمة، وجعل الزواجة مودة، وجعل الزواجة أُنس، فهي سترد عليه، وتقول له: أنا أريد ذلك.

فيتفقان على حسن الكلام، حسن العشرة، ويفتحان صفحة جديدة، كما يقول العوام: نفتح صفحة جديدة، افتح صفحة جديدة مع زوجتك، مع ولدك، مع جارك، مع إخوانك.

(والولد) أيضا الولد يحتاج إلى ترفق في الكلام، إلى ترافق في الفعال، وإن ضُرب بمقدار، ليس للتعذيب، لا تضرب ولدك ولا زوجتك ولا عبدك ولا دابتك ضرب تعذيب، إذا كنت ولا بد ضرب تأديب، بل أحيانا التعذيب بالكلام المعقول أبلغ.

(بغير سبب شرعي أَوْ زائد عَلَى قدر الأدب) بعضه قد يكون بدون سبب، دائما هو وأهله وأولاده في خصام بدون سبب، وبعضه قد يكون هناك سبب، لكن تأديبه أعلى من السبب، يؤدي إلى الفساد.

(﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾) أي: أمر الله بالإحسان إلى الوالدين إحسانا، وبذ القربى أيضا يحسن إليهم، واليتامى يحسن إليهم، في خطابهم، في تربيتهم، في غير ذلك؛ لأنه حساس أكثر من غيره، والمساكين المحتاجين الفقراء، والجار ذي القربى الجار القريب الذي هو مشترك معك في النسب والقرابة، والجار الجنب، الجار البعيد.

والصاحب بالجنب، قيل: الزوجة، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم كل هؤلاء يحتاجون إلى الترفق والإحسان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ [سورة النساء:٣٦] في مشيه، ﴿فَخُورًا﴾ [سورة النساء:٣٦] في صوته، أو مختالا في فعله أيضا فخورا على الناس في شأنه.

١٦٠٠ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». متفق عَلَيْهِ[1].

«خَشَاشُ الأرضِ» بفتح الخاءِ المعجمة وبالشينِ المعجمة المكررة، وهي: هَوَامُّها وَحَشَرَاتُهَا.

الشرح:

(عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ) حميرية سوداء جاء في بعض الروايات: حميرية سوداء.

(فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ) مع أنها هرة، يعني ليست حتى من الحيوان الذي له منزلة كبيرة، إن عاشت هرة، وإن ماتت هرة.

(فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ) لماذا؟ لأنها عذبتها، (لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا) وإلا لو أطعمتها لكانت محسنة، وربما كان ذلك من أسباب تجاوز الله عنها.

(وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) يعني: تأكل من هوام الأرض، من الفئران، من الوزغ، من كذلك الضفادع، الثعابين، هذا سبحان الله القط إذا وجد الثعبان يصارعه مصارعة، يتلذذ بمصارعته، فتجد الثعبان يقوم ويرتفع، والقط يلعب بيديه هكذا يعمل له، ويتقرب ويتأخر، وفي الأخير يعطيه ملطاما واحدا حتى يفقده صوابه، فتتركها تأكل خشاش الأرض.

يقولون: إذا قرصه الثعبان في أي مكان يتعالج، إلا إذا قرصه في الرأس؛ لأن ريقه فيه شفاء، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

١٦٠١ - وَعَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. متفق عَلَيْهِ[1].

(الغَرَضُ) بفتحِ الغَين المعجمة والراءِ وَهُوَ الهَدَفُ وَالشَّيءُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ.

الشرح:

لأنه تعذيب له، يراهم وهم يرمونه، ثم الثاني يرميه، ثم الثالث، نسأل الله السلامة والعافية، ومن هذا الباب لعبة تناطح الثيران في إسبانيا، هناك مسابقة سنوية، هذا حرام وظلم، يجعلون الثيران تتناطح حتى يموت بعضها بعضا.

وهكذا لعبة تناقر الديوك، يجمعون ديوكا ويجعلون بينها هذه اللعبة، حتى يخمشه في وجهه، يخمشه في رأسه، حتى يميته، يقع بينهم المصارعة حتى يقتل بعضهم بعضا، هذا كله حرام.

١٦٠٢ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نهى رسُولُ الله ﷺ أن تُصْبَرَ البَهَائِمُ. متفق عَلَيْهِ[2].

ومعناه: تُحْبَسُ لِلقَتْلِ.

الشرح:

وترى بعضها بعضا، والنبي ﷺ أمره أن ينحي الشهرة، **«أتريد أن تميتها ميتات؟»**.

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٥)، ومسلم (١٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦).

١٦٠٣ - وعن أَبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلاَّ وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ: «سَابِعَ إِخْوَةٍ لِي».

الشرح:

يعني كفارة لذنبهم؛ لأنه لا يجوز له أن يلطمها بدون سبب.

١٦٠٤ - وعن أَبي مسعودٍ البدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رسولُ الله ﷺ فإذا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ». فَقُلْتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وَفِي روايةٍ: فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ.

وفي روايةٍ: فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ». رواه مسلم بهذه الروايات[2].

الشرح:

دليل على أنه لا يجوز أن يُضرب العبد بغير جريرة، ولا أن يُظلم، وأن «الظلم ظلمات يوم القيامة»، سواء للابن، أو للزوجة، أو للعبد أو للدابة، ما يقول بعضهم: هو ابني مالك دخل، أو: زوجتي ما لأحد دخل، أو: دابتي أنا حر فيها، هذا ليس إليك، أنت لست بحر حرية مطلقة، أنت حريتك مقيدة بالكتاب والسنة.

(١) حديث رقم: (١٦٥٨).

(٢) حديث رقم: (١٦٥٩).

١٦٠٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ فإنَّ كَفَارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا دليل على أن هذه الأفعال كبائر، «لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ» دليل على أن ذلك كبيرة، وأيضا (مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ فإنَّ كَفَارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ) دليل على أن لطمه بغير حق كبيرة وجريرة، إلا أن السيد لا يُلطم بعبده، ولا يضرب بعبده، فلذلك كانت الكفارة أن يقوم بعتقه.

١٦٠٦ - وعن هِشام بن حكيم بن حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه مَرَّ بالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ، وَقَدْ أُقِيمُوا في الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قيل: يُعَذَّبُونَ في الخَرَاجِ - وفي رواية: حُبِسُوا في الجِزْيَةِ - فَقَالَ هِشَامٌ: أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاس في الدُّنْيَا». فَدَخَلَ عَلَى الأمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا. رواه مسلم[2].

(الأنباط): الفلاحون مِنَ العَجَمِ.

الشرح:

مع أنهم كفار، انظر كفار، ومع ذلك نهى هذا الصحابي عن عذابهم؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا.

هذا الحديث سينال منه الرافضة القسط الأكبر، القسط الكثير، سواء في العراق، أو في إيران، أو في لبنان، أو في اليمن، أو في غير ذلك من البلدان، كم يعذبون في

(١) حديث رقم: (١٦٥٧).

(٢) حديث رقم: (٢٦١٣).

المسلمين؟ يعذبونهم عذابا شديدا، وهكذا الأمن القومي في كثير من البلدان يعذب الناس عذابا شديدا يخرجهم عن الاعتدال.

إن كان ولا بد له تحقيقات يحقق بالمعروف، أما العذاب الذي يؤدي إلى بتر بعض الأعضاء، أو استخدام المسامير، أو تعليق أشياء في آلته وفي خصيته، أو كذلك تقطير الأمور الحارة على رأسه، أو التعليق، هذه من أشد العذاب، وسينالون مغبة ذلك، إما في دنياهم، وإما في أخراهم.

يذكرون عن بعض المحققين في زمن عبد الناصر: أنه كان شديد التعذيب للناس بالحديد، وكانوا يتألمون ويصيحون، عذاب بحديد، ما هو سهل، وهو يضحك عليهم، فقتله الله قتله عجيبة: دخل الحديد في كل أجزائه.

فننصح المسلمين أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وننصح من تبلغ هذه النصيحة: أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، **«لا يعذب بالنار إلا رب النار»**، وكذلك لا يتفنن في تعذيب الناس، هذه طرق سلكها النصارى في تعذيب المسلمين في الأندلس.

وكثير من الطرق النفسية أيضا سلكتها أمريكا في تعذيب الذين سجنتهم في غُنتونامو، مع أنهم يدعون إلى الحرية، إلا أنهم سلكوا مسالك كثيرة للتعذيب النفسي، وربما الجسدي، فنسأل الله ألا يجعل لهم علينا ولا على غيرنا من المسلمين سبيلا.

لكن هذا نقوله عليهم أن يتقوا الله، **(إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاس فِي الدُّنْيَا)**، والله لو لم يعذبهم في الدنيا سيعذبهم في الآخرة، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [سورة النبأ:٢٦] ، إذا كان **«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ فيها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»** كيف بمن قتل غيره ظلما وعدوانا بالحديد والنار والمناشير والمسامير وانتهاك الأعراض؟ كيف سيكون مآلهم بين يدي الله؟ يعذبون في نار وقودها الناس والحجارة، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الليل:١٤-١٦].

وهكذا حتى بعض الآباء في هذه الأزمنة الأخيرة ظهر أن منهم من يعذب ولده حتى يموت، هذه مصيبة، هذه قلة خوف من الله، قلة ورع، قلة رحمة، «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»، «من لا يرحم الناس لا يُ».

١٦٠٧ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رأى رسولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الوَجْهِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «واللهِ لا أَسِمُهُ إِلاَّ أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ» وأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَ فِي جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم[1].

(الجَاعِرَتَانِ): نَاحِيَةُ الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.

الشرح:

مع أن الحمار ربما كُوي لمصلحة نفسه علاجا، ومع ذلك نُهي عن ذلك.

١٦٠٨ - وعنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ». رواه مسلم[2].

وفي رواية لمسلم أَيضًا[3]: نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ فِي الوَجْهِ.

الشرح:

إذًا صارت آداب للضرب، وصارت آداب للوسم، وصارت آداب لكل شيء يتعطاه الناس، فعلى الناس أن يلتزموا الشرع.

(١) حديث رقم: (٢١١٨).

(٢) حديث رقم: (الذي في (صحيح مسلم) (٢١١٧) من حديث جابر، وليس من حديث عبد الله بن عباس.

(٣) حديث رقم: (٢١١٦) من حديث جابر بن عبد الله.

٢٨٣ - باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتَّى النملة ونحوها

١٦٠٩ - عن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بعثنا رسولُ الله ﷺ في بَعْثٍ، فَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا» لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا «فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ»، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ حِيْنَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ: «إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وفُلانًا، وإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلاَّ الله، فإِنْ وَجَدْتُمُوهُما فاقْتُلُوهُما». رواه البخاري[1].

الشرح:

«لا تعذبوا بعذاب الله»، فعذاب الله بالنار، حتى وإن آذاك من آذاك، وإن كان لك حق في بعض عذاب لا تعذب بالنار.

ومنها: العذاب بالكهرباء، هذا من العذاب بالنار، نسأل الله السلامة والعافية.

١٦١٠ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنَّا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»، ورأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ قَالَ: «إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[2].

قَوْله: (قَرْيَةُ نَمْلٍ) مَعْنَاهُ: مَوضِعُ النَّمْلِ مَعَ النَّمْلِ.

الشرح:

انظر كيف رحم الحُمَّرة والقُمَّرة، ونحو ذلك.

---

(١) حديث رقم: (٣٠١٦).

(٢) حديث رقم: (٢٦٧٥).

ومعنى (تعرش) أي: تطهير هكذا كالتي تشتكي، أو كالتي تبحث عن غائبها، وهذا دليل على أن الحيوان يتألم ويحس ويفقد، والله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه:٥٠] ، من أجل هذا، من أجل أن ترحمها، وتبقى الحياة، تستمر الحياة، البقرة تعطف على ولدها، والناقة تعطف على ولدها، بل الثعبان مع ولده على الترفق، والأسد مع ولده على الترفق، فلا إله إلا الله.

قوله: (مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا؟) دليل على أنه فُجعت وأمر النبي صلى الله برد ولدها ورفع الظلم عنها، فكيف بالأمر برفع الظلم عن المسلمين؟ الذين يستضعفون، والذين يعذبون، والذين يلحقهم كثير من البلاء، نسأل الله السلامة والعافية، وهكذا **(إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ)**.

٢٨٤ - باب تحريم مطل الغني بحقٍّ طلبه صاحبه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨] .

وقال تَعَالَى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [سورة البقرة:٢٨٣].

الشرح:

«مطل الغني ظلم»، عندك حق للغير إن طلبك أعطه حقه، ما عندك شيء ألن له الكلام واعتذر منه، «لصاحب الحق مقالا»، وفي المقابل صاحب الحق أيضا يترفق؛ لأن المديون والظالم أحيانا يحتاج إلى نوع ترفق.

(﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾) ومنها الديون، تعتبر أمانات، فإذا كنت مستطيعا لتأديتها فعاجل بأدائها، وإن كنت عاجزا عن ذلك فاعتذر بالتي هي أحسن.

١٦١١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَع». متفق عَلَيْهِ[1].

معنى «أُتبع»: أُحِيل.

الشرح:

مفهوم الحديث: أن مطل غير الغني ليس بظلم.

(وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ) يعني إذا كان هذا المستدين يقول لك: خذ الدين من فلان (وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَع) بهذا القيد «على مليء»، أما إذا كان على غير مليء لا يلزمه الإتباع.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤).

٢٨٥ - باب كراهة عود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إِلَى الموهوب لَهُ، وفي هبة وهبها لولده وسلمها أَوْ لَمْ يسلمها، وكراهة شرائه شَيْئًا تصدّق بِهِ من الَّذِي تصدق عَلَيْهِ أَوْ أخرجه عن زكاة أَوْ كفارة ونحوها، وَلا بأس بشرائه من شخص آخر قَدْ انتقل إِلَيْهِ

(وفي هبة وهبها لولده وسلمها أَوْ لَمْ يسلمها) منع أهل العلم: إذا كان قد لحق الولد بسبب هذه الهبة معاملة لولا تلك الهبة ما عومل بها، كرجل لا يزوج ابنته إلا على صاحب سيارة، فقام أبوه ووهب له سيارة، ثم بعد أن زُوج الولد قال: أريد السيارة، هنا لا ترد له السيارة؛ لأنه ما زُوج إلا من أجل السيارة.

أما غير ذلك فيجوز للوالد أن يسترد هبته لولده، وإن تركها فهو أحسن.

(وكراهة شرائه شَيْئًا تصدّق بِهِ من الَّذِي تصدق عَلَيْهِ أَوْ أخرجه عن زكاة) كما يفعله كثير من الناس يتصدق ببكرة أو بابن لبون أو بنت مخاض ثم بعد ذلك يتابعها ويشتريها، هذا لا يجوز؛ لأنها قد خرجت من ملكه بحق.

(وَلَا بأس بشرائه من شخص آخر قَدْ انتقل إِلَيْهِ) هذا إذا لم يكن هناك حيل، لكن الصحيح أن هناك حيل، والنبي ﷺ قد قال لعمر: **«لا تشتره ولا تعد فيه، ولو أعطاك بدرهم»**.

١٦١٢ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **«الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ»**. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية: **«مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأْكُلُهُ»**.

وفي روايةٍ: **«العائِدُ فِي هِبَتِهِ كالعائِدِ فِي قَيْئِهِ»**.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢١) و (٢٦٢٢)، ومسلم (١٦٢٢).

الشرح:

هذا دليل على أن العود في الهبة حرام؛ لأن أكل القيء حرام، وأن الحيوان لا يأكل قيئه إلا ما كان من الكلب؛ لأنه حيوان خسيس، حيوان ليس بشريف.

ويذكرون: أن الكلب أراد أن يكون أسدًا، فذهب إلى ملك الغاب، فقال له: أيها الملك أخرجني من طور الكلاب إلى طور الأسود، قال أنت: لا يصلح لك إلا أن تبقى كلبًا كما هو الحال، قال: جربني وإن شاء الله تجدني عند حسن الظن، فالمهم قال له: هذه قطعة لحم احفظها إلى الغد، فإذا أتيت بها فأنت أسد، وإن أكلتها فأنت كلب.

المهم: أخذ اللحمة، وذهب إلى مكانه، ثم وضعها، وما طابت نفسه أن يجلس، كلما وقت ونظر إلى اللحمة، يريد يتحرك وينظر إلى اللحمة، في نفسه ما استطاع، في آخر المطاف قال: آكل اللحمة وأبقى كلبًا، ما فيه؟ المهم بقي على ما هو عليه.

فالشاهد: أن الكلب لا يمكن أن يتحول إلى أسد، إياك أن تغرك المظاهر، وتظن كلبا يصير أسدًا، الكلب كلب، ضرب الله به مثل السوء.

هذه القصص يذكرها مثل ابن المقفع، ويذكرها مثل غيره، ويتناقلها الناس، لا على الإنكار.

١٦١٣ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أن أَشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ؛ فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ». متفق عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ الله) مَعنَاهُ: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى بَعْضِ المُجَاهِدِينَ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٠)، ومسلم (١٦٢٠).

الشرح:

(حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبيلِ الله) أي: وهبه لمن يقاتل عليه.

(فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِندَهُ) يعني لم يهتم به حتى ضعف، وصار على غير ما كان عليه.

(فَأَرَدْتُ أن أَشْتَرِيَهُ) منه، شراء، ليس يعود به.

٢٨٦ - باب تأكيد تحريم مال اليتيم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [سورة النساء:١٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٢].

وقال تَعَالَى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [سورة البقرة:٢٢٠] .

الشرح:

(تأكيد تحريم مال اليتيم) وتحريم مال غيره، إلا أن مال اليتيم أكثر؛ لأن الجرأة تكون عليه أكثر؛ لعدم وجود المطالب، وعلى وجود الراحم، لا سيما إذا كان المتولي لمال اليتيم غير عادل وغير مراقب لربه.

(﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾) حتى لو لبسها، حتى لو بنا بها، حتى لو اشترى بها سيارة، إنما ذكر الأكل على الغالب، وإلا فآكل مال يتيم بأي تصرف كان فهو داخل تحت الوعيد.

(﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾) التي هي أحسن: أن يتاجر له فيها إذا خشي أن تذهبها الزكاة، أو خشي أن تُذهبها النفقة، ليس بالتي هي أحسن: أن يستخدمها كما يريد وكأنها ملك له.

(﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾) وعن أموالهم (﴿قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ﴾) إصلاح المال لهم خير من إنفاقه من إتلافه، (﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ﴾) عند أكلكم وعند شربكم؛ لأنه شق عليهم التحرز (﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾) لا محظور، لكن بالمعروف.

(﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾) الذي يقول: أنا أريد أصلح مال اليتيم وهو كذاب الله يعلمه، والذي يريد أن يصلحه سيوفقه الله.

١٦١٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحَقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عَلَيْهِ(١).

(المُوبِقَاتِ): المُهْلِكات.

الشرح:

قوله: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ) أي: المهلكات، وهي أكثر من سبع، إنما سميت هنا سبعا؛ لاجتماعهن في هذا الحديث.

(قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟) سؤال عما يشكل، وعما لا يعلم.

(الشِّرْكُ باللهِ) بدأ به؛ لخطره وضرره وشدته، فإن المشرك يخلد في نار جهنم، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [سورة المائدة:٧٢] ، المشرك شركا أكبر يخلد في نار جهنم.

ولهذا نحذر عباد القبور ونحذر الرافضة والباطنية والصوفية ومن تأثر منهم من الإباضية ومن غيرها من الطوائف: أن يعاجلوا بتوبة قبل أن يقفوا بين يدي الله وهم يشركون ويندون ويدعون غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويذبحون وينذرون لغير الله، فإن هذا من الشرك الذي لا يغفره الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦]

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(والسِّحْرُ) أيضا كفر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] ، فمعلمه ومتعلمه ومتعاطيه ومصدق أصحابه كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، إن مات عليه يخلد في النار وبئس القرار، والله المستعان.

(وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحَقِّ) من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٩٣] ، حتى وإن كانت النفس كتابية، أو مستأمنة، لا يجوز أن تقتل إلا بحق شرعي.

(وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ) وهو الشاهد هنا.

(والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ): الفرار من الزحف، وذهب بعضهم إلى أن هذا منسوخ، والصحيح أنه غير منسوخ وأنه محكم،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأنفال:١٥-١٦].

(وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ) بالزنا، هذه كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظائم الآثام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنفال:١٥-٢٥].

وأشد ذلك قذف زوجات النبي ﷺ، ويُخص منهن عائشة على وجه الخصوص، مع أن جميعهن يدخلن في هذا الحكم.

٢٨٧ - باب تغليظ تحريم الربا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٥-٢٧٦]، إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٨] [(١)].

وأما الأحاديث فكثيرة في الصحيح مشهورة، مِنْهَا حديث أَبي هريرة السابق في الباب قبله[(٢)].

١٦١٥ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ. رواهُ مسلم، زاد الترمذي وغيره: وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ[(٣)].

الشرح:

والربا هو: الزيادة، وينقسم إلى قسمين: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل: أن تبيع ربوي بجنسه متفاضلا، وربا النسيئة: أن تبيع الربوي بجنسه مؤخرا، حتى وإن لم يكن متفاضلا فهو حرام.

وحديث **«إنما الربا في النسيئة»** يعني: أغلب الربا، وإلا فربا الفضل هو ربا الجاهلية، (إما أن تقضي وإما أن تربي).

---

(١) {فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}.

(٢) انظر الحديث (١٦١٤).

(٣) أخرجه: مسلم (١٥٩٧)، وأبو داود (٣٣٣٣)، وابن ماجه (٢٢٧٧)، والترمذي (١٢٠٦)، وجاء عن جابر، والزيادة من حديث جابر.

وهنا يقول: (﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾) دليل على إثبات المس الشيطاني، فيقوم هذا المرابي يوم القيامة كالمجنون يصرع، ما يتمالك في مشيته واستقامته، والسبب:

(﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾) عندهم تلبيس ومكر وتحريف، فأحلوا ما حرم الله.

(﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾) عن تراض، (﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾)؛ لأنه من أكل أموال الناس بالباطل، (﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾): أمر بترك الربا، وعلم بتحريمه، (﴿فَٱنتَهَىٰ﴾) عن الربا، (﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾) في الأزمان الماضية، يتوب، (﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أما من كان الربا لم يستلمه بعد يرده إلى صاحبه.

وقيل: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ هذا قبل أن يأتيه الأمر بالتحريم؛ لأن أكل أموال الناس بالباطل لا تجوز مطلقا.

(﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾): يُذهبه ويتلفه يهلكه.

(﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾): ينميها ويقبلها، وتنمو في كف الرحمن كما ينمو فلو أحدكم أو فصيله.

ثم هدد بحرب من الله ورسوله لمن استمر على الربا، حرب الله يغير ماله إلى القليل، «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلا قلة**»، وحرب رسوله بإقامة الحدود، وهكذا غير الرسول ﷺ من أولياء الأمور، يقوم بأطر المرابين، وبسجنهم إن استحقوا السجن، وبمنعهم من الربا.

وبهذا تعلم أن هذه البنوك المنتشرة في البلدان ينبغي أن تُغلق، أو تحول معاملتها إلى معاملات شرعية، أما المعاملات الربوية فإنها من أسباب ذهاب البركات وحصول النقمات.

وانظروا إلى الانهيار العالمي في الاقتصاد، كثير من الناس يظنون أنه لأمور سياسية أو لأمور اقتصادية ونحو ذلك، نعم هذه من الأسباب، لكن هناك سبب عظيم، وهو: أن أغلب العالم يتعامل مع البنوك الدولية، ومع البنوك الربوية، والقروض بين الدول قائمة على هذا، فهذا هو الذي سبب ما يعانيه العالم من الانهيار الاقتصادي، **«ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة»**.

يقولون: في العام الماضي إيلون ماسك هذا الذي اشترى تويتر بخمسة وأربعين مليار دولار، خسر مائتين مليار دولار، وأدخلوه في (موسوعة غينيس للأرقام القياسية) على أنها أعظم خسارة في التاريخ.

وهكذا صاحب العملات الرقمية خسر تسعة عشر مليار دولار، وكثير من الناس في هذا العام كثير من الشركات مثل شركة أمازون وشركات عالمية تتعامل بالعملة الإلكترونية، تتعامل بالربا، تتعامل بهذه الأشياء، أعلنت الإفلاس، وبعضها يعلن تخفيض العُمَّال والخسارة التي لحقتهم.

وهكذا الدول، أغلب الدول في هذا العام تعاني من الركود الاقتصادي، وتعاني كذلك من الإفلاس، حتى أمريكا مهددة بالإفلاس، لولا أنها تضغط على العالم بسمعتها القديمة، وإلا مهددة بالإفلاس، والسبب الربا.

وسيفلسون، وسينهارون جميعا؛ لأنه وعد الله سبحان وتعالى، توعد أن من لم ينته من الربا بحرب من الله يحاربهم، وإذا حاربهم عجزوا عن النصر وكان مآلهم إلى الخسارة، فنسأل الله أن يحاربهم، آذونا، أدخلوا الربا في كثير من المعاملات، هكذا أدخلوا التأمينات، أدخلوا الضرائب، أدخلوا الجمارك، أكل أموال الناس بالباطل من

أوجه عدة، فنحن ننتظر تأديب الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وانتقام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى منهم، والله المستعان وعليه التكلان.

٢٨٨ - باب تحريم الرياء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة:٥] .

وقال تَعَالَى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] .

وقال تَعَالَى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة النساء:١٤٢] .

الشرح:

الرياء: مأخوذ من المُراءاة، أي: أن الإنسان يعمل العمل؛ ليراه الناس، وهو منقسم إلى قسمين: رياء أكبر، ولا يكون إلا من المنافقين، وذلك أن أحدهم يعمل العمل **الصالح** لا لله، عبادته من أصلها لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [سورة هود:١٥-١٦].

النوع الثاني من الرياء: يقع من المسلم، وهو أن يدخل العبادة يريد الله، يصلي في الأصل لله، يصوم لله، يطلب علم لله، يحج لله، ولكن قد يُداخله الرياء، يحسن العبادة؛ لرؤية الناس له، وهذا صاحبه ينقسم إلى قسمين:

الأول: من راءى في جميع العبادة، فالعبادة باطلة.

الثاني: من راءى ثم صرف الرياء، فعبادته صحيحة.

وبعضهم يقسم أيضا إلى قسمين: إن كانت العبادة متصلة فالعبادة التي يقع فيها الرياء باطلة، والتي لا يقع فيها الرياء صحيحة، كرجل تصدق بمائة ريال مخلصا لله

فيها وتصدقت بمائة ريال يرائي الناس فيها، فما كان مخلصا لله قبله الله، وما كان مرائيا رُدت عليه.

ولابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام في (جامع العلوم و الحكم) مؤداه: إلى أن المسلم وإن وقع في رياء فأصل العبادة لله، يبقى له أصل العمل ما لم يكن مرائيا فيه.

وهو ذنب عظيم، وجرم جسيم، نسأل الله السلامة، قال بعض السلف: ما عالجت نفسي في شيء ما عالجتها في الرياء.

قال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

وبعضهم يذكر أنه عالج نفسه خمسين سنة وأربعين سنة.

فالنفس خبيثة، إما أن ترائي إذا كان في مجمع من الناس، وإما أن تعجب بعملها إذا كان في انفراد بنفسه.

وأما إذا عمل الإنسان عملا لله ثم أُثني عليه به من غير عجب منه ولا تقصد لذلك قال النبي ﷺ: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»**، والله المستعان.

وفي الحديث: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: **«الرياء»**، خافه النبي ﷺ على الأمة؛ لعظيم ضرره وفشو خطره، كم من إنسان يأتي يوم القيامة بأعمال يظنها شيئا وإذا بها ليست بشيء بسبب الرياء! تذهب جميعها، ويبقى إثمها.

(﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾) تقدم الكلام على الإخلاص في أول الكتاب، والكلام على الإخلاص تحذير من الرياء، والكلام على الرياء دعوة الى الإخلاص.

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] يعني: ذهب جميع ما عليه من التراب، فلا يصلح لغرس شجر، ولا يصلح لشيء.

(﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾) أي من صفات المنافقين، يأتون إلى الصلاة وهم كسالى لماذا؟ لأنهم يراؤون الناس.

١٦١٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «قَالَ الله تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا يسمى حديث قدسي؛ لأنه كلام الله، إلا أنه ليس من القرآن.

(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ) ليس معناه أنه أذن في الشراكة، لكن معناه: أن الكفار اتخذوا شركاء مع الله، فالله عَزَّوَجَلَّ غني عن شركهم، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٣٦].

(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا) أي صالحا في أصله، عبادة، لكن صرفه لغير الله.

(أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) رجل يصلي لله ولكنه يدعو مثلا العيدروس، أو يدعو الهادي، أو يدعو ابن علوان، يُترك مع شركه، ولا يلتفت إلى صلاته ولا صيامه، ولا ينتفع بها، الله عَزَّوَجَلَّ غني عن العالمين، لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجه، يُبتغى به الله، ويتابع فيه رسول الله ﷺ.

١٦١٧ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

(١) حديث رقم: (٢٩٨٥).

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ: جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم[1].

(جَرِيءٌ) بفتح الجيم وكسر الراء والمد: أَيْ شُجَاعٌ حَاذِقٌ.

الشرح:

هذا حديث عظيم، جاء في لفظ النسائي: «أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة»، وهنا: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ) هؤلاء الثلاثة، أعمالهم ظاهرها الخير والصلاح، لكن بواطنهم كانت لغير الله، فلم ينتفعوا بشيء.

هذه الأعمال التي ذكرت في هذا الحديث مع الإخلاص أفضل الأعمال، يجاهد في سبيل الله حتى يقتل، ينفق في سبيل الله النفقات الكثيرة، تعلم العلم ويعلم، أعظم ثلاثة أعمال توصل إلى رضوان الله عَزَّوَجَلَّ مع الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ، ولكن هؤلاء لم يخلصوا لله.

قاتل الأول؛ ليقال مقاتل شجاع قيل، حظه من عمله ما أراد، والثاني طلب العلم وعلَّم وتعب وسهر وحفظ؛ ليقال: عالم، حظه، ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة

(١) حديث رقم: (١٩٠٥).

النجم:٣٩] ، والثالث ينفق، ربما يبني مساجد، ربما يطبع كتبا، ربما يزوج محتاجين، وينفق على أيتام، وليس له إلا ما قيل.

ويا ليت يُكتفى بهذا، يكون له ما قيل وخلاص، لا، بل يعذب على ريائه وعلى تسميعه، ويفضح على الأشهاد، كما سيأتي معنا: **«من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»**.

فهذه الأحاديث تحثنا جميعا على معالجة قلوبنا، معالجة أرواحنا، معالجة خواطرنا، وأن نسعى سعيا جادا في إخلاص العمل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإن جاءك من وسوسة شيطانية أو من نظرة لعمل نفسك على أنك وأنك فأكبت نفسك، واعلم أن الله هو الذي أعانك، هو الذي سددك، هو الذي يقبل منك إن صدقت معه، ثم راقب قلبك أن يكون الله ينظر إليه وفيه غير الله، والله عَزَّوَجَلَّ ينظر إلى قلبك وأنت ترائي زيدا من الناس أو عمرا من الناس يا شؤم ويا بؤس هذه المعصية.

جاء من حديث يعلى بن أمية في (مسند أحمد) وغيره: أن النبي ﷺ نادى بالجهاد، فقال يعلى بن أمية: وأنا شيخ كبير لا أستطيع الجهاد، فالتمست أجيرا، فقلت له: تخرج بدلا عني ويكون لك سهمي من الجيش، قال له: ما أعلم ما السهم ولا السهمان، شارطني على شيء معلوم، قال: على خمسة دراهم، ثم ذهب لشأنه، فانتصر المسلمون انتصارا عظيما، وغنموا الإماء والعبيد، وغنموا الإبل وغير ذلك، فإذا بهذا الشيخ الذي تخلف واستأجر أجيرا يحصل على غنائم كثيرة، فيقول: يا رسول الله استأجرت أجيرا على خمسة دراهم، وقد فتح الله عليك، ما ترى ماذا أعطيه؟ قال: **«لا أرى له في الدنيا والآخرة إلا الخمسة الدراهم»**.

حتى في الدنيا الذي كان مخلصا لله في عمله حصل السبي وهو في البيت، وذلك الذي خرج من أجل خمسة دراهم، ما له إلا خمسة دراهم، ولو كان قُتل ما له إلا الخمسة الدراهم، نسأل الله السلامة والعافية.

فمسألة الإخلاص مسألة عظيمة، ومسألة الرياء مسألة جسيمة، ينبغي أن نجاهد أنفسنا في تحصيل الإخلاص، وفي إزاحة الرياء.

ومتى تتخلص من الرياء؟ تتخلص من الرياء إذا كنت زاهدا في الناس في مدحهم، وعدم مبال بقدحهم، أما إذا كنت تطمع في مدح الناس فأنت سترائي، ستزين لهم عملك حتى يمدحونك، نسأل الله السلامة والعافية.

وفيه أن الأعمال على ما في القلوب، لا بد أن يتوافق في العمل الصالح الإخلاص في القلب والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وفي هذا الحديث فضل الجهاد في سبيل الله، وفضل العلم، وقراءة القرآن، وكذلك فضل الإنفاق في سبيل الله.

وفي هذا الحديث: أن الله بكل شيء محيط، وبكل شيء عليم، لا تخفى عليه خافية.

وفي هذا الحديث: تقرير العباد بأعمالهم، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٩].

١٦١٨ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن نَاسًا قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ. رواه البخاري[1].

الشرح:

يعني لأنه قائم على المراءاة، يدخلون على السلاطين ويظهرون لهم السمع والطاعة والبيعة، فإذا خرجوا من عندهم أظهروا خلاف ما كانوا يتكلمون به ابتداء.

(١) حديث رقم: (٧١٧٨)، من دون: على عهد رسول الله ﷺ.

وكم هم هذه الأصناف الآن؟ أغلب الحزبيات وأغلب البدع والخرافات قائمة على هذا.

قال أيوب بن أبي تميمة: فرقتهم البدعة وجمعهم السيف.

وقال أبو قلابة الجرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ابتدع رجل بدعة إلا رأى السيف.

فيدخلون على الأمراء يمدحون ويثنون، فإذا خرجوا من عندهم بيتوا لهم الخيانة والقدح، وهو مبدأ الفتن، القدح في الحكام مبدأ الفتن، مبدأ الثورات والانقلابات، والفساد العريض.

١٦١٩ - وعن جُندب بن عبد اللهِ بن سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ». متفق عَلَيْهِ.

ورواه مسلم أَيضًا من رواية ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[1].

«سَمَّعَ» بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رِياءً.

«سَمَّعَ اللهُ بِهِ» أَيْ: فَضَحَهُ يَومَ القِيَامَةِ.

ومعنى: «مَنْ رَاءى» أَيْ: مَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ.

«رَاءى اللهُ بِهِ» أَيْ: أَظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ.

الشرح:

(مَنْ سَمَّعَ) بعمله **(سَمَّعَ اللهُ بِهِ)**، هذا في الأعمال المسموعة، يُسمع الناس خطبته، يسمع الناس صوته الحسن، يسمع الناس ما يُسمع، يسمع الله به يوم القيامة، وربما في الدنيا.

(وَمَنْ يُرائِي) هذا في المرئيات، يزين شأنه، **(يُرائِي اللهُ بِهِ)** أي أن الجزاء من جنس العمل، ومن أخلص رفعه الله، **«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧)، وأخرجه مسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس.

(أَظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ) هذا معنى، وربما يقع هذا في الدنيا أيضا، يقع التسميع به في الدنيا، ويقع المراءاة به بالدنيا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٩] .

١٦٢٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ». يَعْنِي: رِيحَهَا، رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح والأحاديث في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ[1].

الشرح:

(مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ) علم القرآن، علم السنة، علم الفقه.

(لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا) يعني ما يتعلم لله، ما يتعلم لرفع الجهل عن نفسه ثم رفع الجهل عن غيره، لا بد أن تكون نيتك هكذا في العلم، رفع الجهل عن نفسك، ثم رفع الجهل عن غيرك.

كما قال ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم رحمك الله إنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، وهي معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

والثاني: العمل به.

والثالث: الدعوة إليه.

والرابع: الصبر على الأذى فيه.

وقد جاء: **«من تعلم علما يماري به العلماء ويجادل به السفهاء»** فيه وعيد عظيم.

---

(١) انظر الحديث (١٣٩١)، الحديث المذكور أخرجه أبو داود وابن ماجة وأحمد، من طريق فليح بن سليمان، عن أبي طوالة، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، ورُوي مرسلا، كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم في (العلل)، وكذلك الدارقطني، وصححه الشيخ الألباني وضعفه شيخنا مقبل، وله شواهد كما أشار المحقق.

٢٨٩ - باب مَا يتوهم أنَّه رياء وليس هُوَ رياء

١٦٢١ - وعن أَبي ذرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرسولِ الله ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو ذر هو جندب بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يعني تعمل العمل الصالح لله، لا ترائي، لا تُعجب به، لكن الله عَزَّوَجَلَّ يظهر فضلك، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل:٩٧] ، ومن الحياة الطيبة: يُذكر بالخير والجميل، فمن كان باطنه الخير وعمله الخير أظهر الله خيره، ومن كان باطنه الشر ولو كان عمله في ظاهره الخير أظهر الله شره، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة محمد:٢٩-٣٠].

وأيضا قد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة فصلت:٣٠-٣١].

وهناك بشارات للمؤمن، بشارة في الدنيا: بثناء الصالحين عليه، بمحبة الصالحين له، باستجابة الله عَزَّوَجَلَّ لدعائه، لدفاع الله عَزَّوَجَلَّ عنه، بشارة عند الاحتضار: «أبشر بروح وريحان، ورب راض غير غضبان»، بشارة يوم القيامة، وأيضا يبشر في القبر بالخير العظيم، ويبشر يوم القيامة.

---

(١) حديث رقم: (٢٦٤٢).

٢٩٠ - باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [سورة النور:٣٠] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء:٣٦] .

وقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [سورة غافر:١٩] .

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر:١٤] .

الشرح:

انظر إلى هذا التبويب، وكيف جمع النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التحريم بين النظر إلى المرأة الأجنبية وبين النظر إلى الأمرد، فإن الإنسان قد يُفتن إن لم يكن قوي الإيمان، وإن لم يكن بعيدا عن الفتن، حذرا على نفسه.

وقد ألف كثير من العلماء في فتنة المردان، كما ألف كثير منهم في فتنة النساء.

فينبغي للمسلم أن يعتني بنفسه، وأن يصونها عن مخالطة من يخشى على نفسه وعلى دينه، وهكذا المردان لا سيما من قد ميز عليه أن يكون عفيفا صينا دينا، ما يكون سبهللا سيئا، يحفظ نفسه، لا سيما فيما يسمونه بسن المراهقة، يحفظ نفسه، وإذا رأى من يتربص به أو يعطيه النظرات القبيحة عليه أن يزجره، ويحذر من مجالسته.

لكن الغالب فيهم يكون سبهللا مثل المرأة، مثل البنت، يمشي مع الشباب، يمشي مع الغير مزوجين، ربما يختلون به، وربما يمازحونه، وهو مثل البنت، عيب عيب، على الأمرد أن يكون رجلا، لا يسمح لأحد أن يعامله معاملة المسهللين.

وأيضا أنت يا صاحب اللحية احذر على نفسك أن تجالس المردان، أو تختلي بالمردان، أو تمازح المردان، فإن النظرات تنتقل، يراك الغير وربما أساء بك الظن، وربما شُوهت صورتك، وشوهت دعوتك، بسبب عدم الصيانة في هذا الباب.

هذا باب خطير، باب النساء، لا تختلي بهن، ولا تنظر إليهن، ولا تسمع بأصواتهن، لا سيما التي يخضعن فيها للقول، وهكذا باب المردان، ما تكلم فيه العلماء إلا لأهميته، وانظر إلى كتاب (الداء والدواء) كم تكلم ابن القيم كم بين كم وضح من الفتن الكثيرة التي تقع في مثل هذا البلاء العظيم، نسأل الله السلامة والعافية.

والشيطان يزين، الشيطان يزين الباطل، والله تكون لأحدهم أجمل امرأة ويزين له القبيحة في باب الزنا، وفي باب العفة يكون مع امرأته في شقاق وخلاف، الشيطان حريص، يزين الباطل، ويزوقه، ويحسنه، وينمقه، وسبحان الله! إذا دخل الإنسان في فتنة النساء أو في فتنة المردان قل أن يتخلص منها إلا أن يشاء الله.

ولذلك جاء في الحديث أن الزناة والزواني يُعذبون في مثل التنور، إذا وصلوا إلى رأسه عادوا إلى أسفله، قال العلماء: والسبب في ذلك: أنهم يحصل منهم انقطاع ثم يعودون إلى هذا الشر، نسأل الله السلامة والعافية.

فكما نحذر من فتنة المرأة الأجنبية نحذر من فتنة الأمرد؛ لأن الشر قد يحصل، وهي نصيحة نعطيها للعالم، ما نعطيها لشخص، أو لزيد أو لعمر، هي نصيحة للعالم، المرة الأولى أجبت على سؤال في هذه المسألة وإذا بكثير من الناس يرسلون لي: جزاك الله خيرا على هذا التنبيه وعلى هذا التوجيه.

الأمرد يقع رجلا، عمر ثلاثة عشر سنة، عمره أربعة عشر سنة، عمر خمسة عشر سنة، ستة عشر سنة، ما هو طفل يُلعب عليه، ويتكسر مثل النساء، وبعضهم ربما يتمسح، ويزيد يزوق نفسه، هذا سيء، نخشى عليه.

وهكذا الكبير يقع رجَّال كما تقول العامة، ولا يجلس مع هؤلاء الصغار، يتملس ويتلاعب معهم، كلٌّ يجعل نفسه في موطن السلامة، بارك الله في الجميع، وهدى الله الجميع، وجنبنا الشرور والآثام.

(﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾)؛ لأن البصر مبدأ الشر، نظرة فابتسامة فسلام، فكلام فموعد فلقاء.

(﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾) وهذا والله وعيد عظيم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، لكل مبطل، نسأل الله السلامة والعافية، انظر إلى التي قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [سورة الفجر:٦-١٤].

لكل مبطل بالمرصاد، يرصدك، يعلم أفعالك، ويسمع أقوالك، وأيضا يرصدك وربما بادرك بالعقوبة على حين غفلة، وعلى حين ظن ألا يصيبك شيء.

١٦٢٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلَى ابْن آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ». متفق عَلَيْهِ. هَذَا لفظ مسلمٍ، ورواية البخاري مختصرَةٌ[1].

الشرح:

(كُتِبَ) أي الكتاب الكونية لا الشرعية، فإن الله حرم الزنا.

(عَلَى ابْن آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا) والناس بين مستقل ومستكثر.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ) ومتى يكون النظرة زنا؟ إذا كررها، أما نظرة الفجأة إذا قطعها وابتعد عنها فقد تجاوز الله عنها، وقال النبي ﷺ: **«اصرف بصرك»**، أي: في نظرة الفجأة.

(وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ) الاستماع للأغاني، الاستماع لصوت النساء المكسر، ونحو ذلك.

(وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ) أي في الباطل، المعاكسات والمراسلات السيئة بالكلام البطال، الكلام الذي يُثير الشهوات، ويحرك الغرائز بين الرجال والنساء، لا سيما الآن مع وجود الواتسابات وغير ذلك من وسائل التواصل، تجد الرجال والنساء إلا ما رحم ربي، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ص:٢٤] .

(وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ) يعني: البطش لإرادة الشر.

(وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا) إلى الشر.

(والقَلْبُ يَهْوَى): يوسوس، **(وَيَتَمَنَّى)** أن يصل إلى مقصوده ويصل إلى مطلوبه.

(وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ) إذا وصل إلى الفرج هذه هي الكارثة، هذه المصيبة العظيمة، لكن لا يصل إلى فتنة الفرج إلا بفتن قبل فتنة الفرج، إذًا يا أخي احفظ بصرك يسلم فارجك، احفظ سمعك يسلم فارجك، احفظ لسانك يسلم فرجك، احفظ يدك يسلم فرجك، احفظ رجلك يسلم فرجك، عالج قلبك يسلم فرج.

هب أن القلب بدأ يوسوس في هذا الباب ويزين لك الشيطان اصرف الشيطان، واعلم عظيم نعم الله في الجنة لمن اتقاه، واعلم شدة عقوبة الله لمن عصاه.

قالوا: أن بعض السلف وسوس له الشيطان في بعض الأمور، فأخذ يده ووضعها على الشمعة حتى لسعتها النار، وصرفته عما كان في قلبه من الوسوسة، وبقي يعالج يده إلى الصباح، هكذا الإنسان يتقي الله عَزَّوَجَلَّ.

١٦٢٣ - وعن أَبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إيّاكُمْ والجُلُوس فِي الطُّرُقَاتِ!» قالوا: يَا رسولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأَمرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

لماذا نهى النبي ﷺ عن الجلوس في الطرقات؟ لأن الطرقات يمر منها النساء، يمر منها الناس، والإنسان لا يسلم من غيبة لمن يأتي أو لمن يمر، من نظرة، لا سيما إذا كانت النساء، من كذلك ربما تضييق الطريق، ونحو ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) وإلا الأصل أن الإنسان يذهب إلى غير الطريق للجلوس.

حتى الاتصال ما تذهب تتصل عند بيت واحد، عند طاقته، وأنت: نعم، نعم، المكان واسع، تستطيع أن تسلك الطريق العام وتتصل فيه، أو تذهب إلى برحة وتتصل إذا كان ولا بد، فإن الناس يتأذون، يتأذى أحدهم حين يسمع الصوت بجانب نافذته.

(قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللهِ؟) سؤال العالم فيما أشكل.

(قَالَ: غَضُّ البَصَرِ) بدأ به؛ لأن إطلاق البصر بسببه تأتي بقية المعاصي.

(وَكَفُّ الأَذَى) سواء القولي أو الفعلي، بعضهم ربما يجلس في مكان يشرب ببسي ويرمي به أمام الناس، يشرب ماء ويرمي به أمام الناس، وربما جاءهم العشاء تعشوا وخلوه أمام الناس، وربما بعضهم يضع الحجر ليتكئ عليه ثم يذهب ويخليه أمام الناس.

---

(١) انظر الحديث (١٩٠).

فيأتي المار بسيارته ربما انقلب، أو ربما حصل له شر، ويأتي المار على رجله ربما انقلب على وجهه، أو ربما أكل قشر موز وألقاه، فيأتي الآخر فيدوس عليه، فإذا به يتزحلق، وإذا به يصاب بمرض في العمود الفقري، ونحو ذلك، هذا الفعلي.

والأذى القولي: كالكلام: أنت يا فلان كذا، أنت كذا، إما سب، وإما شتم، وإما غيبة، وإما غير ذلك.

(وَرَدُّ السَّلَامِ) على من رد السلام، إذا كنت جالسا من مر عليك وقال: السلام عليكم سلم عليه، من المسلمين، ما لم يكن مبتدعا، فإن المبتدعة يُهجرون؛ لكف أذاهم، ولدفع شرهم، ولاستفادتهم، لعلهم إن أراد الله لهم الهداية يستفيدون من الهجر.

(والأَمرُ بِالمَعْرُوفِ) إذا رأيت منكرا يحتاج إلى تغيير وأمرك بالمعروف لا يؤدي إلى ما هو أنكر، ونهيك عن المنكر كذلك، **(والأَمرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ)** وقد تقدم الكلام عليه في موطنه.

١٦٢٤ - وعن أَبي طلحة زيد بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا بالأفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فِيهَا فَجَاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَلِمَجَالسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ»، فقُلْنَا: إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأسٍ، قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ، وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: «إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الكَلَامِ». رواه مسلم[1].

(الصُّعُدات) بضمِ الصاد والعين: أيْ الطُّرقَاتِ.

الشرح:

تقدم الكلام.

(١) حديث رقم: (٢١٦١).

١٦٢٥ - وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سألت رسول الله ﷺ عن نَظَرِ الفَجْأَةِ فَقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

يعني: اصرف بصرك، الأولى التي لم تتعمدها ولم تتقصدها ليست عليك، أما أن تثبت بصرك هذا لا يجوز.

١٦٢٦ - وعن أُم سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كنتُ عِنْدَ رسول الله ﷺ وعِندَهُ مَيْمُونَة، فَأَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالحِجَابِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «احْتَجِبَا مِنْهُ»، فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ، أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى! لَا يُبْصِرُنَا، وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ!؟». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٢).

الشرح:

وحكم المسألة: لا يجب على المرأة أن تحتجب من الأعمى، لكن لا يجوز لها النظر إلى الأعمى إلا إذا كان لشخصه وهو مار، أما القصد النظر إلى وجهه ونحو ذلك من بدنه فالمرأة مأمورة بغض البصر كما الرجل مأمور بغض البصر، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [سورة النور:٣٠] ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [سورة النور:٣١] .

(١) حديث رقم: (٢١٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨)، وهو حديث ضعيف، في سنده نبهان، مولى أم سلمة، مجهول حال، وجاء عن أسامة بن زيد، وفي سنده وهب بن يحيى بن حفص، كان يضع الحديث، وضعفه الالباني في (ضعيف السنن)، وفي (الإرواء). أفاده المحقق.

فإن استدل مستدل بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ دعاها لتنظر إلى لعب الحبشة فلم تنظر إلى أشخاصهم، إلى صورهم، وإنما كان النظر إلى لعبهم، هذا هو، فلا يقال: أنها تنظر إلى أشخاصهم، فلا يجوز للمرأة أن تنظر إلى وجه الرجل وتتأمله، كما لا يجوز للرجل أن ينظر إلى وجه المرأة ويتأمله.

١٦٢٧ - وعن أَبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الواحِدِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، يدل على وجوب الستر، حتى بين الرجل وبين الرجل، وهكذا بين المرأة وبين المرأة، لا يُفضي أحدهم إلى بعض في ثوب واحد، وفي لحاف واحد، بل كل منهم يتميز عن صاحبه.

والنبي ﷺ قد أمرنا أن نفرق بين الأبناء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين، فكيف إذا اجتمع الكبار كل منهم يخالط الثاني؟ وربما نظر إلى عورته، ويزين الشيطان الشر، وهكذا المرأة تبقى مع المرأة، وربما نظرت العورة، ويزين الشيطان الشر.

(١) حديث رقم: (٣٣٨).

٢٩١ - باب تحريم الخلوة بالأجنبية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣].

الشرح:

ولا يقل بعضهم: قلبي نظيف، القلب النظيف هو البعيد عن النظر إلى النساء، هو البعيد عن الاختلاط مع النساء، هذا هو القلب النظيف، أما قلب يختلط معهن في صبحه ومسائه ويقول: قلبي نظيف ما هو نظيف، كاذب في قوله.

إنما الحال كما قال بعضهم: ما لجرح بميت إيلامُ، يعني الجرح الآن لما يطول مرضه تحسحس ما تجد له وجعا، بينما لو كان جديدا تجد وجعه، وهكذا القلب الحي إذا رأى معصية تنكر لها، أما إذا استمر مع المعاصي ما عاد يأنس إلا بها، ولذلك تجد بعض الذين يسمعون الأغاني يقول لك: والله أنا يا أخي إذا سمعت القرآن يضيق صدري، ما أرتاح إلا إذا سمعت فلانا أو فلانا من المغنيين، نعم؛ لأن قلبك صار مريضا، وفطرتك صارت منكوسة، فلذلك ينشرح صدره مع الغناء، ويضيق صدره مع القرآن، بينما المؤمن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:٢٨] .

١٦٢٨ - وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ». متفق عَلَيْهِ[(١)].

(الحَمْو): قَريبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ، وابْنِ أَخِيهِ، وَابْنِ عَمِّهِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

الشرح:

هذه مسألة مهمة، الناس يظنون أن صاحب القرية عادي يدخل ويخرج.

مرة من المرات قبل أن يقع الحجاب في بلدنا وينتشر بفضل الله، ثم بفضل هذه الدعوة المباركة، مررت من عند امرأة فاحتجبت، وكان معي أخ يمشي في الطريق، فلما رجعت من الطريق وإذا بها تستوقفني وتقول: أنا أعتذر منك، والله ما احتجبت منك، إنما كان معك فلان ليس من القبيلة، مسكينة، هي تظن أنها فعلها صواب، فقلت: لا، لا، الحجاب هو من الجميع، الحجاب يكون من الجميع.

وبعد ذلك يسر الله عَزَّوَجَلَّ، وطلعنا دماج، وعرفنا حرمة كشف وجه المرأة، وأعرف اليوم الذي خطب فيه أبو مسلم نسأل الله أن يرحمه حيا أو ميتا، نسأل الله أن يرحمه، المهم خطب خطبة العيد وركز على مسألة الحجاب وعلى مسألة مصافحة النساء.

عند ذلك ضجت البلاد نساؤها ورجالها، وبعض العجائز كانت تجري وراءه جريا تقول: والله إلا اليوم أصافحك، أنت مثل ابني وتقول: ما يجوز، وبعض الرجال يقول: والله بس قلوبكم مريضة، أنتم قلوبكم مريضة، وإلا نحن هذه أخواتنا، وهذه جداتنا، وهذه كذا، صحيح أننا أسرة واحدة، لكن خلاص قد ميز الشرع أنه لا يجوز مصافحة المرأة الأجنبية.

وبعد ذلك ما هي إلا أيام وهدأت الأمور، ولبست النساء الحجاب، وبدأن يرسلن إلى دماج يشترين من الحجابات اللاتي اشتهرت بها نساء دماج، ذلك الذي يغطي الجسم أجمع، وكذلك قلت مصافحة الرجال للنساء، والحمد لله حصل الخير.

فالشاهد أنه يقول النبي ﷺ: **(إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ)** الرجل يقول: **(أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟)** يعني: هذا النهي للجميع أم لبعضنا؟ قال: **(الحَمْوُ المَوْتُ)**، أخو الزوج، عم الزوج، خال الزوج، ابن عمه، ما يجوز، الغير محرم غير محرم.

١٦٢٩ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وأيضا تكون محتجبة، ولا يصافحها، مثلا الآن لو قُدر أن امرأة دخلت عند طبيب لحاجة تدخل مع محرمها، مغطية لوجهها، وتتكلم معه بمقدار الحاجة، بدون خضوع في القول، وبعض الأطباء عنده فسق، تدخل المرأة تشكو من جرح في إصبعها ويقول: اكشفي الوجه.

مرة من المرات في مستشفى في صعدة كدت أن يقع بيني وبينه خصام، قال: اكشفي الوجه، قلنا: ليش تكشف الوجه؟ ما الغرض من كشف الوجه؟ قال: هكذا أنا الطبيب، قلت: والله ما أنت طبيب إلا كذا، وذهبت شكوت على الإدارة، قلنا: هذا الطبيب عندكم المفروض أنكم تبعدوه، كيف آتي أعالج زوجتي من مرض لا مدخل للوجه فيه يقول: اكشفي الوجه؟ فبعض الأطباء هداه الله يوسع المسألة.

لو كان الألم في عينها لا يجوز له أن يجاوز العين، يُكشف له بقدر الألم، لو كان الألم في فمها يُكشف له بقدر الألم، إذا احتيج إلى علاج الطبيب للمرأة، إذا لم توجد طبيبة، أما أن تفتش الوجه كله هذا نوع تبرج، نسأل الله السلامة والعافية.

١٦٣٠ - وعن بُرَيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِيْنَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَرْضى»، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا ظَنُّكُمْ؟». رواه مسلم[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) حديث رقم: (١٨٩٧).

الشرح:

هذه مصيبة، هذه كارثة تقع على الإنسان الغير عفيف.

(حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) حرمة شديدة، مع أن الزينة حرام مع أي امرأة، لكن امرأة المجاهد ذهب للجهاد في سبيل الله، ذهب لإعلاء كلمة الله، ثم يأتي هذا القاعد ويذهب إليها ويلعب بها، والمرأة ضعيفة، كما قال النبي ﷺ: **«ألا كلما خرجنا نافرين في سبيل الله يعمد أحدكم إلى امرأة فيعطيها مثل الكثبة»** يعني: شيء يسير من العطية، **«فتمكنه من نفسها، ألا لا أعلمن بأحد فعل ذلك إلا نكلت به»**.

وهنا يقول: **(فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وَقَفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ)** ماذا سيبقي؟ لأن النبي ﷺ يقول: **(مَا ظَنُّكُمْ؟)** ذاك اليوم لو وجد الإنسان حسنة يفرح بها أشد من أي فرح، فكيف إذا قيل لك: خذ من حسنات هذا ما شئت؟ ولا ستبقي له حسنة، نسأل الله السلامة والعافية.

فانظروا إلى فتنة الدخول على النساء، وشؤم الدخول على النساء، وعدم العفة عن المحارم، فهذا باب خطير، لا سيما في هذا الزمن المتأخر على الجميع أن ينتبه لنفسه، أن ينتبه لزوجه، أن ينتبه لابنته، أن ينتبه لابنه، لا تؤخروا زواج البنات، ولا زواج الأبناء، إذا رغبوا في ذلك، وهكذا لا تمكنوهم من الاختلاط مع بعضهم بغير محرم.

ومن أسباب نشر الشر هذه الدشوش والقنوات التي علمت الناس الاختلاط، ودعتهم إلى البلاء والفتنة.

وقلت في "شرحي على عمدة الأحكام":

والزنا له أسباب كثيرة ومن أشهرها:

الأول: الاختلاط بين الرجال والنساء:

لأن المرأة عورة إذا خرجت استشرفها الشيطان، فإذا ما خُلطت حصل الشر؛ ولأنها ضعيفة، كم من امرأةٍ تكون على غاية من الحشمة، فإذا ما قيل لها: أنت وأنت؛ فإذا بها تُفتن:

خَـــدَعوها بِقَـــولِهِم حَســـناءُ ... وَالغَـــواني يَغُـــرُّهُنَّ الثَنـــاءُ

الثاني: إطلاقُ البصر:

ولهذا أمر الله المؤمنين بغض أبصارهم، كما أمر المؤمنات بغض أبصارهن، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠-٣١]، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الثالث: الخضوع بالقول:

فإن كثيرًا من النساء إذا تكلمت خَضَعت بقولها، فدخل ذلك الصوت الرقيق إلى القلب المريض، فأصاب بمقتل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

الرابع: التبرج:

وهو الخروج من البيت لغير ما حاجة، فالله عَزَّوَجَلَّ قد أخذ على نساءِ النبي ﷺ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

الخامس: التأثر بالكفار والتقليد لهم:

فإن الكفار كالحيوانات، وفي هذه الأيام أصدرت جمهورية المكسيك قانونًا يقضي بجواز المسافحة في الشوارع العامة، والنبي ﷺ قد أخبر أن الناس في آخر الزمان يتسافدونَ تسافد الحمر، أي: على الطرق، فكثير من المسلمين تشبهوا بالكافرين، فوقع بينهم الشر العريض.

السادس: انتشار وسائل الفساد، وإعلان الفاحشة:

كالسينما، والتلفزيون، والدشوش، وما في بابها: والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩]، وإشاعة الفاحشة سببٌ لانتشارها وظهورها، وإلا فإن مثل هذه الأمور تكون مستورة مكتومة لا يعلمها كثير من الناس، وإذا ما سمعوا بها تطلبوها، نسأل الله السلامة والعافية.

السابع: ضعف الإيمان:

فإن الإنسان إذا ضعف إيمانه، كثر منه المخالفات الشرعية، وإلا ففي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في «الصحيحين» قالت تلك المرأة: «اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ»[1]، فقام عنها وهي من أحب الناس إليه وترك المال الذي أعطاها وكان عشرون ومائة دينار.

ويُذكر أن رجلًا دخل على امرأةٍ فقالت: له اتقِ الله يا فلان، فأبى قالت له: أما إذا أبيت فبشرط واحد، قال: وما هو؟ قالت: أن تغلق جميع الأبواب، فقام الرجل مسرعًا وأغلق

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

الأبواب والنوافذ، فقالت: بقي باب واحد لم يغلق، قال: وما هو؟ قالت: الباب الذي بينك وبين الله، فعند ذلك علم أن هذه موعظة بليغة فخرج وتركها.

فزيادة الأيمان؛ سبب للعصمة من الذنوب والإجرام، وضعف الأيمان؛ سبب للوقيعة في الذل والهوان.

الثامن: عدم إقامة الحدود:

فلمَّا ترك أولياء الأمور إقامة الحدود انتشر الشر؛ وإلا لو علم الزاني أنه مجلودٌ ومفضوحٌ بين الناس؛ والسارقُ أنه مقطوعٌ؛ والقاتلُ أنه مقتولٌ؛ كان ذلك من دواعي انزجاره عن الباطل.

التاسع: انتشار الخمر في كثير من البلدان:

فإن الناس إذا سكروا وقع منهم كل شر، وفي مرة من المرات كنا في تنزانيا وإذا بهم يمشون في الشوارع رجالًا ونساءً يتكئ بعضهم على بعض وهم يتمايلون تمايل الشجرة التي تكفأها الريح بسبب السكر الذي هم عليه بعد قضاء ليلة فساد ومجون، نسأل الله السلامة والعافية.

العاشر: ظهور المعـازف:

كما قال بعضهم: الغناء بريد الزنا ورقية اللواط، وضرب ابن القيم مثلًا ببعض الطيور، قال: ربما أتى ذكر الحمام إلى أنثى الحمام فتمتنع عليه فإذا قام يغنيها ويعطيها شيء من الأصوات وإذا بها تميل إليه بطبيعتها.

وهكذا الغنى إذا وجد في مكان ظهر فيه الفساد لا سيما الغناء الذي يصاحبه وصف الخدود والقدود وغير ذلك من الشر العريض، نسأل الله السلامة.

الحادي عشر: كثرة وسائل التواصل الاجتماعي في هذا الزمان:

بدءًا بالفيس بوك، والواتس آب، والتويتر، والتلجرام، وسناب شات، والتانجو، والإيمو، وغير ذلك من وسائل الشر، فإنه يسهل بها الوصول إلى المرأة والرجل، ثم بعد ذلك يدخل الشيطان، ويقع الفساد والعصيان، نسأل الله السلامة والعافية.

الثاني عشر: الفراغ:

في الرجال والنساء، ولو شُغِل الرجال بما يعنيهم من طلب العلم، وطلب معالي الأمور من طاعة الله، وغير ذلك، وشُغلت النساء بما يعنيهن لقل الشر، ولكن كما قيل:

إن الفراغَ والشبابَ والجدةَ ... مفسدةٌ للمرء أي مفسدةَ

الثالث عشر: ظهور الجهل:

فإن الجهل إذا ظهر في أناس ظهر جميع أنواع الشر، ولذلك قال النبي ﷺ كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ**»، فإذا حصل هذا فيها، ما الذي يحصل؟ «**وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا**»[1].

الرابع عشر: كثرة النساء.

فقد كثرت النساء وقل الأزواج وعند ذلك يقع الشر، لأنه لا سبيل لعفة المرأة مثل زوجها، ولا سبيل لعفة الرجل مثل زوجته، والنبي ﷺ كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، يقول: «**إِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[2]، وفي رِوَايَة: «**فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا**»[3].

الخامس عشر: غلاء المهور.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي (١١٥٨).

فلما غلت المهور لم يستطع الشباب على تزويج أنفسهم، فعند ذلك لجئوا إلى وسيلةٍ أخرى، وهي تعدي حدود الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١].

السادس عشر: عدم حفظ الفروج.

فـإن الله عَزَّوَجَلَّ يقـول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾[المؤمنون:٥-٧]، وبعض الناس لا يحفظ فرجه، ربما يستخدم بعض العادات السيئة، ويكون فيها جر له إلى الفساد العريض، نسأل الله السلامة والعافية.

السابع عشر: عدم وجود المحرم عند سفر النساء، وعند دخول الرجال عليهن:

والنبي ﷺ يقول: **«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»**، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟، قَالَ: **«الحَمْوُ المَوْتُ»**[1].

وذكر ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بأن خمس نساء كُنَّ قد عزمن على التنسك والتعبد ولا رغبة لهن في الرجال، فكان منهن الحج إلى بيت الله الحرام، فلما رجعن من الحَج وكنَّ في السفينة، كان يأتيهن بعض القباطين، يأتي عليهن كل ليلة على واحدة، حتى انتهى منهن جميعًا، فقالت المخبرة: يا ابن أخي، لا تحسن الظن بامرأة قط فإني أخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ، وقالت: وأستغفر الله[2]. اهـ.

فالمرأة بحاجة إلى محرم يحوطها، ويحرسها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ»**، فَقَالَ

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «طوق الحمامة» (٢٨١).

رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا، وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الحَجَّ، فَقَالَ: «اخْرُجْ مَعَهَا»[1]، مع أنه قد عزم على الجهاد.

الثامن عشر: ضعف الغيرة في الرجال والنساء.

والناس في الغيرة أقسام:

الأول: منهم من غيرته مذمومة: ربما يشك في امرأته أو يشك فيمن إليه من النساء، حتى يؤدي إلى فسادها بهذه الغيرة؛ لأن بعض النساء ومن إليها قد لا تكون لها تطلع إلى مثل هذه الأمور، فإذا ما جعل الرجل يشك فيها، ولعلك كذا، ولعلك كذا وإذا به يدلها على الطريق.

والثاني: الغيرة المحمودة: وهي أن الإنسان يحرص أن لا يوقع من تحته من النساء في أسباب الشر فيأمرها بالحجاب، ولا تخرج إلا بإذنه، وإذا أرادت مكان خرج معها أو أخرج معها من يرعاها، والنبي ﷺ لما سمع سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»[2].

الغيرة المحمودة سبب للسلامة من الشر، وعدم الغيرة سبب للوقيعة في الشر، والغيرة الزائدة سببٌ للوقيعة في الشر. فالغيرة المحمودة، قال الشاعر:

لا تأمننَّ من النساء ولو أخًا ... ما في الرِّجالِ على النِّساءِ أَمِيْنُ

وكان بعض السلف يقول: لو تأمنوني على ملء البيت ذهبًا لوجدت نفسي عليه أمينًا، وإذا أمنتموني على جارية سوداء لم أجد نفسي عليها أمينًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

وكما كنا نسمع من شيخنا يحيى حفظه الله ذلك المثل الذي يقول: لكل ساقطة لاقطة. فمهما كان لابد من الغيرة، ووجود المحرم مع المرأة في سفرها، وخروجها، وذهابها لضعف الإيمان، وقلة العقول، وكثرة الفساد.

التاسع عشر: ضعف اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ في حفظ الفرج والقلب:

فإن كثير من الناس لا يلجأ إلى الله وهو مخلوقٌ ضعيف؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «**ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا**». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

فالدعاء من أسباب السلامة من الشر ومنه الزنا، وهي المأخوذة من هذا الحديث أن الإنسان يحب لغيره ما يحب لنفسه، كما أنه يحب ألا تُنتهك محارمه فينبغي له أن لا ينتهك محارم الناس، قال النبي ﷺ: «**وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤)، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا باب نقد، لا نسيئة:

إنَّ الزِّنـــا دَيـــنٌ إذا أقرضـــته ... كـان الوفـا مِـن أهـلِ بيتِـك فـاعلمِ

وقال آخر:

مـــن يـــزني يُزنـــى ولـــو بجـــواره ... إن كنـت يـا هـذا لبيـــبٌ فـافهمِ

العشرون: المجالسة:

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النـــور: ٢٦]، فمجالسة الأشرار من الزناة والزواني يؤدي إلى انتشار هذه الضرر وهذا المرض الخطير.

الحادي والعشرون: المكر بالإسلام.

وهذا الأمر تقوم به المنظمات الماسونية، والديمقراطية والحداثية، والعلمانية، وما إليها، لأنهم يعلمون علمًا يقينيًا أنهم لن يدخلوا على المسلمين بمثل المرأة، ولذلك تجد أن دعاتهم ينادون إلى حريتها، و يريدون بها الحرية المطلقة التي تحررها من عفتها، وحجابها، ودينها واستقامتها، وربما بعثوا لها من أبناء جنسها من يزين لها الشر، كما فعلوا في مصر لما قامت زينب الشعراوي، بنزع الحجاب وإحراقه في ميدان التحرير، وما تقوم به في مثل هذه الأيام توكل كرمان الماسونية، الإخوانية، التي تدعو إلى تحرر المرأة، وتدعو إلى حكومة علمانية في البلاد اليمنية.

الثاني والعشرون: العقيدة الفاسدة وأشهر من تزيَّى بهذا الأمر الرافضة والباطنية:

أما الرافضة في باب الفروج فلا تسأل عنهم؛ لأن الزنا عندهم منتشر انتشارًا عظيمًا لأمرين:

الأول: اعتقادهم أن المهدي المزعوم الذي في السرداب لا يخرج إلا بكثرة الفساد؛ فلذلك هم ساعون في نشر الفساد من أجل أن يخرج مهديهم المزعوم.

الثاني: أنهم يرون زواج المتعة، ومعلوم أنه حرام، حرمه رسول الله ﷺ عام خيبر وتواترت الأحاديث بذلك، حتى قال عمر ابن الزبير، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: لا يؤتى بأحدٍ تزوج بزواج المتعة، إلا رمي بالحجارة، بمعنى أنه زنا صريح، وأن حد الزاني المحصن أن يُرجَم بالحجارة حتى الموت.

ومما يدل على أن سبب انتشار هذا الشر فساد العقائد ما عليه الحلولية، والاتحادية، فحين زعموا القول بوحدة الوجود، وزعموا القول بالجبر، رأوا أن الزنا أمرٌ غير منكورٍ كما سطر ابن القيم عليهم جملًا في كتابه «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، وهكذا الباطنية مذهبهم في هذا الباب فسيح حتى نُظم في المنظومة المنسوبة إلى علي بن الفضل[1]:

خذي الدُّف يَا هَذِه والعبي ... وغني هزاريك ثمَّ اطربي

تولى نَبِي بني هَاشم ... وَهَذَا نَبِي بني يعرب

لكل نَبِي مضى شرعة ... وهاتي شَرِيعَة هَذَا النَّبِي

فقد حط عَنَّا فروض الصَّلَاة ... وَحط الصّيام فَلم نتعب

أحلَّ البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حلَّ الصبيَّ

إِذا النَّاس صلوا فَلَا تنهضي ... وَإِن صُومُوا فكلي واشربي

وَلَا تطلبي السَّعْي عِنْد الصَّفَا ... وَلَا زورة الْقَبْر فِي يثرب

وَلَا تمنعي نَفسك المعرسين ... من الْأَقْرَبين مَعَ الْأَجْنَبِيّ

فَبِمَ ذَا حللت لهَذَا الْغَرِيب ... وصرت مُحرمَة للْأَب

أَلَيْسَ الْغِرَاس لمن ربه ... وأسقاه فِي الزَّمن المجدب

(١) «السلوك في طبقات العلماء والملوك» لبهاء الدين الجندي (١/٢٠٦).

وَمَـــا الْخمـــر إِلَّا كَمَـــاء السَّـــمَاء مَحـــل فقدســـت مـــن مَـــذْهَب

وهم في هذا مقتدون بالمجوس الذين يرون زواج المحارم، والعياذ بالله.

ومما يدل على أن فساد العقائد سببٌ لانتشار هذا الشر وغيره، ما جاء في البخاري أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»[1].

وأسباب هذا الشر كثيرة؛ لكن رأينا ذكر ما تقدم، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (٥١٢٧).

٢٩٢ - باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذَلِكَ

وهذا الآن موجود بكثرة، نسأل الله السلامة والعافية، كثير من الشباب يتشبهون بالنساء، وبعض النساء يتشبهن بالرجال، لا سيما في دول الخليج هناك طائفة من النساء تسمى بالبُوِيَات، البُويات يعني: جمع بُوي أي: الولد، فهذا الصنف تجده يحلق حلاقة الأولاد، ويلبس لبس الأولاد، ويمشي مشي الأولاد، ولا ترضى أن تتزوج؛ لأنها تعتبر نفسها ولد، وكثير منتشرات في الجامعات، منتشرات في الكليات.

وفي المقابل هناك صنف يسمى بالنسويات، البُويات تتخنس وتتشبه بالرجال، والنسويات ترى تفضيل النساء على الرجال، وأن المرأة لا تتزوج، الرجل يمتهنها، وأن إذا أنجبت تغيرت ملامحها، فلذلك ضد الإنجاب، ولا تُرضع ولدها من ثديها؛ لأن هذا يؤدي إلى ترهل الثدي، ففتنة، فتنة النسويات فتنة، وفتنة البويات فتنة، نسأل الله السلامة والعافية.

فعلى الإنسان الرجل ألا يتشبه بالنساء، وعلى الإنسان المرأة ألا تتشبه بالرجال، يبقى كلٌّ على خلقته التي خلقه الله عليها.

١٦٣١ - عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَعَنَ رسُولُ اللهِ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وفي رواية: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ. رواه البخاري[(١)].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٥٨٨٥).

ليس معنى المخنث: اللوطي مطلقا، عندنا في هذه البلاد اليمنية إذا أطلق أحيانا يراد به اللوطي، يقولون: فلان مخنث أو مخنيث، أو نحو ذلك من الألفاظ، لكن الحديث النبوي المراد بالمخنثين: المتكسرين المتشبهين بالنساء، يعني يمشي مثل النساء، يتكسر في مشيته، وربما يحرك مؤخرته، وربما كما هو الفعل الآن يتبتر، ويستخدم بعض الأشياء التي تحمر الشفتين، والله المستعان، **(لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ)**.

(وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) ربما تلبس مثل الرجل كوت، وربما تمشي مشية الرجل، لا سيما اللاتي تلبس الكعب العالي، تمشي كأنها في المشية العسكرية، فيمنع تشبه الرجال بالنساء، ويُمنع تشبه النساء بالرجال.

وهذا اللعن يدل على أن هذا كبيرة من كبائر الذنوب.

١٦٣٢ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، والمَرْأَةَ تَلْبِسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

يعني حتى في باب اللباس.

لكن في باب العطور هنا تنبيه: أشاعوا على أن العطر النفاذ هو عطر النساء، والعطر الخفيف عطر الرجال، وهذا عكس الهدي النبوي، النبي ﷺ يقول: **«طيب الرجال: ما خفي لونه وظهر ريحه، وطيب النساء: ما ظهر لونه وخفي ريحه»**، الآن العكس، يأتي إليك يعطيك الطيب الذي ينتشر ويقول: هذا الطيب نساء، والطيب الذي لا ينتشر ويقول: هذا طيب رجال، هذا عكس الهدي النبوي.

(١) حديث رقم: (٤٠٩٨).

فلا حرج أن يتطيب الرجل بهذا الطيب الذي يسمونه بطيب النساء؛ لأن الأصل أن الطيب النفاذ للرجال، والنساء إنما تعطي لها شيئا يظهر في جسمها، في رأسها، كما ظهر في مفارق رأس زوجات النبي ﷺ، وكان ربما يسيل على وجوههن، بدون أن يُشم الريح، «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت ليوجد ريحها فهي زانية»، هكذا يقول النبي ﷺ.

إذًا فلا تلبس المرأة لبسة الرجل، لا تلبس ثوبا، ولا تلبس عمامة، ولا تلبس جَنْبِيَة، هذا إذا كان تريد هذا، أما الآن الرجل يلبس البنطال الضيق والمرأة تلبس البنطال الضيق، الرجل يلبس الفنيلة الضيقة وهي تلبس الفنيلة الضيقة، فتنة في باب الرجال والنساء، لا سيما في غير هذا البلد، نسأل الله أن يسلم هذا البلد وبلاد المسلمين من الشرور والآثام.

١٦٣٣ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». رواه مسلم[1].

معنى «كَاسِيَاتٌ» أَيْ: مِنْ نِعْمَةِ اللهِ، «عَارِيَاتٌ» مِنْ شُكْرِهَا.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا وَنَحْوِهِ.

وَقِيلَ: تَلْبَسُ ثَوبًا رَقِيقًا يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا.

وَمَعْنَى «مَائِلَاتٌ» قِيلَ: عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ.

«مُمِيلَاتٌ» أَيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ.

وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٌ لأَكْتَافِهِنَّ.

(١) حديث رقم: (٢١٢٨).

وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشطنَ المِشْطَةَ المَيلاءَ، وهي مِشطةُ البَغَايا.

و «مُميلاتٌ» يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ المِشْطَةَ.

«رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ» أيْ: يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

الشرح:

(معنى «كَاسِيَاتٌ» أيْ: مِنْ نِعْمَةِ اللهِ، «عَارِيَاتٌ» مِنْ شُكْرِهَا) بل هنا معنى آخر قد ظهر هذا الزمان، «كاسيات»: تلبس نوعا من اللباس بل ربما غالي في ثمنه، ولكنه يشف جسمها، ويظهر عورتها، ويبدي مفاتنها، إلى غير ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

(«مميلَاتٌ» أيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ) أو يجعلن غيرهن يميل إليهن، ويفتن بهن.

(مائلاتٌ يَمْتَشطنَ المِشْطَةَ المَيلاءَ: وهي مِشطةُ البَغَايا) هذا الذي يعملوه يسمى جَدْحَة، ما أدري ما تسمى في بعض البلدان، لأن المشط المفروض أن يكون فرقه، فرق للرجال والنساء، أما هذا الذي يسمى الجدحة كان عبارة عن مشطة البغايا كما ترى هنا نص النووي.

(يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا) الآن يعملن هذه الحشوة التي تجعل رأس المرأة مكورا، هذا إذا كان أمام زوجها نرجو أن لا حرج، أما تخرج الشارع وهي قد حشت شعرها فجعلته مثل الكومة، مثل سنام البعير، هذا لا يجوز، فهذا هو المراد هنا (رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ).

(لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا) وهذا دليل على أن هذا التبرج كبيرة من كبائر الذنوب.

فنسأل الله السلامة والعافية، انظروا إلى هذا الوعيد العظيم في تبرج النساء وتبرج الرجال، ومع ذلك نجد التبرج قد فشا في البلدان، نسأل الله العافية، والله أنتم الآن الذي ما قد خرج من هذه البلاد يرى أن الوضع حسن، لكن الذي يخرج من هذه البلاد يرى أمور يندى لها الجبين، تبرج وسفور، أحسنهن لبسن التي تلبس التنورة، يعني التي تُبدي محاسنها ومفاتنه، لابسات لبسة سيئة، ماذا تقول؟ نسأل الله السلامة والعافية.

قال واحد: كان يرى في صنعاء تبرجا، وذهب إلى الأردن ورجع، قال: رجعوني الخلافة الإسلامية، ما عندنا تبرج، عندنا الخلافة.

ووصل واحد سوداني إلى صنعاء ورأى الناس ما شاء الله، حتى هؤلاء اللاتي يمشي في الشوارع تجدها لابسة بَالطُو، متنقبة، عاملة هكذا، قال: ما شاء الله، أما اليمن كلهم سلفيون، يعني تعجب؛ لأن تلك البلدان مثل القاهرة مثل الخرطوم مثل كثير من البلدان عمَّان مثل كثير من بلاد المغرب العربي خلاص قد خرجوا من هذا الطور، صار العري منتشر، في الشوارع، في النوادي، في الكليات، في المدارس، وهذا الشعب فيه بقايا خير، نسأل الله أن يحفظها.

فلذلك قال ترامب هذا أخزاه الله قال: الشعب اليمني أسوأ شعب، يعني يقصد أسوء شعب؛ لأنه ما زال متمسكا بدينه، متى يخرج الشعب اليمني من أسوء شعبي إلى أحسن شعب؟ إذا كانت نساؤنا في الشوارع عاريات، وأبناؤنا يتلاوطون في الطرقات، نسأل الله أن يجنبنا هذا الشر، وأن من كان سيصير إلى هذا الحال أن يقبضه إليه غير مفتون، والله، نسأل الله السلامة والعافية.

٢٩٣ - باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

وهذه مسألة مهمة تحتاج إلى كتابة، قد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، يعني: من مقتضى الإسلام أن تخالف أصحاب الجحيم، ويدخل فيه مخالفة الشيطان، ما تجد من المعاصي في مشارق الأرض ومغاربها من الشركيات من البدع والخرافات كله يرجع إلى التشبه بالشيطان، أو التشبه بالكفار.

وإلا لو سلمنا من التشبه بالشيطان والتشبه بالكفار؛ لسلمت لنا عقائدنا، وسالمت لنا أخلاقنا، وسلمت لنا عباداتنا، وسلمت لنا معاملاتنا، وسلم لنا جميع شأننا، فلو تشبهنا بالمؤمنين؛ لكنا على خير عظيم، وما أسرع التشبه بالكافرين والتشبه بالشيطان!

١٦٣٤ - عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ ويَشربُ بِالشِّمَالِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

والأكل بالشمال حرام، والشرب بالشمال حرام، إلا لمن كان مقطوع اليد، أو كان مشلول اليد، أو كان معذورا لأمر آخر، وإلا حرام؛ لأن النبي ﷺ دعا على الذي أكل بشماله حتى شُلت يده.

وانظر إلى التعليل ما السبب لا تأكل بالشمال؟ **(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ ويَشربُ بِالشِّمَالِ)** فخالف الشيطان، وارض الرحمن، واسلك سبيل الهدى والإحسان، تصل إلى أعالي الجنان.

(١) حديث رقم: (٢٠١٩).

وسيأتي أن حتى المناولة ناول بيمينك، **«حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»**، وعود من يأخذ منك أن يأخذ بيمينه، الله يرحم محمدا، كان صغيرا وأنا أقول له: يا ابني كل بيمينك، وهو ربما غلط وقال بشماله، وفي يوم من الأيام معنا واحد في المجلس وأنا أقول له: كل بيمينك، أكل بها، ثم غلط وتناول بشماله، فدقه ذلك الرجل دقة في يده حتى لم يقدم شماله بعد ذلك.

فأحيانا يحتاج الابن إلى تعويد، وهكذا الجميع، الشمال لا تستخدم إلا في الأذى أو ما لا بد منه، بعضهم إذا أراد يستأذن يرفع الشمال، يا أخي ارفع اليمين، حتى في سواقة السيارة عود نفسك باليمين.

وانظر إلى السيارات التي تُصنع لمنطقة الخليج حتى التعشيقة باليمين، والدبل باليمين، اليمين أقوى، ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [سورة الحاقة:٤٥] ، اليمين أقوى من الشمال، لكن لا غنى لليمين على الشمال.

وهكذا الآكل ينبغي أن يشرب بيمينه ويأكل بيمينه، ما يقول لك: كلها خلقها الله، هذا تعليل سيء، تأتيه بأحاديث النبي ﷺ ويقول لك: كلها خلقها الله، لو أردنا أن نجري هذه أشياء كثيرة خلقها الله، كل شي، خلقه الله من المخلوقات، هل يقال له: أنت مثل الحمار؟ الحمار خلقه الله، فكما أن الإنسان المكرم على الحمار فاليمنى مكرمة على الشمال.

١٦٣٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». رواه مسلم(١).

١٦٣٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارى لَا يَصْبغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ». متفق عَلَيْهِ(٢).

المُرَادُ: خِضَابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ والرَّأْسِ الأَبْيَضِ بِصُفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ؛ وأَمَّا السَّوَادُ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِي البَابِ بَعْدَهُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الشرح:

في حديث أنس: لا يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، يعني علم اليهود أن محمدا ﷺ يخالفهم في كل شيء، فقالوا هذا الأمر الذي صار كالقاعدة: لا يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، خالفوا اليهود فإنهم لا يصبغون، خالفوا اليهود وصلوا في نعالكم، خالفوا اليهود وكلوا أكلة السحر، الفرق بيننا وبين أهل الكتاب أكلة السحر، في أمور كثيرة، ﴿۞مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [سورة الروم:٣١-٣٢]، **«ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»**، خالفوهم أمنوا.

انظروا إلى الرافضة كيف تشبهوا باليهود وأبغضوا التأمين، أمن يا معشر أهل السنة، وأفشوا السلام، ما تمكنونا: صباح الخير مساء الخير، إذا كان ولا بد: السلام عليكم ورحمة الله ثم تقول: صبحك الله بالخير والعافية، دعاء، السلام عليكم ورحمة الله، مساك الله بالخير والعافية، وهكذا.

(١) حديث رقم: (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣).

٢٩٤ - باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

١٦٣٧ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ والِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَومَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو قحابة والد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسمه عثمان.

(وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا) يعني: أبيض ما فيه سوداء، الثغامة: نوع من الشجر، الشجر الذي هو عبارة عن أعلاف، هذا اليسير، العشب، يكون في جبال مكة، وفي كثير من الجبال، أبيض، لا سيما إذا قد قارب اليباس.

(وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ) هذه اللفظة بعضهم قد طعن فيها، ولكنها ثابتة، فالسواد لا يجوز أن يُستخدم لتغيير الشعر، والنبي ﷺ قد قال: **«يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها»**، ولشيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في تحريم الخضاب بالسواد.

وقد ثبت عن جمع من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالسواد، كالحسن بن علي، والحسين بن علي، وغيرهم، كما وجدته في كتاب (الكنى) للدولابي، ومع ذلك إما أن يقال: لم يعلموا بالنهي، أو لوجه آخر، وإلا فالنهي ثابت.

---

(١) حديث رقم: (٢١٠٢).

٢٩٥ - باب النهي عن القَزَع وَهُوَ حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كُلّه للرجل دون المرأة

المرأة لا بأس أن تقصر إذا احتاجت أن تقصر، لا سيما إذا كان الزوج يرغب في ذلك، فإن نساء النبي ﷺ بعد وفاته أخذن من رؤوسهن حتى كان مثل الوفرة، كما في حديث عبد الله بن عمرو، أو قصة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أما أن تحلقه كله لا يصلح.

وهكذا القزع: أن تأخذ بعض شعرها وتترك البعض لا يصلح، هذا عام في الرجال والنساء.

والآن تجد بعض النساء وربما بعض الرجال يأخذ مقدم الرأس، ثم يترك المؤخر يتدلى، هذا ما يصلح.

١٦٣٨ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عن القَزَعِ. متفق عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

نهى عن القزع الذي كان يعلمه الناس الآن، فكيف بهؤلاء الذين يحلقون هذا الذي سمى كابوريا؟ حلاقات سيئة، بعضهم يجعل رأسه مثل الشجر، بعضهم يجعل رأسه مثل رجل الكلب، بعضهم يجعل رأسه مثل المدرجات، تلاعب، لا إله إلا الله!

والله حتى حول الكعبة أحدهم يطوف وتتعجب من رأسه، مرة من المرات كنت أطوف، وواحد شاب يطوف، ورأسه في غاية من الشمات كما يقول العامة، غاية من السوء، فقلت له: يا أخي هذه الحلاقة ما تجوز، احلق شعرك، قال: إن شاء الله، نسأل الله أن يكون صادقًا.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٠)، ومسلم (٢١٢٠).

وبعضهم ربما يدخل بشعر طويل، يتشبه بالنساء، قد زاد على هذه النبي ﷺ، ومع ذلك يخرج من العمرة ولا يرضى أن يأخذ منه إلا اليسير.

وأسوأ منه: الذي يخرج من العمرة ويحلق رأسه بهذه الحلاقات السيئة، «رحم الله المحلقين»، «غفر الله للمحلقين»، أما هؤلاء نخشى عليهم من سخط الله بهذه الطريقة، يخرج من بيت الله ويتشبه بالفساق وبالكافرين!

١٦٣٩ - وعنه، قَالَ: رأَى رسُولُ اللهِ ﷺ صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأْسِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وقال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم[(١)].

١٦٤٠ - وعن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ»، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي» فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّنَا أَفْرُخٌ فَقَالَ: «ادْعُوا لِي الحَلَّاقَ»، فَأَمَرَهُ، فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم[(٢)].

الشرح:

هذا دليل على أنه يجوز حلاقة الرأس في غير الحج والعمرة، الحلاقة العامة الكاملة؛ لأن بعضهم ذهب إلى الكراهة إلا في حج أو عمرة، ولا بأس أن الإنسان يحلق؛ لوجود القشرة، أو وجود القمل، أو وجود التحسس، أو للتبرد، أو نحو ذلك.

والذين كرهوا الحلاقة مطلقا استدلوا بحديث النبي ﷺ: «سيماهم التحليق» في حق الخوارج، لكن الذي يظهر أن هؤلاء جعلوه ديانة وتشبها بذي الخويصرة.

---

(١) حديث رقم: (٤١٩٥).

(٢) حديث رقم: (٤١٩٢).

١٦٤١ - وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَحْلِقَ المَرْأَةُ رَأسَهَا. رواه النسائي[1].

الشرح:

فالمرأة لا يجوز لها أن تحلق رأسها على ما تقدم، ولكن لها أن تقصر من رأسها إذا احتاجت لذلك.

(١) حديث رقم: (٨/ ١٣٠)، والترمذي (٩١٤)، وغيرهم.

٢٩٦ - باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النساء:١١٧-١١٩].

الشرح:

وصل الشعر: أن تصل بشعرها شعرا حتى يُرى طويلا، أو كذلك تصل به نوعا من القماش، ونحو ذلك.

والوشم: أن يُحفر في الجلد ثم يوضع فيه مثل الكحل ونحو ذلك، فيبقى في الوجه أو في اليد، ومن عجيب شأنهم: أن النصارى يحفرون الصليب في أيديهم حفرا، يوشمون أنفسهم بالصليب.

والآن انتشر الوشم في الفساق، ربما يرسم صورة معشوقته، وبعضهم ربما رسم الثعابين، إلى غير ذلك، فيجب إزالة الوشم.

والوشر: وشر الأسنان، تفليج الأسنان، تغيير خلق الله.

(﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾) في عباداتهم، في أخلاقهم، في جميع شأنهم.

(﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾) يضلهم عن الطريق المستقيم، يمنيهم: يشغلهم بالأماني.

(﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾) يقطعوا آذان الأنعام تقربا إلى الله، وبدعة في دين الله، هذا وصيلة، وهذا حام، وهذا كذا.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ﴾ وهذا عام في جميع ما يُسلك لتغيير خلق الله، ومنه الآن تغيير الذكر إلى أنثى، وتغيير الأنثى إلى ذكر، وما ندري إلى أين يجرون العالم؟ رئيس الوزراء الكندي يعلن قبل يومين على أن أي مسؤول فيدرالي يغير جنسه يستلم خمسة وسبعين ألف دولار، أين ذهبت مروءاتهم؟ ما عاد فيهم مروءة، ما عاد فيهم حياء، ما عاد فيهم إنسانية، ما عاد فيهم فطرة قويمة، فطرة الحيوان، أما فطرة الإسلام فهم في بعد عنها، بكل جرأة رئيس وزراء يقول: الذي يريد يصلح نفسه امرأة نعطيه خمسة وسبعين ألفا.

انظروا إلى أين وصلوا، قبحهم الله قبحهم الله، والله يا مثل هؤلاء أن متقدم الجاهلية أحسن منهم حالا كما تقدم معنا في درس آخر، كان الجاهلية الأولى عندهم مروءة، عندهم كذلك كرم، عندهم شجاعة، أما هؤلاء أيش تقول فيهم؟ لا إله إلا الله! نسأل الله السلامة والعافية.

والله أني اليوم فكرت في نفسي قلت: يا رب إذا كان العالم سيذهب إلى هذا الشر توفنا قبل أن نرى هذه الشرور، نخشى أن يصل إلى بلداننا، كيف يكون موقفك إذا رأيت من تعرف يذهب يعمل له عملية بدل ما هو رجَّال يرجع امرأة؟ قع رجَّال ويرجع يقول: قع امرأة، نعوذ بالله، ما مثلهم هؤلاء، بعضهم قد هو ديوث ويريد يكون الناس كلهم دوث مثله.

مثل تلك القصة التي أخبرنا بها الشيخ محمد العزازي: يذكرون أن أبا الثعالب أوصاهم أن لا يدخلوا في جهة من الجبل؛ شفقة عليهم، المهم بعض الثعالب ذهب إلى ذلك الجبل يتراقص، فسقطت صخرة فقطعت ذيله، وكان مكارا، فقال: أبقى مقطوع الذيل يضحك علي الناس: يا مقطوع الذل؟ أسعى في قطع ذيولهم جميعا، أو في قطع ذيول أكثرهم.

المهم ذهب بحث له عن واحد قريبا منه، وأظهر له السعادة، ثم قال له: وجدتها في ذلك الجبل، ذهب إلى الجبل قُطع ذيله، وهكذا يجمعون إليهم حتى كثر قطع الذيول، فأصبحوا إذا رأوا ثعلبا ذيله في سلامة ضحكوا عليه، والثعالب مقطعة الذيول تنتشي، فهكذا يصير الأمر.

الأمريكيون والكنديون والبريطانيون والألمانيون والفرنسيون، لأن هذه الدول أصلا هي دول الماسونية العالمية، إذا شئت أن تعرف الماسونية العالمية هي متربعة على هذه الدول، روسيا شبه خرجت من الماسونية العالمية، ولذلك الآن الثورة عليها من الدول الغربية، لكن نسأل الله أن يهزم الغربيين الكافرين، ويكفينا شر نيوتن، لكن أما هذه أسأل الله أن ينصره عليهم، هذا أقل حالة فيه إنسانية، يقول لهم: أنتم دعاة اللواط، أنتم دعاة كذا، يعيرهم، جزاه الله خيرا في هذه.

والله قد ساء الحال حتى أصبحنا نبحث عن أصحاب الفطرة الإنسانية، أما بايدن لعنه الله شيبة سوء، شيبة سوء هذا بايدن، إن شئت أن يدعو إلى اللواط، يدعو إلى الفجور، يدعو إلى كل بلية، شيبة سوء، قبحه الله، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحم المسلمين.

الذي جرنا إلى هذا: أن الشيطان أمرهم أن يغيروا خلق الله، وكان تغييرهم لخلق الله في سن يجعلونه أفلج، في كذا، أما هؤلاء يغير نفسه من ذكر إلى أنثى، لا إله إلا الله! كان أهل الجاهلية الأُول يدفنون البنات، يعني أحدهم يصبح سيء الحال إذا بُشر بالأنثى، مع أن الأنثى هي خلق الله، ونرضى بما أعطاه الله، ويجب على الجميع عبادة الله، لكن انظر إلى هؤلاء قد جعله الله ذكرا ويذهب يغير نفسه أنثى، نسأل الله السلام.

١٦٤٢ - وعن أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الحَصْبَةُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، وإنِّي زَوَّجْتُهَا، أَفَأَصِلُ فِيهِ؟ فقالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ». متفق عليه[1].

وفي روايةٍ: «الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ».

قَوْلُهَا: (فَتَمَرَّقَ) هو بالراءِ ومعناهُ: انْتَثَرَ وَسَقَطَ.

(وَالوَاصِلَةُ): التي تَصِلُ شَعْرَهَا، أو شَعْرَ غَيْرِهَا بِشَعْرٍ آخَرَ.

(وَالمَوْصُولَةُ): التي يُوصَلُ شَعْرُهَا.

(والمُسْتَوْصِلَةُ): التي تَسْأَلُ مَنْ يَفْعَلُ لها ذلك.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَحوهُ. متفق عليه[2].

الشرح:

(الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ): الواصلة والتي تصل لها.

انظروا إلى شدة مرض الحصبة، مرض الحصبة مرض خطير، إلا إذا وُجدت له بعض العلاجات، وإلا قد يُؤثر على الرئتين، وربما أثر على الأعضاء الداخلية للمريض، مرض شديد، ما يخرج إلى الجسم إلا وقد أكل الجسم من الداخل.

وكان قد ذهب كثير من الناس يستخدمون له ما يسمى بالتلقيح، وبعضهم لا يستخدمه، لكن كثيرا من الناس حين استخدموه قل المرض، والآن جاءت قضية هذه المؤامرة، فكثير من الناس أصبح يتحرج من التلقيح، لكن الحق لما الحوثي يحارب التلقيح ما ندري ما قصد الحوثي، أشهد لله أن كما قال الأول: إذا أردت الحق فخالف أبا حنيفة، فنحن نقول: إذا أردت الخير فخالف الحوثي، ما وجد إلا التلقيح

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤١)، ومسلم (٢١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٣).

يحاربه؟ وهو قد جر المنظمات أفسدت الرجال، وأفسدت النساء، وأفسدت الكبار، وأفسدت الصغار.

وتجد الأطباء بعضهم يقول: الحقيقة أن ليس كل ما يقال عن التلقيح كما تسمع، ربما هناك بعض التلقيح الذي يضر، لكن هناك تلقيح قد ينفع الله به، مثل التلقيح من شلل الأطفال، والتلقيح من الحصبة، وغير ذلك.

ومن توكل على الله عَزَّوَجَلَّ وجاء المرض وعالج لا بأس، ما نقول: هو واجب ولا هو حتم، لكن كذلك لا نحرمه؛ لأن النبي ﷺ يقول: **«من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر»**.

فإذا وُجد أن هذه اللقاحات سليمة بشهادة المتخصصين من المسلمين من الأمراض والأسقام والسموم ونحو ذلك فلا حرج في استخدامها، والله المستعان.

١٦٤٣ - وعن حُمَيدِ بنِ عبد الرحْمانِ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامَ حَجَّ على المِنْبَرِ وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ في يَدِ حَرَسِيٍّ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هذِهِ، ويقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ». متفق عليه[1].

الشرح:

أي: حين اتخذن الوصل لشعورهن، فهذا دليل على أن الوصل محرم، والتشبه بالكفار محرم.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧).

١٦٤٤ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ لَعَنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ. متفق عليه(١).

١٦٤٥ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧] . متفق عليه(٢).

(المُتَفَلِّجَةُ) هيَ: الَّتي تَبْرُدُ مِنْ أَسْنَانِهَا لِيَتَبَاعَدَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ قَلِيلًا، وتُحَسِّنُهَا، وَهُوَ الوَشْرُ.

(وَالنَّامِصَةُ): الَّتي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِ غَيْرِهَا، وتُرَقِّقُهُ؛ لِيَصِيرَ حَسَنًا.

(وَالمُتَنَمِّصَةُ): الَّتي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ.

الشرح:

وهذا دليل على أن النمص وعلى أن الوشم وعلى أن التفلج يعتبر من المحرمات، ومن كبائر الذنوب، وحتى النمص كانت تستخدمه النساء، والآن يستخدمه الشباب، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا دليل على أن حجية القرآن والسنة سواء؛ لأن ابن مسعود لعن من لعنه رسول الله ﷺ واحتج على أن هذا في القرآن؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧] .

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

٢٩٧ - باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما، وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه

١٦٤٦ - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ القِيَامَةِ». حديث حسن، رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي بأسانيد حسنة، قال الترمذي: هو حديث حسن[1].

الشرح:

الآن تجدهم يصبغون الشيب بالسواء، وأما اللحية وما في بابها ما يربيها إلا ما رحم ربي، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ص:٢٤] .

١٦٤٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم[2].

الشرح:

هذا الحديث يُحتج به في باب الأحكام، وفي باب المعاملات، وفي كثير من أبواب الدين، فنتف الشيب ليس من أمر النبي ﷺ، والخضاب بالسواد ليس من أمر النبي ﷺ، وحلق اللحية ليس من أمر النبي ﷺ، ولبس البنطال ليس من أمر النبي ﷺ، وهكذا في بقية الأبواب.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذي (٢٨٢١)، والنسائي (٨/ ١٣٦) وفي (الكبرى)، له (٩٢٨٥).

(٢) انظر الحديث (١٦٩).

٢٩٨ - باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر

١٦٤٨ - وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قال: «إذا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ». متفق عليه[1].

وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة.

الشرح:

(إذا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ)؛ لأن اليمين شريفة، تكون لأكله، لشربه، لمناولته، واليسار لما كان من أذى.

(وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ) أي: يستنجي، إلا إذا كان مبتور اليسار، أو كان مريضا.

(وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ) أي: داخل الإناء؛ لأن ذلك يقذره.

وهناك أحاديث كثيرة في آداب الاستنجاء تؤخذ في باب الطهارة.

(١) أخرجه البخاري (١٥٤)، ومسلم (٢٦٧).

٢٩٩ - باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر

هذا دليل على كمال الدين، حتى في مسألة الاستنجاء، في مسألة الشعر، في مسألة الانتعال.

١٦٤٩ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعًا، أو لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا».

وفي رواية: «أو لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا». متفق عليه(١).

١٦٥٠ - وعنه، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا». رواهُ مسلم(٢).

الشرح:

أو ينزعها، إذا لم يُصلح التي انقطعت ينزع السليمة.

(الشسع: هُوَ أَحَدُ سُيُورِ النِّعَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ الْأُصْبُعَيْنِ، وَيَدْخُلُ طَرَفُهُ فِي النَّقْبِ الَّذِي فِي صَدْرِ النَّعْلِ الْمَشْدُودِ فِي الزِّمَامِ.

هذه هي النعال السبتية، وأما الآن ما تسمى بالصنادل ونحو ذلك ربما لا يكون فيها هذا الشسع، وإنما يدخل الإنسان رجله وقدمه في ذلك النعل). من "شرحي على صحيح مسلم".

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٢) حديث رقم: (٢٠٩٨).

١٦٥١ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائِمًا. رواه أبو داود بإسناد حسن[1].

الشرح:

لأنه لاسيما الخف أو التي تسمى الجزمة لأنه إذا لبسها قائما ربما يلتقي على ظهره، أو ربما ظهرت عورة؛ لأن في بعض المناطق ما يلبسون السراويلات، فربما إذا جعل يعالجها قائما انكشفت عورته.

(١) حديث رقم: (٤١٣٥).

٣٠٠ - باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره

١٦٥٢ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ». متفق عليه[1].

الشرح:

حتى لو أخذ الإنسان بعمومه وأطفأ الأسرجة إن كان لا يحتاج إليها فحسن.

هذا النهي للكراهة لا للتحريم؛ لأنه نهي إرشاد، لا نهي تعبد.

١٦٥٣ - وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَأْنِهِم، قالَ: «إِنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا» متفق عليه[2].

الشرح:

ولا تقل لا سيما إذا كان عندك شمعة أو فانوس تقول: إن شاء الله أنتبه لها، لا، النوم يأتي غفلة، وقد ذكرت لكم مرة: أني كنت أقرأ كتابا على شمعة، فأخذني النوم، وإذا بالشمعة تنزل حتى انتهت، كنت قد وضعتها على غلاف الأشرطة، كانت هناك أغلفة للأشرطة من بلاستيك، فحرق الغلاف، وبدأت تحرق الفرشة، فاستيقظت من نومي ورأيت نارا، لشدة الحال لم أتمالك إلا أن ضربتها بيدي لإطفائها، فالتصق ذلك البلاستيك في يدي مع حرارته.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٣)، ومسلم (٢٠١٥).

(٢) انظر الحديث (١٦١).

والحمد لله أن الله حفظني وسلمني، وإلا ربما إذا كثر ثاني أكسيد الكربون أن الإنسان يختنق ويموت، نسأل الله السلامة والعافية، وربما إذا كان في البيت غاز ينفجر، فيُنتبه لهذا الباب.

١٦٥٤ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ فَلْيَفْعَلْ، فإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ». رواه مسلم[1].

(الفُوَيْسِقَةُ): الفَأْرَةُ، (وَتُضْرِمُ): تُحْرِقُ.

الشرح:

(غَطُّوا الإِنَاءَ)؛ حتى لا يأتيه الهوام.

(وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ)؛ حتى لا يدخل فيه شيء، لا سيما الأسقية التي يوضع فيها الماء، أو العسل، أو السمن، أو شيء من الزيوت.

(وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ)؛ لا يدخل عليك الهوام.

(وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ)؛ حتى لا تشتعل النار.

(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً) لا سيما إذا ذُكر اسم الله عليه.

(وَلَا يَفْتَحُ بَابًا) لا سيما إذا ذكر اسم الله عليه.

(فإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ فَلْيَفْعَلْ) فيه بركة اسم الله.

(فإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ) يعني: الفأرة (تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ) ربما تأخذ الفتيلة وتمشي بها على البيت.

(١) حديث رقم: (٢٠١٢)، ورواه البخاري أيضا.

٣٠١ - باب النهي عن التكلف، وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦] .

١٦٥٥ - وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ. رواه البخاري[(١)].

١٦٥٦ - وعن مسروقٍ، قال: دَخَلْنَا على عبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، قالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦] . رواه البخاري[(٢)].

الشرح:

والتكلف سبب للغلو، وسبب كذلك للخروج عن الاستقامة، وسبب لضعف النفس؛ لأن النفس يأتيها الملال إذا كلفتها ما لم تطق، وهكذا يؤدي إلى الانقطاع عن الاستقامة، ولو بعد حين، تجد الذي يحرص ويشدد على نفسه في أول طلبه للعلم في أول استقامته بعد أيام يأتيه الفتور.

والنفس كالراحلة، حاول أن تتلطف بها، لا تفلت لها الحبل فتذهب منك وتشرد مع الشيطان، ومع الشهوات والشبهات، ولا تشقها وتشد عليها فتفتر وتضعف، ولكن بين ذلك.

---

(١) حديث رقم: (٧٢٩٣).

(٢) حديث رقم: (٤٨٠٩).

٣٠٢ - باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

١٦٥٧ - عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيّ ﷺ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ».

وَفِي روايةٍ: «مَا نِيحَ عَلَيْهِ». متفق عليه[1].

الشرح:

هذه المسألة اختلفت فيها العلماء، فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترى أنه لا يُعذب، وإنما أخبر النبي ﷺ عن شخص من اليهود: «إنهم لينوحون وإنه ليعذب الآن»، وأما مذهب ابن عمر وعمر وغيرهم: أن الميت يعذب ببكاء الحي.

لكن كيف يعذب ببكاء الحي والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]؟ قالوا: يعذب ببكاء الحي إذا كان يعلم أنهم سينوحون ولم ينههم، أو إذا أوصاهم بالنوح عليه؛ لأن العرب في غابر الزمان كان قبل أن يموت أوصى أهله وعشيرته وزوجته بالنياحة عليه، حتى قال أحدهم:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وصبي علي الدمع يا ابنة معبدِ

فكانت المرأة ربما تصعد على القصر وعلى البناء وتنوح، يعني بذكر محاسنه، ومن لنا بعدك؟ وأنت الجبل الذي، وأنت النار التي لا تطفى، وأنت الكريم الذي كذا، المهم النوح، نسأل الله السلامة والعافية.

وما زال موجودا إلى الآن في كثير من البلدان، لأن النبي ﷺ يقول: «أربع في أمتي لا يتركونهن» وذكر منهن: «النياحة».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧).

١٦٥٨ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ». متفق عليه[1].

الشرح:

أي عند المصيبة، تجده يضرب الخد، وربما شق الجيب الثوب من هذا المكان من صدره، (وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ): يا جبلاه، يا كذا، إلى غير ذلك من الدعاوى.

١٦٥٩ - وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قال: وَجعَ أبو مُوسَى، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقَّةِ. متفق عليه[2].

(الصَّالِقَةُ): الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالنِّيَاحَةِ والنَّدْبِ.

(وَالحَالِقَةُ): الَّتِي تَحْلِقُ رَأْسَهَا عِنْدَ المُصِيبَةِ، (وَالشَّاقَّةُ): الَّتِي تَشُقُّ ثَوْبَهَا.

الشرح:

وهذا الأمر سواء فعله الرجال أو النساء يدخل في هذا الوعيد، لا يقول قائل: إنما الأمر في حق النساء، بل الرجال أيضا يدخلون دخولا فيه، إلا أنه لما كان الأكثر في النساء هذا؛ خاطبهن النبي ﷺ.

١٦٦٠ - وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ». متفق عليه[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٣٣).

١٦٦١ - وعن أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ - بِضَمِّ النون وفتحها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِندَ البَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ. متفق عليه[١].

الشرح:

وما وفت إلا خمس نسوة، وإلا بقية النساء وقعن في النوح.

١٦٦٢ - وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أُغْمِيَ عَلَى عَبدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبَلاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا: تُعَدِّدُ عَلَيْهِ، فقالَ حِينَ أَفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئًا إلاَّ قِيلَ لِي أَنْتَ كَذَلِكَ؟ رواه البخاري[٢].

الشرح:

عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتل يوم مؤتة.

كأنه خاطبه ملك بهذا الأمر، **وفي رواية**: أنه أُخذ بلَهْمَزَتَيْه - بهذا المكان - ويقال له: أأنت كذلك؟ نسأل الله العافية والسلامة.

١٦٦٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: اشْتَكَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَكْوَى، فَأَتاهُ رسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبدِ الرَّحمانِ بْنِ عَوفٍ، وَسَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ، وعبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشْيَةٍ، فَقالَ: «أَقَضَى؟» قالوا: لا يا رسول اللهِ، فَبَكَى رسولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، قال: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أو يَرْحَمُ». متفق عليه[٣].

الشرح:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦).

(٢) حديث رقم: (٤٢٦٧).

(٣) انظر الحديث (٩٢٥).

هذا الحديث ساقه المصنف؛ ليبين أن ما كل بكاء مذموم، إنما البكاء المذموم: الذي يأتي عن تسخط ونياحة، وأما مجرد البكاء لرقة القلب لفقد الحبيب أو الصاحب والصديق فهذا قد يقع، والنبي ﷺ لما مات ولده إبراهيم قال: **«إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**.

وفي الحديث: **«إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أو يَرْحَمُ»** يعني إذا كان يتسخط إذا كان ينوح إذا كان يخرج عن الاعتدال يعذب على معصيته.

١٦٦٤ - وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا دليل على أنه من كبائر الذنوب، فتعذب في النار عذابا شديدا، ومن ذلك أنها تُلبس سربال من قطران، يغطي جميع جسمها، ودرع من جرب يأكلها، مع شدة عذاب النار لها، وهذا دليل على أن النوح كبيرة من كبائر الذنوب.

وقد كانوا يستأجرون النساء في الزمن الماضي، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) حديث رقم: (٩٣٤).

١٦٦٥ - وعن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ التابِعِيِّ، عن امْرَأَةٍ مِنَ المُبَايِعاتِ، قالت: كان فِيما أَخَذَ عَلَيْنَا رسُولُ اللهِ ﷺ فِي المَعْرُوفِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ: أَنْ لا نَخْمِشَ وَجْهًا، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا، وَلَا نَشُقَّ جَيْبًا، وأَنْ لَا نَنْشُرَ شَعْرًا. رواه أبو داود بإسناد حسن[١].

الشرح:

أخذ علينا أن لا ننوح، وقد تقدم أنه قال: لعن الصالقة والحالقة والشاقة، «وليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

١٦٦٦ - وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ فَيَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ واسَيِّدَاهُ أو نَحْوَ ذلِكَ إلاَّ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أهكَذَا كُنْتَ؟». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[٢].

(اللَّهْزُ): الدَّفْعُ بِجُمْعِ اليَدِ فِي الصَّدْرِ.

١٦٦٧ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ». رواه مسلم[٣].

الشرح:

(الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ) كأن يقول لك واحد: أنا من بني فلان وأنت تقول: لا، لا يجوز لك هذا، الناس مأمونون على أنسابهم، ومن هذا الباب حتى الرافضة الذين يقولون: هم من نسب علي بن أبي طالب لا نقول: أنتم تكذبون ما أنتم من نسب علي بن أبي طالب، لكن نقول: لا ينفعكم انتسابكم إلى علي بن أبي طالب وأنتم على هذا الحال.

---

(١) حديث رقم: (٣١٣١)، بل هو ضعيف، في إسناده أُسيد بن أبي أسيد، ومع ذلك المعاني ثابتة.

(٢) حديث رقم: (١٠٠٣)، في سنده أسيد بن أبي أُسيد، لكن يشهد له حديث النعمان بن بشير عند البخاري.

(٣) انظر الحديث (١٥٧٨).

من دعا غير الله أو نذر لغير الله أو ذبح لغير الله سواء من عباد القبور من الصوفية الذين يدعون أن جدهم علي بن أبي طالب، أو الرافضة الذين يسبون أبا بكر وعمر، ويشركون بالله ويندون ويدَّعون أن جدهم علي بن علي طالب، نحن ما ننازعكم في أنسابكم، أنتم أمناء عليها، ما سنقول: ما أنتم من هذا النسب، لكن نقول ما قال النبي ﷺ: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

فلا تنتفعون بأنسابكم ما دمتم على غير هدي رسول الله ﷺ، وعلى غير دين الله، فإنما ينتفع الإنسان بالنسب إذا كان على استقامة ونسبه على استقامة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [سورة الطور:٢١]، فهذا هو الذي ينتفع بنسبه، مؤمن مع مؤمن، وأما كافر مع مؤمن أو مؤمن مع كافر ما ينتفع بالنسب، لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم.

٣٠٣ - باب النَّهي عن إتيان الكُهّان والمنجِّمين والعُرَّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك

هذا الباب من أهم الأبواب، فهو متعلق بالعقيدة، كما أنه متعلق بالأحكام، فلا يجوز إتيان الكهان والمنجمين والعرافين، وغيرهم ممن يسلك هذا المسلك، فمن جاءهم مصدقا لهم فقد كفر بما أنزل على محمد صل الله عليه وسلم، ومن جاءهم غير مصدق لم تقبل له صلاة أربعين يوما، ويجب عليه أن يصلي، إلا إذا أحدث توبة نصوحا، فيتوب الله على من تاب.

والسحر كفر، وتعلمه كفر، وتعليمه كفر، وتصديق أهله كفر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وقد انتشر السحرة والمشعوذون والكهان والعرافون، لا سيما عند غربة الدين، وتسلط المبطلين، فالأصل عند الرافضة السحر، وعند المكارمة والباطنية، وهكذا عند كثير من الصوفية، وربما سموا الساحر بالفقيه، وغيروا اسمه، وفي بعض البلدان يسمونه بالمُقَذِّي، وفي بعضها بالمُبَشِّع، وغير ذلك من المسميات.

وصار كثير من الناس يتعاطون السحر في وسائل التواصل الاجتماعي، وصارت له قنوات، والله المستعان.

وكفر الساحر من عدة أوجه: ادعاء من الغيب، الاستعانة بالشياطين، التقرب إليهم، وربما امتهن القرآن، وامتهن شيئا من دين الإسلام، وربما صلى بغير طهارة، وربما كتب القرآن بدم الحيض، وربما وضع القرآن في أماكن القاذورات والنجاسات، إلى غير ذلك من أفعاله القبيحة، وسلوكه الرديء.

١٦٦٨ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سأل رسُولَ اللهِ ﷺ أُنَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيءٍ» فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقًّا، فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ». متفق عليه(١).

وفي رواية للبخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّها سمعتْ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيهُ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

قَولُهُ: «فَيَقُرُّهَا» هو بفتح الياء وضم القاف والراء، أي: يُلْقِيها.

(والعَنانِ) بفتح العين.

الشرح:

قول النبي ﷺ: (لَيْسُوا بِشَيءٍ) ليس معناه أنه ليس له حقيقة، فالسحر له حقيقة، ولذلك سُحر النبي ﷺ ومرض منه، ولكن ليسوا بشيء في ادعاء علم الغيب، ليسوا بشيء في ضر الناس بدون إذن الله عَزَّوَجَلَّ، ليسوا على شيء لأنهم كفار، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [سورة المائدة:٦٨] .

وإنما يقع تسلطهم على من يخاف منهم، ويرهب منهم، ويفرق منهم، وإلا فعلى الإنسان أن يكون ذاكرا لربه، داعيا له، متحصنا بأذكار الصباح والمساء، والدخول والخروج، ونزول المنزل، ونحو ذلك من الأذكار.

(فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقًّا) فهذه الكلمة الحق يخلطون معها مائة كلمة كذب وباطل وزور، ولكن الناس يتسلط عليه بالشيطان، فيبقى في أذهانهم تلك الكلمة الحق، ولا ينظرون إلى غيرها من الباطل.

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٠)، ومسلم (٢٢٢٨).

(فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ)

يعني: هذه الكلمة الحق ليست من الجن، وإنما هي من وحي الله، فيخلط معها مائة كذبة؛ حتى ينفق كذبه، ويظهر زوره، والله المستعان.

قوله: (إنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ) أي حين يوحي الله بالأمر في السماء، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣] .

(فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ): جنس الشيطان، يكون الشياطين بعضها على بعض هكذا، فيرقى، فبعضهم يلحقه الشهاب، وبعضهم يخبِّله، وبعضهم يفوت الشهاب.

(فَيُوحِيهُ إِلَى الكُهَّانِ) بينهم تعاون وأخوة، جمعهم الكفر، جمعهم الشر، ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٢] ، فيستمتع الكاهن بالعراف من حيث أن العراف يشرك بالله ويندد، ويتقرب إلى الجني، ويستمتع الجني بالكاهن من حيث أنه يستخدمه فيما شاء من الشأن، فربما أفسد عليه حال كثير من الناس، فيستمتع بعضهم ببعض.

(فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ) وهكذا سبيل أهل الباطل، المتحزبة يلبسون الحق بالباطل، المتصوفة يلبسون الحق بالباطل، الرافضة يلبسون الحق بالباطل، كل مبطل سبيله سبيل الشيطان، يأتي بحكم هو في أصله حق، ثم يخلط معه الباطل الكثير.

فمثلا: الرافضة في قضية منع أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفاطمة من الإرث هذه القضية حق، أبو بكر منعها، لكن منعها؛ عملا بالدليل، وإحكاما للحجة، ومع ذلك أخذوا هذا المنع واستغلوه في الطعن في الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وفي غير ذلك من الأبواب.

فمن أراد سبيل السلامة فليكن بعيدا عن الكذب، وعن تصديق الكذب، وعن لبس الحق بالباطل.

١٦٦٩ - وعن صَفِيَّةَ بِنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعض أزواجِ النَّبيِّ ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا».

رواه مسلم[1].

الشرح:

(عن بعض أزواج النبي ﷺ) وهي حفصة.

وصفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبوها صحابي، وأخوها ذاك المدبر: المختار بن أبي عبيد، الكذاب، الذي ادعى النبوة، وزعم أنه يأتيه جبرائيل وميكائيل، وقتله مصعب بن الزبير، إلا أنه سُلط قبل موته على قتلة الحسين، وتجاوز، فربما يقتل من حضر، من نظر، من ابتسم، من رضي، من شارك، من قال، من فعل.

أولًا: كلمة (فصدقه) ليست ثابتة؛ لأنه لو صدقه كفر؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وهذا منقطع بين أبي هريرة وبين أبي تميمة الهُجيمي، إلا أنه له شواهد من حديث جابر عند البزار، ومن حديث عبد الله بن مسعود، ومن حديث عمران بن حصين، وحديث جابر حسن لذاته.

(مَنْ أَتَى عَرَّافًا) وما في بابه من الكهان والسحرة، والمشعوذين، وأصحاب الرمل، وأصحاب الودَع، حتى هؤلاء الذين في باب اليمن في صنعاء، ما أدري لعلهم أكثر مما كانوا في هذا الزمن، تأتي بعض النساء ومعهن من الودع وبعض الشيء، فتنجم لمن يأتيها.

(فَصَدَّقَهُ) قلنا لكم بأنها غير ثابتة.

---

(١) حديث رقم: (٢٢٣٠).

(لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا): لا ترفع، مع أنه يجب عليه أن يصلي، وهذا دليل على أن إتيان الكهان والسحرة والمشعوذين من كبائر الذنوب وعظيم الآثام.

إلا أن أهل العلم جوزوا من يأتيه للاختبار أو للإنكار، من يأتيه للاختبار أو للإنكار نرجو أن لا حرج فيه، أما من يأتيه لغير هذه المقاصد إن صدقه كفر، وإن لم يصدقه لم يرجع سالما.

١٦٧٠ - وعَنْ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، والطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ». رواه أبو داود بإسناد حسن[1].

وقال: (الطَّرْقُ) هُوَ الزَّجْرُ: أيْ زَجْرُ الطَّيْرِ وَهُوَ أَنْ يَتَيَمَّنَ أو يَتَشَاءمَ بِطَيَرَانِهِ، فإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَمِينِ، تَيَمَّنَ، وإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَسَارِ، تَشَاءمَ.

قال أبو داود: والعِيَافَةُ: الخَطُّ.

قالَ الجَوْهَرِيُّ في الصِّحَاحِ: الجِبْتُ كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالكاهِنِ والسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذلِكَ.

الشرح:

قوله: (العِيَافَةُ): ضرب الخط، والنبي ﷺ قال: **«كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»**، ليس في هذا الحديث تجويز الخط، لأن بعضهم قد استدل بهذا الحديث على تجويز الخط، لا، هذا نبي يخط بوحي، فمن خطى بعد هذا النبي ثم ادعى أنه أصاب فهو كاذب، ما أدراه أنه وافق خط ذلك النبي، ذاك نبي يخط بوحي، وهذا يخط بسحر واستعانة بالجن، وادعاء علم الغيب، الحديث دليل على التحريم.

(وَالطِّيَرَةُ): ما أمضاك أو ردك، وكانوا يتطيرون أكثر شيء بالطير، ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [سورة يس:١٩] ، يتطيرون بالطير، السوارح والبوارح، فإن مشت يمينا

(١) حديث رقم: (٣٩٠٧).

ذهبوا في شأنهم واستبشروا، وإن مشت يسارا تشاءموا، وربما قعدوا عما قد عزموا عليه، وهكذا في أنواعها، فيستبشرون بالحمامة، ويتشاءمون من البومة، ويستبشرون مثلا باليمامة، ويتشاءمون من الغراب، وهكذا الشأن، وربما تشاءموا بالألوان، وربما تشاءموا بالحيوان، يتشاءمون بالحمار، وبغير ذلك من مما يُتشاءم به.

وربما تشاءموا بالألفاظ، فأول ما يسمع لفظا مستقبحا عنده يبقى في يومه متشاءما، ربما مضى لشأنه مع تخوف، وربما رجع عن شأنه، إلى غير ذلك.

فباب التشاؤم باب واسع، باب الطيرة، بعضهم يتطير برفه عينه، وبعضهم يتطير بحكة إصبعه أو يده، وبعضهم يتطير بصوت في أذنه، إلى غير ذلك.

الطيرة: ما أمضاك أو ردك، قد يقع في القلب شيء، كما قال ابن مسعود: وما منا، ولكن يذهبه الله بالتوكل.

(والطَّرْقُ) يعني: زجر الطير.

(مِنَ الجِبْتِ) والطاغوت، الجبت كلمة عامة تطلق على الكاهن والساحر والصنم والشيطان، وغير ذلك.

١٦٧١ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

كما أن الإيمان يزيد وينقص كذلك السحر، منه المتعمق في سحره حتى يكون كسحرة قوم فرعون، ومنه غير ذلك، فكلما اقتبس شعبة من النجوم ربما أوصله إلى السحر المشؤوم، وصار من الكافرين.

(١) حديث رقم: (٣٩٠٥).

وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين: علم التسيير، يعني: علم مطالع القمر والنجوم، يعرف بها المواسم، وغير ذلك، والاتجاهات، فهذا أجازه غير واحد من السلف.

وإما علم التأثير فهذا هو المحرم، يعتقدون أن التغيرات الفلكية لها تأثير على الحوادث الأرضية، فيقولون: إذا اقترن نوء كذا بنجم كذا حصلت الفيضانات، أو حصل السعد، أو حصلت الأمراض، ونحو ذلك، فيربطونها بالتغيرات الفلكية، وهذا هو المذموم.

وقد تكلم ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (فضل علم السلف على الخلف) في بيان مذاهب العلماء في هذا العلم، وأجاد.

(اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ) اقتبس من السحر، علما من علم السحر، و**(زَادَ مَا زَادَ)** ربما أرداه وأخزاه، وربما إذا كان يعتقد أن النجوم ليست بمؤثرة إنما الله عَزَّوَجَلَّ هو المتصرف في هذا العالم، إلا أنه يجعلها سببا، فيكون من الشرك الأصغر، وأما إذا جعلها هي المتصرفة فيكون من الشرك الأكبر.

ومن أشهر الكتب التي تتناول هذا الأمر وهي موجودة بكثرة بين العوام: كتاب أبي معشر الفلكي، كثير من العوام يأخذونه على أنه كتاب عادي، وهو مليء بالتنجيم، مليء بالسحر، مليء بالشعوذة.

ومن علامة السحرة والمشعوذين: أن من أتى إليهم للتطبب وإن أظهروا الخير والصلاح تجد أحدهم يسأل عن الأم ولا بد، السؤال عن الأم علامة ظاهرة من علامة السحرة والمشعوذين.

لماذا يسألون عن الأم؟ لأنهم لا يتوصلون إلى معرفة حال هذا عن طريق الجني إلا بالتنجيم، والتنجيم يكون بجمع أحرف الذاهب إلى الساحر أو المشعوذ، جمع أحرف اسمه، والأحرف على أبا جاد: أبجد هوز، حطي كلمن، فيجمعون أحرفه على حساب أبا جاد.

ثم يجمعون أحرف أمه على نفس الحساب، أبا جاد، عن ابن عباس: أن من أخذ علم أبا جاد ليس له في الآخرة من خلاق، هذا إذا استخدمه في السحر.

ثم بعد ذلك يقسمون أحد الرقمين على الآخر، فينتج رقما ما بين واحد إلى اثنا عشر، لا يجاوز هذا؛ لأن عدد النجوم عندهم أو عدد هذا عندهم اثنا عشر: الجدي، والسرطان، والأسد، والدلو، والثور، والسنبلة، ونحو ذلك من الأنواء التي يذكرونها.

فعند ذلك يجعلون نجمك الآن مثلا يقولون: نجمه الجدي، فإذا اقترن نجم الجدي مع نجم كذا كان كذا وكذا، فربما ينظر في ذلك الأيام يقول: أنت ستمر بحالة فقر، أو بحالة غنى، أو ربما تزوج امرأة تصلح لك، أو لا تصلح لك، أو هذا الاسم غيروه؛ لأن هذا سيكون من أسباب شؤمه.

المهم طريقة سحرية، وطريقة غير شرعية في هذا الباب.

١٦٧٢ - وعن مُعاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ إنِّي حديثُ عَهْدٍ بالجاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ تَعَالَى بالإسْلَامِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قال: «فَلَا تأتِهِمْ» قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّهُمْ» قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذَاكَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

على المعنى: السابع، حديث العهد بالكفر وبالجاهلية وبالمعصية قد يقع منه ما لا يقع من غيره.

(وَقَدْ جَاءَ اللهُ تَعَالَى بالإسْلَامِ) الذي فيه الحق الظاهر الواضح.

(وإنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ) لطلب الكهانة والعرافة.

---

(١) حديث رقم: (٥٣٧).

(قال: فَلَا تأتِهِمْ) والنهي يقتضي التحريم، والأمر يقتضي الوجوب.

(ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّهُمْ) لأن الطيرة ما أمضاك أو ردك، إذا جاءت الطيارة في القلب ثم صرفتها ليس عليك منها شيء، لكن إن أمضتك في شأنك بسببها أو رجعت بسببها هذا هو الطيرة بعينها، هذا هو الشرك؛ لأنه جعل هذا الطير الذي يذهب لليمين مؤثرا في سعده أو في شقاوته، ما دخل الطير؟

أو بعضهم ربما يتشاءم من ولده، أو ربما يتشاءم من داره، أو يتشاءم من زوجته، ما دخل هذه الذات المنفصلة عنك فيما يحصل لك؟ نعم قال النبي ﷺ: **«الشؤم في ثلاث»**، لكن ليس يعني أنك تتطير بالزوجة، وتتطير بالولد، وتتطير بالفرس، أو تتطير بالبيت، وإنما معناه: أن شؤم المرأة في خلقها، شؤم الدابة في جنوحها، شؤم البيت في ضيقته.

وأما قول النبي ﷺ حين قيل له: يا رسول الله إنا في دار كان كثير عددنا، فلما سكناها قل مالنا وقل عددنا، فقال النبي ﷺ: **«ذروها ذميمة»**، هل هذا عائد إلى الدار أم عائد إلى التطير والتشاؤم؟ هذه مسألة خلافية بين أهل العلم، والذي يظهر أنه عائد إلى ما في أنفسهم، فالدار لا مدخل فيها لهذا الشأن، والله أعلم، إلا إذا كان ضيقا يتحولون، أو كان جارهم جار سوء يتحولون.

(كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذَاكَ) هذه هي المسألة، يعني أن هذا النبي كان يخطط بوحي الله، فالآن الذي يخط ما عنده وحي، فإن قال: خطي وافق خط ذلك النبي كان متقولا كاذبا، لا يقبل منه.

١٦٧٣ - وعن أَبي مَسعودٍ البدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكاهِنِ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(نَهَى) أي: حرم ثمن الكلب، لا يجوز أن يُباع ولا يُبتاع؛ لأنه قد حرم النبي ﷺ ذلك، **«ومن اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية أو زرع نقص من أجره كل يوم قيراط»**.

(وَمَهْرِ البَغِيِّ) يعني: ما تأخذه الزانية مقابل زناها، وهكذا ما يؤخذ في زواج المتعة، هذا من مهر البغي، ومثله ما تأخذه المرأة مقابل التحليل، كل هذا من المال الحرام الذي لا يجوز.

(وَحُلْوَانِ الكاهِنِ) وهو الشاهد في هذا الموطن، وهو: ما يعطاه الكاهن مقابل تكهنه، فربما تكهن أو تطير، فيعطونه مقابلا لذلك، والله المستعان.

ومرة من المرات جاء أحدهم إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو خادمه، فأعطاه طعاما فأكل منه، فلما انتهى أبو بكر من طعامه قال له: أتدري ما هذا؟ قال: لا، قال: تكهنت لرجل في الجاهلية فأعطاني، فأدخل أبو بكر إصبعه في فيه، وقاء ما في بطنه.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٧).

٣٠٤ - باب النهي عن التَّطَيُّرِ

فِيهِ الأحاديث السابقة في الباب قبله.

١٦٧٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

كيف يُجمع بين هذا الحديث وبين حديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»؟ أي: لا عدوى تعدو بنفسها، إنما إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون المرض في هذا الشخص انتقلت العدوى، والنبي ﷺ يقول: «ومن أعدى الأول؟»، قال رجل: يا رسول الله كان لي إبل سليمة، وجاءها، قال: «فمن أعدى الأول؟».

(وَلَا طِيَرَةَ): ما أمضاك أو ردك، وهو التشاؤم.

(وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ): الكلمة الطيبة، تجعلك مستبشرا، راجيا مستأنسا، فلا بأس في ذلك.

النبي ﷺ ربما تفاءل بالاسم، يا سالم، إذا سمع في الاسم سالم: السلامة، وهكذا، والله المستعان.

١٦٧٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ. وإِنْ كَانَ الشُّؤمُ في شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، والفَرَسِ». متفق عَلَيْهِ[2].

الشرح:

تقدم بيان ذلك، شؤم الدار في ضيقها، أو في جارها، وشؤم المرأة في خلقها، وشؤم الفرس في جنوحه وأذيته لراكبه، يعني بعض الفرس وبعض الحمار إذا ركبت عليه

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥).

اللهم بارك كأنه بحر، يقفز قفزا هكذا كأنه بحر، وبعضها تركل في مكانها، ربما تسبب لك انزلاقا، وإذا أردت أن تسابق بها ما تستطيع، فهذا هو شؤمها، تبقى معها طول يومك.

١٦٧٦ - وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[(١)].

الشرح:

وفعلا كان النبي ﷺ على كمال التوحيد، وعلى حسن المراقبة لله، وحسن العمل، ولذلك أنكر تلك اللفظة: **«الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن يذهبه الله بالتوكل»** كلمة (وما منا إلا) ليست من كلام رسول الله ﷺ، وإنما هي من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٦٧٧ - وعن عُروة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ. وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا فإذا رَأى أَحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَناتِ إلاَّ أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ» حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح[(٢)].

(١) حديث رقم: (٣٩٢٠)، من طريق قتادة عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به، وقتادة قال البخاري: لا يعرف لقتادة سماع من ابن بريدة.

(٢) حديث رقم: (٣٩١٩)، الصحيح أنه ضعيف، في عدة علل: عنعنة حبيب بن أبي ثابت، وهكذا إرسال، فإن عروة بن عامر لم تثبت صحبته.

٣٠٥ - باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصورة

انظر إلى هذا التبويب الذي تضمن إبطال هذه الفعل القبيحة التي انتشرت في هذه الأزمنة المتأخرة، لا سيما مع وجود هذا التصوير الذي يسمونه بالديجيتال، الذي صنعت منه الصور الرقمية في الهواتف وفي غيرها.

وكان في الزمن الماضي التصوير عبارة عن نحت أو رسم، النحت يكون في حجر أو شجر أو نحو ذلك، والرسم يكون بقلم أو نحو ذلك.

وكله كان موجودا في عهد النبي ﷺ، فإن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل مكة أي الكعبة، ومسح صورة إبراهيم وإسماعيل، إذ أن النبي ﷺ أبى أن يدخل حتى تُمسح، واتخذ خرقة وبللها بالماء، لو كانت منحته؛ ما أزالها ذلك المسح، فهذا دليل على أنها لم تكن منحوتة.

وهكذا القرام الذي سترت به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بابها لم يكن منحوتا، وإنما كان مطرز ا تطريزا، أو كان مطبوعا، ولذلك هتكه النبي ﷺ، لأن الذين يرون حل تصوير ذوات الأرواح بالصور الفوتوغرافية وبما في بابها يقولون: إنما نهى النبي ﷺ عن التصوير المنحوت، ويرد عليهم بما تقدم.

والنبي ﷺ لعن المصور، سواء كان تصويره بالنحت أو كان تصويره بهذه الآلات.

ومن قال: بأن هذا حبس ظل لا يسلم له، فهذه الآلات أشد في التصوير والمضاهاة من غيرها، يعني تصور الإنسان كهيئته، وربما زادوه جمالا، وربما زادوه بعض شيء مما يضعونه من التحسينات، إلى غير ذلك.

ومن قال: بأنها عبارة عن مرآة هذا كلام غير صحيح، فإن المرآة لا تحفظ الصورة، أما هذا يبقى الصورة داخل الجهاز، فلا يجوز التصوير، لا البث المباشر، ولا التصوير الفوتوغرافي، ولا الشمسي، ولا النحت، ولا غير ذلك.

وهذه كبيرة من كبائر الذنوب، يجب على الناس أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ فيها، حرمت لسببين:

السبب الأول: لأنها مضاهاة لخلق الله، هذه كبيرة من كبائر الذنوب.

السبب الثاني: لأنها ذريعة إلى الشرك، بل رأيت قولا للتويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذهب إلى تحريم التصوير مطلقًا، لا جبل ولا شجر، ولا حجر، ولا شيء، قال: لعن النبي ﷺ المصور، والصحيح ما ذهب إليه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن كنت ولا بد فاصنع الشجر وما لا روح فيه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ قريب من سبعة عشر حديثا في تحريم تصوير ذوات الأرواح، يخالفها كثير من الناس، نسأل الله السلامة والعافية، ومن أسوئهم من اتخذ له معاشا في هذه الحرفة السيئة.

وهكذا أصحاب التصويرات في الأفلام، لا سيما الخليعة، التصوير حرام في جميعها، فكيف بتصوير الأفلام الخليعة التي تبث العورات وتظهر المنكرات ويفشوا بسببها الشر العريض؟ نسأل الله السلامة والعافية.

والآن عُممت التصويرات في جميع الأماكن، في الطرقات، في المحلات، وفي بعض البلدان، في المساجد، فالإثم على من ألزم، أما أن نقول بأنها تصير حلالا بسبب الإلزام فلا، إنما نقول: الإثم على من ألزم، فإذا قطعت لك بطاقة أنت لست بآثم إن شاء الله، أو جواز، والإثم على من ألزم، أو دخلت مسجدا تصلي فيه وفيه كاميرات، أو دخلت بقالة تشتري منها وفيها كاميرات، أو مشيت في الشارع والكاميرا تصورك، أنت لست بآثم؛ لأنك لست براض ولست بفاعل، والله المستعان.

لأن لو قال واحد: يتحرز كم يتحرز؟ كم يتحرز وهي الآن في الشوارع، ما تخرج من طرف الشارع إلى آخره إلا وأنت مصور، من قدام، ومن الخلف، وفي المساجد، وفي الصرافات، وفي المحلات التجارية.

وهو من الشيطان فقط، لا تصدق الذي يقول لك: لدواعي أمنية، هذا إنما من تلبيس الشيطان، وإلا كان الأمن قائم في عهد عمر بن الخطاب، وفي عهد غيره من الأئمة، وما زال إلى عهد قريب، بدون كاميرات، بدون تصويرات، إنما الشيطان يدخل على الناس بمثل هذه البليات، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد ألف فيها جملة من المؤلفين، منهم التويجري كما سبق، ومنهم شيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم كذلك الأخت أم حياة الأمريكية لها رسالة قدمت لها، أتت على الشبه التي يستدل بها من يجيز التصوير.

وهذه الشبه كثيرها قد رده المتقدمون، كالنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهكذا فتوى اللجنة الدائمة فيها خير كثير، إلا أن الناس يتبعون الرخص، إلا ما رحم ربي، مثلا وجدوا كلاما للشيخ ابن عثيمين، أو وجدوا فعلا لشيخ من مشايخ أهل السنة كابن باز والفوزان، ونحو ذلك، وذهبوا يستدلون بهذا على تجويز التصوير.

أولًا: ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام شديد في حرمة التصوير، لماذا لا يأخذون بكلامه البين الواضح الذي يوافق الأدلة؟ ثم أيضا هو نفسه ينهي عن تصوير ذوات الأرواح للذكرى، لكذا وكذا، إلا أنه في باب ما يُحتاج إليه، كالمدارس، وكذلك الجوازات والبطائق، فنقول: هذه ليست بمباحة، والإثم على من ألزم بها.

وأما خروج العلماء الشيخ بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل أفتى بأن التصوير حرام، إنما خرج فيه لمصلحة، يعني اجتهد، ورأى أن الخروج للفتوى أحسن من الغياب عن الناس، مع أنك تستطيع أن توصل الفتوى بدون صورة، والله المستعان.

وبعضهم كالشيخ الفوزان حفظه الله لو رآك تصوره يغضب، وربما كسر التلفون، وربما صاح عليك، بينما ربما يدرس والكاميرا تصوره؛ لأنهم يرون أن هذا صار أمرا من ولي الأمر، أو أنه لا بد منه عندهم في المساجد، ونحو ذلك.

فإذًا لا يبيح الأفعال ما حرمه الله وحرمه رسوله ﷺ، فهم بين مجتهد مصيب، وبين مجتهد له نصيب، مخطئ لكن له نصيب من الأجر، أما التقليد لهم فيما يخالف الدليل فهذا محرم.

هذه مسألة ينبغي التفطن لها، وعدم الالتفات إلى قول يخالفها، لا تصوير الإيمو، ولا تصوير التلجرام، ولا تصوير الفيسبوك، ما يسمى بالبث المباشر، ولا تصوير الواتساب، ولا أي نوع من أنواع التصويرات، ولا اليوتيوب، ولا شيء من ذلك، يجب على جميع المكلفين أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في شأنهم، وأن يكونوا في بعد عن تصوير ذوات الأرواح.

ستأتي الأحاديث: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة»، ستأتي الأحاديث: لعن المصور، واللعن دليل على حرمته وعلى كبيرته، دعاء بالطرد من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ستأتي الأحاديث: أن «كل مصور في النار»، إلى غير ذلك، والله المستعان.

١٦٧٨ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هٰذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ». متفق عليه[1].

الشرح:

وليسوا بخالقين؛ لعجزهم، فيبقى أحدهم في العذاب بسبب تصوير ذوات الأرواح.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).

١٦٧٩ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَدِمَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقالَ: «يَا عائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»، قَالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه[1].

(القِرامُ) بكسرِ القاف هو: السِّتْرُ، (وَالسَّهْوَةُ) بفتح السينِ المهملة، وهي: الصُّفَّةُ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ البَيْتِ، وقيلَ: هِيَ الطَّاقُ النَّافِذُ فِي الحائِطِ.

الشرح:

المهم فيه استعداد المرأة واستبشارها بقدوم زوجها، وتنظيف البيت وتهيئه بالبخور والطيب، وبما يسبب السعادة على الزوج بالنظر إلى ما لا يؤديه، وبالرائحة التي لا تؤذيه، وغير ذلك، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اجتهدت فسترت البيت بهذا القرام.

وفيه جواز استخدام الستائر في عرض البيت، وهذا ليس من المنكرات، إلا أنه يجتنب ما فيه تصاوير.

(فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ) الغضب إذا انتهكت حرمات الله.

(يَا عائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ) دليل على أن الصور تحرم لما فيها من المضاهاة.

(فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ) فيه أن الصورة إذا امتُهنت وزال رأسها لم تعد صورة.

---

(١) انظر الحديث (٦٤٩).

١٦٨٠ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ».

قال ابن عباس: فإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَاصْنعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ. متفق عليه[1].

الشرح:

يعني: تعذبه الصورة، إن صور صورة أسد يعذبه ذلك الأسد في النار، يجعل له نفسا، إن صور صورة حمار، إن صور صورة ثعبان، إن صور صورة إنسان، وهكذا، نسأل الله السلامة والعافية.

(فإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا) يعني: لا بد أن تصور سواء كان نحتا أو كان رسما **(فَاصْنعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ)**.

١٦٨١ - وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَومَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ». متفق عليه[2].

الشرح:

أي صورة من تصوير ذوات الأرواح.

أخبرني الأخ صاحب كُنى أبو رضوان عمار بن أبي عمار، وكنى منطقة سلفية دخلتها السنة قديما عن طريق أخ اسمه زاهر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الشيخ زاهر، أدخل السنة والتوحيد قديما، وكان الشيخ مقبل يجل تلك القبيلة، الشاهد: أن أبا عمار هذا اصطاد وَبَرًا، فقام بسلخه بحيث لم يتأثر الجلد، ثم حشى الجلد بعد أن يبسه بشيء من الأشياء، حتى عاد كصورة الوبر في هيئته، فاختلف مع بعض أصحابه، فقال

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٢)، ومسلم (٢١١٠).

بعضهم: هذه صورة لا تجوز، وقال هو: ليست بصورة، هذا حيوان خلقه الله، وأنا إنما حشوته بالليف أو بنحو ذلك.

المهم: فلما اختلفوا أخذ كيسا ووضع داخله ذلك الوبر المحنط، وانتقلوا إلى دماج لسؤال الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﷺ جميعا، هذا كان رجلا عجيبا، أبو عمار دائما يتكرر على دماج، عرفناه، المهم الشيخ كان يعزه، لا بد أن يتغدى معه، قال: ما جاء بك يا أبا عمار؟ قال: جئت سائلا وزائرا، قال: تفضل، فأخذ الكيس وصب له ذلك الوبر المحنط، فنظر إليه الشيخ مقبل وتعجب، ثم قال له: يا أبا عمار ضعه على جانب حتى نتغدى، وبعد الغداء إن شاء الله نجيبك.

المهم: تغدى الشيخ مقبل مع ضيفه، فقال له: يا شيخ ما حكمه هل هو صورة أو ليس بصورة؟ فقال الشيخ مقبل: ليس بصورة، لكن أنصحك بعدم اقتنائه، والله المستعان.

١٦٨٢ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَومَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ». متفق عليه[1].

الشرح:

وهناك حديث: «يخرج عنق من النار يقول: وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين».

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

١٦٨٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «قال اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». متفق عليه(١).

الشرح:

(قال اللهُ تَعَالَى) هذا يسمى حديث قدسي.

وهذا دليل على عظيم عجزهم، وعلى وقوعهم في كبيرة من كبائر الذنوب، فإنهم سيعجزون عن خلق الذرة، وعن خلق الحبة، وعن خلق الشعيرة.

(وَمَنْ أَظْلَمُ): لا أظلم، إذا وجدت كلمة (ومن أظلم) أي: لا أظلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [سورة البقرة:١١٤] ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة الصف:٧] .

(يَخْلُقُ كَخَلْقِي) أي: يصور كتصوير الله.

١٦٨٤ - وعن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ». متفق عليه(٢).

الشرح:

أي ملائكة الرحمة، أما الملائكة التي تكتب أعمال بني آدم فإنها لا تفارقه لا في حضر ولا في سفر، إلا ما جاء أنه إذا دخل الخلاء، وإلا فإنها تلازمه وتكتب عليه، وحتى إذا دخل الخلاء وفعل شيئا من المستقبحات ومن المحرمات فإنها مكتوبة عليه.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).

١٦٨٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إِلَيهِ، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواهُ البُخاري[1].

(راث): أبْطَأَ، وهو بالثاء المثلثة.

الشرح:

وهذا دليل على أن التصوير محرم أجمع؛ لأن النبي ﷺ لم يحرم نوعا دون نوع، بل أطلق التحريم.

١٦٨٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سَاعَةٍ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصًا، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ»، ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فقالَ: «مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟» فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأْتِنِي»، فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواه مسلم[2].

الشرح:

ما أكثر ما عليه الكثير من الناس الآن من اقتناء الكلاب! وصارت الكلاب مع الأطفال، ومع النساء، ومع الشباب، ومع الكبار ومع الصغار، يتلاعبون بهم، بل وصل الحال بعضهم: أن يمص لسان الكلب، ويعطي الكلب يمص لسانه.

بل وصل الحال ببعضهم أنها عملت حفلا تعلن زواجها من الكلب، وهكذا بعضهم يعلن زواجه من كلبة، إن الطيور على أشكالها تقع، بل إن الكلاب الحيوانية

(١) حديث رقم: (٢٩٦٠).

(٢) حديث رقم: (٢١٠٤).

أحسن من الكلاب البشرية، ولذلك ألف ابن المرزبان كتابا بعنوان: (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب)، وذكر من أوصافها ما تخالف أوصاف كثير من أبناء البشر من حيث الوفاء بوعدها، ومعرفة حق صاحبها، وهكذا يقع منها نفع.

أما مثل هؤلاء الكفار ومن تشبه بهم من المنافقين ومن إليهم ما منهم إلا الضرر.

١٦٨٧ - وعن أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بنِ حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أن لَا تَدَعَ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم[1].

الشرح:

والصورة الرأس، إذا طُمس الرأس فلا صورة.

وهذا دليل على وجوب إزالة الصورة إن استطاع لها ذلك.

وفيه سد ذرائع الشرك، وسد ذرائع البدع، والله المستعان.

وهذا الباب بابه واسع، إنما هذه إشارات، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها من شاء من عباده.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ أَنَّ السُّنَّةَ أَنَّ الْقَبْرَ لَا يُرْفَعُ عَلَى الْأَرْضِ رَفْعًا كَثِيرًا وَلَا يُسَنَّمُ بَلْ يُرْفَعُ نَحْوَ شِبْرٍ وَيُسَطَّحُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُ وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَفْضَلَ عِنْدَهُمْ تَسْنِيمُهَا وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ. اهـ

(١) حديث رقم: (٩٦٩).

٣٠٦ - باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

١٦٨٨ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أوْ مَاشِيَةٍ فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ». متفق عليه[1].

وفي رواية: «قِيرَاطٌ».

الشرح:

والقيراط هنا ليس هو القيراط الذي ذُكر فيمن اتبع جنازة، فذاك قد بين النبي ﷺ أن القيراط مثل جبل أحد، لكن المراد بالقراط هنا شيء من الأجر ينقص كل يوم بسبب اقتناء الكلب، هذا الحيوان السيء الخسيس، الذي ضُرب به المثل في عالم السوء: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦] .

فاقتناء الكلاب جملة محرم، ورُخص لثلاثة أنواع:

الأول: كلب الصيد، ويجوز أن يكون لك أكثر من كلب إذا احتجت إلى ذلك، وضابط كلب الصيد: الكلب المعلم، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [سورة المائدة:٤] ، ليس أي كلب.

وضابط كلب الصيد: أنك إذا أشلته جرى، وإذا أوقفته توقف، يكون مدربا، قابلا للأوامر والنواهي، ولا يصل إلى هذا المستوى إلا بعد أن يقوموا بتدريبه، وربما بضربه، فيرسلونه خلف الصيد فإذا أكل ضربوه، وينادیه بالوقوف فإذا جرى ضربه؛ حتى يعلم ويتعلم ما يتعلق بهذا.

ثم يُؤكل مما صاد إن سمى الله عليه حين إطلاقه.

(١) أخرجه البخاري (٥٤٨١)، ومسلم (١٥٧٤).

(أَوْ مَاشِيَةٍ) يعني: لرعي الغنم، يحرسها من الذئب، وربما ذهب يرعاها إذا أرادت أن تذهب إلى مكان بعيد ردها.

وكذلك الثالث: الزرع، جاء في حديث أبي هريرة، وأبو هريرة من ثقات الصحابة ومن حفاظهم، يبغضه الرافضة، ويبغضه كثير من المبطلين؛ لما أتى به من الأحاديث التي تنقض بدعهم.

(فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ) والله المستعان.

١٦٨٩ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطٌ إِلاَّ كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ». متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ وَلَا مَاشِيَةٍ وَلَا أَرْضٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ».

الشرح:

الحرث: الزرع.

(وهذان القيراطان غير القيراطين اللذان ذكرهما النبي ﷺ في أجر الجنازة، فذاك مثل جبل أحد، «القيراط مثل جبل أحد»، أما هذا إنما هو نقص في الأجر، نقص في الثواب بمقدار قيراط: شيء يوزن به، ومع ذلك نسأل الله السلامة يربي الإنسان له كلبًا يأخذ من حسناته). من "شرحي على صحيح مسلم".

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٢)، ومسلم (١٥٧٥).

٣٠٧ - باب كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

١٦٩٠ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ». رواه مسلم(١).

الشرح:

تقدم البيان، الكلب؛ لخسته، والنبي ﷺ لم يدخل عليه جبريل وفي بيته كلب، والجرس؛ لأنه تشبه بالنصارى، يضربون به للإخبار بوقت عبادتهم، وقد نهينا عن التشبه بهم.

وقلت في شرحي على صحيح مسلم:

"الْحَدِيثِ فِيهِ كَرَاهَةُ اسْتِصْحَابِ الْكَلْبِ وَالْجَرَسِ فِي الْأَسْفَارِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَصْحَبُ رُفْقَةً فِيهَا أَحَدُهُمَا، وَالْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، لَا الْحَفَظَةُ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا قَرِيبًا، وَسَبَقَ بَيَانُ الْحِكْمَةِ فِي مُجَانَبَةِ الْمَلَائِكَةِ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ.

وَأَمَّا الْجَرَسُ فَقِيلَ: سَبَبُ مُنَافَرَةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ أَنَّهُ شَبِيهٌ بِالنَّوَاقِيسِ، أَوْ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعَالِيقِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا، وَقِيلَ: سَبَبُهُ كَرَاهَةُ صَوْتِهَا، وَتُؤَيِّدُهُ رِوَايَةُ: (مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ)". أفاده النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا كانت الملائكة لا تصحب رفقة فيها كلب ولا جرس فكيف بما يتعاطاه الناس الآن في حال أسفارهم من السماع للموسيقى ونحو ذلك من البلاء؟ وفي الطائرات والباصات الكبيرة ربما عرضوا الأفلام، ونحو ذلك، من زور إلى زور، ولا يسلم إلا من سلمه الرب الغفور، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) حديث رقم: (٢١١٣).

وفي الفترة المتأخرة قاموا في الطائرات بإعطاء كل واحد شاشة أمامه، إن أراد أن ينظر نظر، وإن أراد أن يغلق أغلق، أما في السنوات السابقات كانت الشاشة توضع أمام جميع الركاب، فكم يغض الغاض؟ وكم يحاول في عدم السماع السامع؟ في رحلات تطول، والله المستعان.

ولا عجب أن يكون هذا في بلاد الكفار، ولكن العجب أن يكون في بلاد المسلمين، يركب الراكب ويتمنى أن يوقف له في أماكن الصلاة، ربما لا يستجاب له ويطلب عدم سماع الزور وربما لا يستجاب له، ولا مراعاة لحقه.

وتجد أن بعضهم يعتذر ويقول: نمضي الطريق ونمشي الطريق، تمشيها بمعصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ يبقى الموسيقى في أذن من يكره سماعها، يجرع تجريعا، لا مراعاة لحق الله عَزَّوَجَلَّ ولا لحق رسوله ﷺ إذ نهى عن ذلك، ولا مراعاة لهذا الراكب الذي ربما اضطر اضطرارا إلى الركوب في مثل هذه الآلات، ولو كان يسعه عدم الركوب لما ركب فيها، والله المستعان، ونسأل الله السلامة والعافية). اهـ

١٦٩١ - وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فيتورع الإنسان عن هذه الآلات، حتى ما يتعلق بجرس الباب، ولو يسمى بمنبه الباب أحسن من التسمية بالجرس؛ خروجا من المشابهة، وأما إذا كان ما يُضرب به عبارة عن جرس فلا يستخدم.

وضابط الجرس: هو أن يقع الضرب بين جُرمين منفصلين، فيحدث ذلك الصوت.

(١) حديث رقم: (٢١١٤).

٣٠٨ - باب كراهة ركوب الجَلاَّلة، وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة، فإنْ أكلت علفاً طاهراً فطاب لَحمُهَا زالت الكراهة

وأيضا النهي عن أكل الجلالة كالدجاج الذي يأكل القاذورات، أو البقر أو الغنم الذي يأكل في القاذورات؛ لأن هذه النجاسات تؤثر في عرقها، وربما لوثت الراكب عليها، انظر الإنسان لو أكثر من أكل الحلبة ربما تظهر في رشحه، وهكذا من أكثر من أكل الثوم ربما ظهر في رشحه، فكذلك هذه الدواب.

١٦٩٢ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الجَلاَّلَةِ في الإبِلِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

قال في عون المعبود (١٠/ ١٨٦):

عِلَّةُ النَّهْيِ أَنْ تَعْرَقَ فَتُلَوِّثَ مَا عَلَيْهَا بِعَرَقِهَا وَهَذَا مَا لَمْ تُحْبَسْ فَإِذَا حُبِسَتْ جَازَ رُكُوبُهَا عِنْدَ الْجَمِيعِ كَذَا فِي شَرْحِ السُّنَنِ. اهـ

(١) حديث رقم: (٢٥٥٨)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٠٩ - باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه، والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

حتى ذُكر عن شيخ الإسلام: أن المساجد تصان مما تصان منه العين.

وهذا شأن يدل على عظيم شأن المساجد والعناية بها، والله المستعان، وكثير من الناس الآن لا يبالون بالمساجد، ربما اتخذوها طرقات، وربما اتخذوها أماكن للبيع والشراء، ولإنشاد الضالة، وربما كتبوا في جدرانها، وبصقوا في فرشها، وهكذا ربما تجد آثار الزعقة أو الفصفص أو ما يسمى بالقرع، ونحو ذلك.

تصان المساجد، ويعلَّم الأبناء، الاهتمام بصيانتها، فهي بيوت الله، فقد كانت تُبخر في زمن السلف وتنظف، ولها أحكام كثيرة كتبت فيها المجلدات.

١٦٩٣ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «البُصاقُ في المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا». متفق عليه[1].

والمرادُ بِدَفْنِهَا إِذَا كَانَ المَسْجِدُ تُرَابًا أَوْ رَمْلًا ونَحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تَحْتَ تُرَابِهِ.

قالَ أَبُو المحاسِنِ الرُّوياني مِنْ أصحابِنا في كِتَابِهِ (البحر) وقِيلَ: المُرَادُ بِدَفْنِهَا إِخْراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أَمَّا إِذَا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطًا أَوْ مُجَصَّصًا، فَدَلْكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلقَذَرِ فِي المَسْجِدِ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَوْ بِيَدِهِ أَوْ غَيرِهِ أَوْ يَغْسِلَهُ.

الشرح:

هذا في مساجدهم التي كانت بدون فرش إذا وُجد البصاق دُفن وأزيل، أما الآن إذا وجد البصاق أو النخامة في الفرش فإذا دلكت غيرت رائحته، وسببت تقذرا، وسوء

(١) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

منظر، ولكن لا بأس أن تُغسل ويطيب مكانها غسلا خفيفا، لا سيما هذه الفرش الكبيرة إذا غُسلت سببت رائحة كريهة، فالبصاق في المسجد خطيئة ذنب، معصية، فإذا أردت أن تكفر هذا الذنب وهذه المعصية ادفنها، وما في بابه، بإزالتها في منديل، أو نحو ذلك.

أبو المحاسن الروياني هو عبد الواحد بن إسماعيل، شافعي، من نواحي طبرستان، توفي (٥٠٢ هـ)، وبلغ من تمكنه في الفقه أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، اللهم بارك. أفاده المحقق، ترجمته في (الأعلام) للزركلي.

١٦٩٤ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رَأَى فِي جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطًا، أَوْ بُزَاقًا، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أي أن النبي ﷺ عالج إزالته بنفسه، دليل على عظم تنظيف المساجد والعناية بها، وعلى من ينظف أن يحتسب الأجر والمثوبة من الله.

(رَأَى فِي جِدَارِ القِبْلَةِ) أي جهة القبلة، ولم يكن عندهم محراب، أو ما يسمى بالطاق الآن، والمذبح كان من البدع، ومازال، إلا أن كثيرا من الناس يبنونه؛ لغلبة الجهل وفشوه.

(مُخَاطًا) هو ما يخرج من الأنف، وجعله الله عَزَّوَجَلَّ مع ما فيه من القذر يحمي الأنف، فالأنف الناشف ربما دخل منه الغبار وغير ذلك.

(أَوْ بُزَاقًا) هو ما يخرج من الفم من البصاق.

(أَوْ نُخَامَةً) تخرج من الأنف، إلا أن فيها تجمع المخاط، وهي مستقذرة، وتجد بعض الناس ربما يلقيها في فيه ثم يبقى يقلبها، ثم يدخلها إلى جوفه، والله المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧)، ومسلم (٥٤٩).

(فَحَكَّهُ) إما بمشقص، وإما بعود أو بشيء، لم يمسه بيده.

وهل كانت طرية أم كانت يابسة تُزال على أي حال.

١٦٩٥ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلَا القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ. رواه مسلم[1].

الشرح:

الحديث فيه قصة وهي: أن النبي ﷺ رأى رجلا يبول في المسجد، فزجره الصحابة، فقال النبي ﷺ: «لا تزرموه دعوه»، فلما قضى حاجته قال: «إِنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ» أي: لا يجوز فيها، «لِشَيءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلَا القَذَرِ»، فالبول نجس والقذر ليس بنجس، لكن تصان المساجد عن التلويث.

(إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ) وفي الحديث: «والصلاة»، ثلاثة أشياء: لذكر الله: الذكر المطلق الذي تدخل فيه جميع العبادات التي تكون في المسجد، أو لذكر الله الذكر المقيد من تسبيح أو تحميد أو تكبير أو تهليل.

وقراءة القرآن سواء للتعبد أو للحفظ أو غير ذلك، والصلاة.

(أَوْ كَمَا قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ) لأنه رواه بالمعنى.

وكذلك الاعتكاف، وهكذا طلب العلم، والاجتماع والمدارسة.

(١) حديث رقم: (٢٨٥).

٣١٠ - باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فِيهِ ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

أما اجتماع لمدارسة أحوال الأمة وتجهيز الجيوش من ولي الأمر ونحو ذلك فقد كان النبي ﷺ يقوم به في المسجد، وهكذا للقضاء بين الناس كان رسول الله ﷺ يقوم به في المسجد، وهكذا تعليم الناس كان النبي ﷺ يقوم به في المسجد.

والبركة لازمت الأمة في علمها وفي عملها حين لازموا المساجد على الوجه الذي كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، بعيدة عن البدع، بعيدة عن الشركيات، بعيدة عن الخرافات، وذهبت البركة حين ترك الناس العلم في المساجد.

ثم ذهبت البركة من كثير من المساجد حين جعلت المساجد لنشر الحزبيات، أو لنشر البدع والخرافات، أو لنشر الضلالات.

المساجد بيوت الله، ينبغي أن تصان عن كل ما يغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليس من دينه وشرعه، وقد غضب عمر بن الخطاب على أناس رفعوا أصواتهم في المساجد وقال: لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما ضربا، وغضب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين رأى من ينشد الشعر في المسجد، مع أنه قد أنشده حسان بن ثابت في المسجد، لكن إذا وجد مثل شعر حسان الذي تنصر به الملة ويدفع به الباطل، وهكذا دعا رسول الله ﷺ على من ينشد ضالة في المسجد، في أمور كثيرة ليس هذا موطن بسطها.

١٦٩٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سمعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ؛ فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

اختلفوا في الضالة التي لا يجوز إنشادها في المسجد، فذهب بعضهم إلى أن الضالة: كل ما ضاع من الإنسان، فيدخل فيه القلم، والكتاب، والنقود، ونحو ذلك.

وذهب بعضهم: أن الضالة هو الحيوان الذي يضل ويتوه، حتى أن بعضهم أخرج منه جنس الإنسان، حتى ولو كان طفلا أنه ليس من الضوال، إنما الضالة تلحق الدواب ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ رأى رجلا ينشد ضالة في المسجد، قال: «لا وجدت، إنما بُنيت المساجد لما بنيت له».

والذي يظهر أن مثل القلم والدفتر والكتاب وهكذا هل رأيت لي فلانا؟ ونحو ذلك ليست من إنشاد الضالة في شيء.

(فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ) يعني زجرا له ومنعا لمثل هذا الفعل حتى لا يتكرر.

وفيه جواز التأديب، والأصل أن المسلم يدعو لأخيه المسلم، لكن من خالف الشرع استحق العقاب بقدر مخالفته.

(فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا) لم تبن لإنشاد الضوال، والبحث عنها والانشغال بها.

---

(١) حديث رقم: (٥٦٨).

١٦٩٧ - وعنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

١٦٩٨ - وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا وَجَدْتَ؛ إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

لما تقدم من حديث أنس من ذكر الله والصلاة وقراءة القرآن.

ثم أيضا هل إذا تم البيع والشراء داخل المسجد العقد بطل والصفقة ماضية أم أن العقد صحيح مع الإثم؟ الذي يظهر الأخير أن العقد صحيح، ولا يلزمهم فسخه، مع الإثم، إذ باعوا في مكان منعوا من البيع والشراء فيه.

١٦٩٩ - وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ والبَيْعِ فِي المَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ، أَوْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(٣)].

الشرح:

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلسلة حسنة عند جماهير العلماء، وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أن شعيب سمع من جده عبد الله بن عمرو.

---

(١) حديث رقم: (١٣٢١).

(٢) حديث رقم: (٥٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٧٩)، والترمذي (٣٢٢).

الشعر إذا كان من القبيح، أو إذا كان مما يجر النعرات والعصبيات، وأما إذا كان للدفاع عن الدين فقد تقدم شعر حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

١٧٠٠ - وعن السائبِ بن يزيد الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ! رواه البخاري[1].

الشرح:

(فَحَصَبَنِي رَجُلٌ) أي: رماه بالحصباء.

معناه: أنه يكره رفع الأصوات في المساجد، سواء كان فيها أحد أو لا، إلا ما كان من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك **«لا يجهرن بعضكم على بعض بالقرآن؛ فكل يناجي ربه»**، والله المستعان.

وهذا الحكم خاص بمسجد النبي ﷺ؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [سورة الحجرات:٢] أو هو عام في جميع المساجد؟ يظهر أنه للتحريم في مسجد النبي ﷺ، وفي غيره من المساجد على الكراهة، والله المستعان؛ لقوله: **(تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!)**.

(١) حديث رقم: (٤٧٠).

٣١١ - باب نهي من أكل ثوماً أَوْ بصلاً أَوْ كراثاً أَوْ غيره مِمَّا لَهُ رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلاَّ لضرورة

يريد بغيره مثل البقل، وما يسمى عند بعضهم بالفجل، ونحو ذلك من الأشجار التي لها رائحة كريهة، لكن من أراد أن يأكل من هذه الأشجار فليمتهما طبخا، فإن رائحتها تذهب.

زد على ذلك هناك علاج آخر تذهب به رائحة الثوم والبصل وما في بابه، وهو: غمس مع العسل، الغمس مع العسل، لا سيما إذا كانت سحاوق ونحو ذلك، وأضيف إلى الثوم العسل، يذهب رائحتها، ثم من استخدمها وأراد أن يذهب إلى المسجد له أن يستخدم بعض ما يذهب الروائح، كمعجون الأسنان، أو الجرجير، أو النعناع، أو البقدونس، أو نحو ذلك مما يذهب الروائح، فإن بقيت الرائحة لا يذهب حتى لا يؤذي الناس، وأيضا تتأذى الملائكة.

وهل يدخل به البقل؟ الصحيح أن البقل لا يدخل؛ لأن النبي ﷺ ذكر الثوم والبصل والكراث؛ لأن رائحتها مستمرة، وأما البقل فإنه قد يحدث من بعضهم جشاء وبعضهم لا يقع منه ذلك، ثم أيضا إن جشاءه ليس بمستمر، يمكن أن ينتهي بسرعة، والله المستعان.

١٧٠١ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ - يعني: الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا». متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلم: «مساجدنا».

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).

وهذا من أعذار ترك الصلاة، من أعذار ترك الصلاة الأكل لمن حضرت صلاته وعشاؤه، وهكذا من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا، وهكذا من خاف على نفسه، ويلتحق به المطر، والبرد الشديد، ونحو ذلك من الأعذار.

والفرق بين قوله: **(فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)** **(مساجدنا)** معروف، فعلى قوله: بمسجدنا قد يذهب بعضهم، لا سيما من يجمد من أهل الظاهر إلى أن التحريم إنما هو في حق مسجد النبي ﷺ، وأما لفظ مساجدنا فهو شامل لجميع مساجد المسلمين.

١٧٠٢ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّا، وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

(فَلَا يَقْرَبَنَّا) أي: لا يقرب المسلمين فيؤذيهم، **(وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا)** أو أنه في حقه ﷺ؛ لأنه كان يناجي الملائكة، وتأتيه الملائكة، **«والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**.

١٧٠٣ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلنا، أو فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا». متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ أَكَلَ البَصَلَ، والثُّومَ، والكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

الشرح:

(١) أخرجه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

وهل يلتحق بهذه المذكرات من كان أخشم؟ نعم، لا سيما إذا كانت رائحته لازمة ومستمرة، فربما إذا صلى عنده الشخص يؤدي ذلك إلى جروح في أنفه، وهذا أمر حاصل ليس بالمبالغ فيه.

وهكذا بعضهم ربما يكون عنده رائحة الإبط، وهي ما تسمى عند بعضهم بالكور، مثل هذا ينبغي له أن يطهر نفسه، وأن ينظف هذا الموطن قبل أن يأتي المسجد، ولا بأس أن يستخدم الروائح التي تزيل ذلك، أو كذلك العلاج الذي يوضع في الإبط، فيمنع العرق، ونحو ذلك، وكل هذا حماية لحقوق المسلمين مع بعضهم.

وفيه تحريم أذية المسلمين، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] ، فظلم المسلم وأذية المسلم سواء بالقول أو بالفعل، في نفسه، في عرضه، في ماله، كل ذلك من الأمور التي يستحق صاحبها غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وربما فضحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من فعل ذلك تتبع الله عورته، ثم يفضح وهو في جوف رحله»**، أو كما قال صل الله عليه وسلم.

فإذا كنا قد مُنعنا من أذى بني آدم برائحة ثوم أو بصل أو كراث فلا منع أذى الإنسان بالقول أو بالفعل، أو بما هو بأسوأ من هذا الأمر لمن المهمات والمتعينات التي ينبغي للإنسان أن يعتني بنفسه، وأن يراقب ربه، في ليلة ونهاره، وسره وجهاره، وأن يكون حذرا من أذية المسلمين؛ حتى لا يقع في غضب الله، ولا تؤخذ حسناته، ولا تزاد سيئاته، والله المستعان.

ومن آذى ربما يُؤذى، لكن عليه أن يصلح نفسه حتى يقع منه الصلاح، ويقع من غيره إليه الصلاح، فإن الجزاء من جنس العمل، والديان لا يموت، وكما تدين تدان، والله المستعان.

١٧٠٤ - وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه خَطَبَ يومَ الجُمُعَةِ فَقَالَ في خطبته: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ مَا أُرَاهُمَا إِلاَّ خَبِيثَتَيْنِ: البَصَلَ، وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ إِذَا وَجدَ ريحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ في المَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى البَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا. رواه مسلم[1].

الشرح:

لأن الطبخ لهما يزيلهما، والنبي ﷺ لما وجد من المغيرة بن شعبة رائحة الثوم كأنه أنكر عليه، ثم أن المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ بيد النبي ﷺ فأدخلها إلى جنبه، فعلم النبي ﷺ أنه استخدمها للحاجة والعلاج ونحو ذلك، لكن مع ذلك من استخدمها يُنصح بمعالجتها لإزالة رائحتها، والله المستعان.

(١) حديث رقم: (٥٦٧).

٣١٢ - باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب لأنَّه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

الحديث سيأتي أنه ضعيف، والصحيح أن الاحتباء يوم الجمعة لا يضر، فمن خشي على نفسه النعاس يحاول في القيلولة المبكرة، أو كذلك التحول من مجلسه الذي هو فيه، أو يخرج لإحداث وضوء، لعله يذهب عنه النعاس.

١٧٠٥ - عن مُعاذِ بن أنس الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الحِبْوَةِ يَومَ الجُمعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقالا: حديث حسن[1].

(١) أخرجه أبو داود (١١١٠)، والترمذي (٥١٤)، أخرجه من طريق أبي مرحوم بن ميمون، عن سهل بن معاذ، عن أنس الجهني، وأبو مرحوم ضعيف، وسهل بن معاذ شبه مجهول.

٣١٣ - باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي

ذهب بعضهم إلى أن هذا الحديث غير معمول به، إما لعلة أو نحو ذلك، والصحيح أن الحديث في صحيح مسلم ولا مطعن فيه، وأن من أراد أن يضحي له أن يتأسى بمن ساق الهدي إلى من ذهب إلى الكعبة لحج وعمرة.

وأما الاستدلال بحديث: أن النبي ﷺ كان يرسل بالهدي ولا يحرم عليه شيء مما هو له مباح، فلا حجة فيه، فهذا حكم وهذا آخر.

ومن أكل الثوم أو البصل لقصد التخلف عن الجماعة لا لعلة أخرى يخشى عليه من الإثم.

١٧٠٦ - عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ فَلَا يَأْخُذَنَّ من شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

ومع ذلك لو أخذ من شعره أو من أظفاره فأضحيته صحيحة، إلا أنه أساء في مخالفة أمر النبي ﷺ، وارتكاب نهي النبي ﷺ.

وأسوء ما يكون في هذا هو ما يقوم به كثير من الناس من حلق لحاهم في العشر، وهكذا ما يقوم به أصحاب الحلاقات المزرية من حلاقة أشعارهم، أو قطع شيء من أبشارهم، والله المستعان.

(١) حديث رقم: (١٩٧٧).

٣١٤ - باب النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان، والأمانة وهي من أشدها نهياً

بل والتي قبلها أيضا من أشدها نهيا؛ لأن الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ شرك، كما قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، والحديث وإن كان فيه انقطاع بين عبد الله بن عمر وبين سعيد بن عبيدة إلا أن له ما يدل عليه، والله المستعان.

والحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ دائر بين الشرك الأكبر أو الأصغر، فإن كان حلفه مع تعظيم المحلوف به تعظيم ألوهية أو ربوبية فإنه يؤدي إلى الشرك الأكبر، وأما إذا كان عنده إنما مطلق تعظيم فهو من الشرك الأصغر.

وقد ظهر هذه الأيام الحلف بأشياء كثيرة: الشرف، السلطان، حياة النبي، رأس الأبناء، إلى غير ذلك مما يتعاطاه الناس، والله المستعان.

١٧٠٧ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية في الصحيح: «فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلاَّ بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ».

الشرح:

والأحسن أن الإنسان لا يعود نفسه كثرة الحلف، فإن النبي ﷺ يقول: «إياكم وكثرة الحلف، فإنه ينفق ثم يمحق»، لا سيما في البيع، وسيأتي.

وأما من حلف زورا وكذبا فهذه يمين غموس، ربما تغمس صاحبها في النار، أو في الغضب والمقت، «واليمين الغموس تدع الديار بلاقع» أي: لا سكان فيها.

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦).

١٧٠٨ - وعن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ». رواه مسلم[1].

«الطَّوَاغِي»: جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وهِيَ الأصنَامُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «هذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ» أيْ: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ، وَرُوِيَ في غير مسلم: «بِالطَّوَاغِيتِ» جَمعُ طَاغُوت، وَهُوَ الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

١٧٠٩ - وعن بُرَيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[2].

الشرح:

وما أكثر من يحلف بهذه البلية في بلادنا اليمنية، الأمانة، وأضافوا إليها: أن الأمانة بسبعين يمين، وما أدري من أين لهم هذا؟ وهذا من تزيين الشيطان، والله المستعان.

وهذا دليل على أنها من الكبائر، **(مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا)** دليل على أنها من الكبائر؛ لأن النبي ﷺ تبرأ من فاعل هذا، إلا أنه ليس بكافر، ليس معنى **«ليس منا»** أنه كافر كما تذهب الخوارج والمعتزلة ومن إليهم ممن يكفر المسلمين بمطلق المعصية، والمعتزلة وإن لم يصرحوا بالتكفير فإنهم يقولون: منزلة بين المنزلتين، أي: لا مسلم ولا كافر، ولكنه في الآخرة يخلد في النار.

---

(١) حديث رقم: (١٦٤٨).

(٢) حديث رقم: (٣٢٥٣)، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٧١٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِمًا». رواه أَبُو داود[1].

الشرح:

الحديث ثابت، ولو قال ذلك زهدا في الإسلام ورضا بالكفر فهذا هو الذي يكفر، وأما إذا قاله إنما من باب التسخط ونحو ذلك فهو آثم في الحلف بغير الإسلام.

(مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلَامِ ...) ينقص عمله، ينقص إيمانه بقدر تعظيمه أو بقدر براءته من الإسلام، وهذا دليل على أن الحلف بالبراءة من الإسلام كبيرة، وهكذا الذي يقوله الناس في هذه البلاد اليمنية: أكون يهوديا، أكون نصرانيا، هذا الواجب ترك البراء من الإسلام، وترك الانتساب لغير الإسلام.

١٧١١ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفْ بَغَيْرِ اللهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[2].

وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قولَهُ: «كفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» عَلَى التَّغْلِيظِ، كما روي أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الرِّياءُ شِرْكٌ».

الشرح:

ومن أراد أن يحلف فليقل: ورب الكعبة، أو: ورب محمد، أو: ورب السماوات ورب الأرضين، أما الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ فلا يجوز.

---

(١) حديث رقم: (٣٢٥٨).

(٢) حديث رقم: (١٥٣٥)، تقدم أن فيه انقطاع، ولكن له شواهد.

(وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ...) هذا كلام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بيان لمعنى **«فقد أشرك»**؛ حتى لا يظن الظن أنه على التكفير المطلق، لا بد من تفصيل في هذه المسألة.

لكن من ذبح لغير الله ما هناك تفصيل، فقد أشرك، من نذر لغير الله فقد أشرك، والله المستعان.

ففي باب التوحيد تحتاج أن تعرف المسائل التي تحتاج إلى تفصيل والمسائل التي لا تحتاج إلى تفصيل، فمثلا الدعاء من دعا غير الله هل نقول: فقد أشرك؟ نقول: من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، وأما من دعا مخلوقا حيا حاضرا قادرا يستطيع فهنا ليس بشرك؛ لأن الدعاء هو الطلب، فإن كان لحي حاضر قادر فلا محظور في ذلك، وهكذا الاستعانة من استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، وأما من استعان أو استغاث بحي حاضر قادر فلا حرج، والله المستعان.

٣١٥ - باب تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

١٧١٢ - عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة آل عمران:٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. متفق عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

قوله: (مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ) حتى ولو أخذه بغير حلف فهو آثم، ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه»، ولا يجوز له أن يأخذ مال غيره لا جادا ولا مازحا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء:١٠] ، وهكذا من أكل أموال المسلمين.

(لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ) وإذا غضب الله على عبد فربما أخزاه وأرداه، وهذا اللقي يكون يوم القيامة، فلو فعل ما يغضب الرب في الدنيا لربما تداركه الله بتوبة، وأصلح حاله، لكن من لقي الله وهو عليه غضبان يوم القيامة ماذا يكون حاله؟

وما أكثر الآكلين لأموال الناس بالباطل في هذه الدنيا، هذا بالسرقة، والآخر بالنهبة، والآخر بالغصب، والآخر بالجحد، والآخر ببيع الغرر، والآخر بالربا، وغير ذلك من أنواع المعاملات.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٦) و (٢٣٥٧)، ومسلم (١٣٨).

(ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ) مع أن حديث النبي ﷺ وحي، لكن يبين النبي ﷺ أن دلالة القرآن ودلالة السنة دالة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٧].

١٧١٣ - وعن أَبي أُمَامَة إياس بن ثعلبة الحارثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «وإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

في هذين الحديثين جرم الحلف بغير الله لانتهاك الحرمات، فالمرتكب لهذه الفعلة وقع في كبيرتين:

الأولى: الحلف بالله كاذبا، وهذا يمين غموس.

الثاني: أكل أموال الناس بالباطل، فتجرأ على مال الغير واستباحه بالحالف بالله.

(مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ) أي: بيمينه الفاجرة، وفيه تحريم أموال المسلمين، حتى أموال الكافرين لا تؤخذ إلا بحقها.

(فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ) وهذا على الوعي، وإلا فمن عقيدتنا أن فاعل الكبيرة تحت المشيئة إن مات عليها، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء آخذه بها.

ومن يمت ولم يتب من الخطا ... فأمره مفوض لذي العطا

(١) انظر الحديث (٢١٤).

فـإن يشـاء يأخـذ وإن شـاء انـتقم وإن يشـأ يعفـو ويجـزل الـنعم

هذا في حق من مات على كبيرة دون الشرك، أما الشرك فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨].

(وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ) إما تحريم دخول أولي، وإما أنه على الوعيد كما هو معلوم.

(وإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ) فيه أن حقوق الناس مبنية على المشاحة، القليل منها والكثير، لا يجوز أن تأخذ شيئا وتقول: أما هذا شأنه سهل، (وإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ) وهو السواك.

١٧١٤ - وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ». رواه البخاري[1].

وفي روايةٍ لَهُ: أَنَّ أَعْرابِيًا جَاءَ إِلَى النبيّ ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ»، قلتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» يعني بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ.

الشرح:

الكبائر كثيرة، قيل: سبع، وقيل: سبعون، وقيل: سبعمائة.

وضابطها: كل ما توعد عليه بنار أو حرمان من جنة أو بلعن أو بـ(ليس منا) أو بحد من الحدود أو بطرد من رحمة الله ونحو ذلك فهو كبيرة من الكبائر، ويلزم في الكبائر التوبة، بخلاف الصغائر تكفرها الصلاة والصيام وقراءة القرآن، ونحو ذلك من الطاعات.

(١) حديث رقم: (٦٦٧٥).

(الإشْرَاكُ بِاللهِ) بدأ به؛ لشدته وغلظة، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة:٧٢] ، وكم هو الذي يتعاطى الشرك بالله، لا سيما الشرك الأكبر من عبادة غير الله، دعاء، ونذرا، وذبحا، وتوكلا، إلى غير ذلك من الأحوال، نسأل الله السلامة والعافية، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان:١٣] ، **«من مات يشرك بالله شيئا دخل النار، ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة»**.

(وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ) وأدناه أن يقال لهما: أف، فكيف بمن يضرب أباه وأمه؟ وكيف بمن يرفع صوته على أبيه وأمه؟ وكيف بمن يقوم بغير ذلك من أنواع الأذى للوالدين؟

«من أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه»، دعاة من رسول الله ﷺ على عاق والديه، وهكذا دعا جبريل وأمن النبي ﷺ: أن من أدرك أبويه ثم دخل النار رغم أنفه، أي: ألصق بالتراب.

وكم من الأدلة والوعيد العظيم في حقوق الوالدين! نسأل الله السلامة والعافية، حقهما لا يؤديه شيء من المكرمات، إلا أن تجده عبدا مملوكا يُباع ويشترى ويرهن ويوهب فتشتريه فتعتقه، وإلا فحقه عظيم، سواء كان أبا أو أما.

لكن بسبب البعد عن الدين تسلط كثير من الأبناء على آبائهم بالعقوق، وهم موعودون بعقوق أبنائهم، إن لم يتداركهم الله عَزَّوَجَلَّ بتوبة نصوحا، وباستغفار يُمحى به ذنبهم، وبعفو من والديهم، وإلا فهذا جرم عظيم.

وما أقبح أن تجد الابن يعامل الأب كمعاملة الأب الغشيم الظلوم لولده الصغير، لا احترام في نداء، لا احترام في نفقة، لا احترام في مخاطبة، لا احترام في شيء من الشأن، ماذا ترجو ممن هذا حاله؟ إن لم يرحم أباه ويرحم أمه التي قامت عليه ولادة

وحملا وإرضاعا وإحسانا، ثم يجازيهما بهذا الجزاء، الذي لا يصدر إلا ممن رق دينه، وضعفت استقامته، وتسلط عليه الشيطان، وغضب عليه الرحمن، نسأل الله السلامة، ونعوذ بالله من الهوان.

(وَقَتْلُ النَّفْسِ) المعصومة، وهي قتل المسلم، وقتل الذمي، وقتل المستأمن، إلا بحق، والحق يكون إلى الإمام، ليس إلى كل أحد.

(واليَمِينُ الغَمُوسُ) وهي اليمين التي يأكل بها أموال الناس بالباطل.

عندنا الأيمان ثلاثة أنواع:

اليمين الأول: لغو اليمين، وهو قول الرجل: لا والله، وبلا والله، لم يعقدها بيمينه، فهذه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٥].

النوع الثاني من اليمين: اليمين على الماضي، والله ما فعلت، أو: والله فعلت، فهذه إن كان صادقا فهي يمين مبرة، وإن كان كاذبا فهي يمين غموس، ذنبها عظيم، لا يكفره إلا التوبة، أما الكفارات لا تدخل في هذا النوع من الأيمان.

الثالث: اليمين في المستقبل، والله لا أفعل أو: الله لأفعلن، فهذه إن عقدها بقلبه إن وفى بها ليس عليه شيء، وإن لم يف بها لزمه كفارة يمين.

وبالنسبة لأحكام اليمين من حيث وجوب الحنث من عدمه هذا بابه آخر، إن حلف أن يقطع رحمه يجب عليه الحنث في اليمين ويكفر، وإن حلف أن يشرب الخمر لا يجوز له الشرب والاعتذار باليمين، ونحو ذلك مما يأتي، وربما كُره الحنث، وربما استحب الحنث، وربما كان مباحا، على تفصيل يذكره أهل العلم.

٣١٦ - باب ندب من حلف علَى يَمينٍ فرأى غيرها خيراً مِنْهَا أنْ يفعل ذَلِكَ المحلوف علَيْهِ ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه

١٧١٥ - عن عبد الرحمان بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عَلَيْهِ[(١)].

الشرح:

(وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ) أي وعقَّدتها، أما اليمين التي هي: لا والله وبلى والله ليس فيها كفارة.

(فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا). يعني رأيت الفعل خيرا من المضي في اليمين.

(فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ) في هذا الحديث أن الكفارة بعد الحنث، وفي حديث أبي موسى: أن الحنث بعد الكفارة، والصحيح جواز الأمرين: جواز أن تكفر ابتداء، ثم تقع في حنث اليمين، وجواز أن تحنث ثم تكفر.

١٧١٦ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». رواه مسلم[(٢)].

١٧١٧ - وعن أَبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ إِنْ شاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ أَرَى خَيرًا مِنْهَا إِلاَّ كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». متفق عَلَيْهِ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٢)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) حديث رقم: (١٦٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩).

١٧١٨ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ في يَمِينِهِ في أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُعْطِي كَفَّارَتَهُ الَّتي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ». متفق عَلَيْهِ[1].

قَوْلُهُ: «يَلَجّ» بفتح اللام وتشديد الجيم أيْ: يَتَمَادَى فِيهَا، وَلَا يُكَفِّرُ.

وَقَوْلُهُ: «آثَمُ» هُوَ بالثاء المثلثة، أيْ: أَكْثَرُ إِثْمًا.

الشرح:

بيانه: لو أن رجلًا حلف أن يقطع رحمه، ثم يأتي إليه الناس ويقولون له: يا فلان صل رحمك، يقول: أنا قد حلفت، كيف حلفت على باطل؟ حلفت على قطيعة، حلفت على منكر، كفر عن يمينك وأت الذي هو خير، فيقول: لا، أنا ما أريد أن أقع في الحنث، فنقول له: استمرارك في الوفاء باليمين آثم من الكفارة، مع أن الكفارة لا حرج في إتيانها والقيام بها.

والكفارة عبارة عن إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، هذا على التخيير، فإن عجز فصيام ثلاثة أيام.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٥)، ومسلم (١٦٥٥).

٣١٧ - باب العفو عن لغو اليمين وأنَّه لا كفارة فيه، وهُوَ مَا يجري علَى اللسان بغير قصد اليمين كقوله علَى العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾ [سورة المائدة:٨٩] .

الشرح:

(﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾) يعني: عقد القلب على اليمين، أراد اليمين وأراد المضي فيه.

(﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾) وكل مسكين يختلف عن المسكين الآخر.

(﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾) المعنى: من خير ما تطعمون أهاليكم، ليس المعنى أنك تنظر إلى وسط الطعام، إن كنت تطعم أهلك اللحم تطعمهم لحما، إن كنت تطعم أهلك الدجاج تطعمهم دجاجا، إن كنت تطعم أهلك العسل تطعمهم عسلا، إن كنت تطعم أهلك البطاط والطماط تطعمهم بطاطا وطماطما، (﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾).

(﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾) وأقل الكسوة: ما يجوز فيه الصلاة، قد اختلف العلماء في هذه المسألة، حتى ذهب بعضهم إلى أن القلنسوة كسوة، لكن الصحيح: ما صحت فيه الصلاة فهو كسوة، وما لم تصح به الصلاة ليس بكسوة.

(﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾) ويشترط فيها أن تكون مؤمنة.

(﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾) جاء في قراءة عبد الله: متتابعات، ويجوز أن يأتي بها غير متتابعات.

(﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ﴾) وعقدتم الأيمان.

(﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾) أي: لا تنكثوها إلا بالكفارة.

١٧١٩ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أُنْزِلَتْ هذِهِ الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [سورة البقرة:٢٢٥] فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لا واللهِ، وَبَلَى واللهِ. رواه البخاري[1].

(١) حديث رقم: (٤٦١٣).

٣١٨ - باب كراهة الحلف في البيع وإنْ كان صادقًا

لا يتعود الإنسان الحلف إلا فيما لا بد منه.

١٧٢٠ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». متفق عليه(١).

الشرح:

(الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ): والله أن هذه بكذا، والله لأشترينها بكذا، يشتري ويبيع، لكن ممحقة للبركة، ما يجد في المال بركة، ولا يجد ربما في المال نماء، بينما الذي يكون في بيعه وشرائه على ملازمة الهدي النبوي ربما كثر ماله في فترة يسيرة.

١٧٢١ - وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

يمحق البركات، والأموال الكثيرات تصير قليلات، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) حديث رقم: (١٦٠٧).

٣١٩ - باب كراهة أنْ يسأل الإنسان بوجه الله عَزَّوَجَلَّ غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

«من سألكم بالله فأجيبوه»، لكن هذا ليس على إطلاقه، إن سأل ما لا ضرر عليه فيه على المسؤول فيه، أو سأل ما هناك قدرة فيه، أو سأل ما لا ضرر في القول به، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: يا رسول الله أقسمت عليك لتخبرني، قال: «لا تقسم».

وحديث: «ملعون من سأل بالله وملعون من سُئل بالله ولم يجب» هذا في حق من يستخدم هذه اللفظة على عدم التعظيم لجناب الربوبية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى رجلا يسرق فقال: والله ما سرقت، قال: آمنت بالله وكذبت عيني، من باب تعظيم الربوبية.

والنبي ﷺ كان يأتيه المنافقون ويحلفون على الكذب، وهو يعلم أنهم يحلفون على الكذب، لكن يعاملهم بظواهرهم، فهكذا، فمن سألك بالله أن تعطيه قلما وباستطاعتك أن تعطيه أعطه، أو طعاما وباستطاعتك أن تعطيه أعطه، أو شيئا لا ضرر عليك فيه، حتى وإن سؤاله جاء على غير ما يستحق، لكن تعظيما لله.

وهكذا لا تسأل بالله أنت إلا في أمر لا بد منه، والله المستعان.

١٧٢٢ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ الجَنَّةُ». رواه أبو داود[1].

الشرح:

قال العلماء في شرح هذا الحديث: لأن الجنة شيء عظيم، لا بأس أن تُسأل بوجه الله: اللهم إني أسألك بوجهك العظيم الجنة، وأما أن تسأل بوجه الله مثلا شيئا من

(١) حديث رقم: (١٦٧١)، وهو حديث ضعيف، في سنده سليمان بن قرم بن معاذ التميمي، وقد ضعفه الألباني.

حطام الدنيا تريد قلما تقول: أسألك بوجه الله أو أسألك بالله، تريد ورقة، تريد طعاما، تريد متاعا، من الأمور الزائلة.

١٧٢٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ». حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم الفائدة.

(مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ) النبي ﷺ لما قالت تلك المرأة: أعوذ بالله منك قال: **«الحقي بأهلك»** مباشرة؛ تعظيما لجناب الروبية.

(وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ)؛ لأنه سأل بعظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على التفصيل الذي سبق، إذا سألك محرما لا تعطه، إذا سألك مباحا الأفضل أن تعطه، إذا سألك ما تعجز عنه لا يلزمك أن تعطيه، أو ما يؤدي إلى ضررك.

(وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ) إن كان لوليمة عرس فالإجابة واجبة، وإن كانت لغير ذلك فمستحبة، كما في حديث ابن عمر: **«من دعاكم إلى وليمة عرس ونحوه فأجيبوه»**، وفي حديث أبي هريرة: **«من دعي إلى وليمة فلم يجب فقد عصى أبا القاسم»**.

(وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ) أي معروف، سواء من الحسيات أو المعنويات، ومن أعظم المعروف معروف الدعاة، معروف العلماء، وقبل ذلك معروف الرسل والأنبياء، ولهذا يصلى عليهم، ويسلم عليهم، ويذكرون بالجميل، ويحبون، إلى غير ذلك، ثم معروف الصحابة، ومن سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٥/ ٨٢)، وفي (الكبرى) له (٢٣٤٨).

ثم معروف العلماء العالمين العاملين، الداعين إلى سنة سيد المرسلين، وهكذا معروف الآباء ومعروف الأمهات، ومعروف الأخوة، ومعروف الأخوات، ومعروف الجيران، إلى غير ذلك.

(وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا) أي معروف، حتى لو قال لك: ائت من هذه الطريق وهذه الطريق ما هي طيبة، دلك على الخير، دلك على المعروف.

(فَكَافِئُوهُ) فإن عجزت عن المكافأة الحسية فلا أقل من المكافأة المعنوية:

(فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ) جاء في حديث أسامة على ما أظن أنه قال: **«فليقل: جزاك الله خيرا»**، هذه اللفظة فيها كلام، الحديث فيه كلام، لكن من أحسن الدعاء: جزاك الله خيرا، فإن أعظم خير هو الإسلام، أعظم خير هو الاستقامة على دين الله، أعظم خير أن تكون عبدا موحدا لله، وهكذا يدخل فيه بقية الخير.

وأما بعضهم يقول: جزاك الله ألف خير، لو قلت: جزاك الله مليون خير فإنك مقصر، بينما لو قلت: جزاك الله خيرا فقد أبلغت، فلا تتفاصح تقول: لا، أقول: جزاك الله ألف خير، جزاك الله مليون خير، جزاك الله خيرا أبلغ؛ فإنها تفيد العموم، والله عَزَّوَجَلَّ يتفضل على عبده بما شاء.

٣٢٠ - باب تحريم قوله: شاهنشاه للسلطان وغيره لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وهكذا قاضي القضاة، لا يقال: قاضي القضاة مطلقا، لكن لا بأس أن يقول: قاضي قضاة القطر اليماني، قاضي قضاة مصر، قاضي قضاة الشام، أما قاضي القضاة مطلقا لا يجوز.

١٧٢٤ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ». متفق عليه[1].

قال سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ: «مَلِكُ الأَمْلَاكِ» مِثْلُ: شَاهِنْ شَاهِ.

الشرح:

شاهن شاه اسم فارسي، اسم عجمي، فكما لا يجوز أن تقول: ملك الأملاك بالعربي لا يجوز أن تقول: شاهن شاه بالفارسي، أو ما يؤدي إلى هذا المعنى.

(أَخْنَعَ) أي: أوضع، أراد صاحبه أن يكون رفيعا عند الله فكان وضيعا.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣).

٣٢١ - باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بِسَيِّد ونحوه

١٧٢٥ - عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح[1].

الشرح:

ولكنه معل، فقتادة لم يسمع من عبد الله بن بريدة كما بينه شيخنا مقبل في (أحاديث معلة ظاهرها الصحة)، ومع ذلك قد سمى النبي ﷺ سعد بن معاد بسيد قومه، وهو من الصالحين، وهكذا ربما يطلق على الفاسق سيدا من باب أنه ساد قومه، لكن لا يقال له على التعظيم، فالمنافق والفاسق يهان.

وأما كلمة سِيدي هذه ما هي إلا حق اليمنيين، هذه كلمة سيدي ما هي من اللغة حتى، إما يا سيد أو يا سيدي، أما كلمة سِيدي هي مصطلحات الشيعة، ولهم مصطلحات مخالفة للشرع، مخالفة للغة.

(١) حديث رقم: (٤٩٧٧).

٣٢٢ - باب كراهة سب الحمّى

١٧٢٦ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخلَ على أُمِّ السَّائِبِ، أو أُمِّ المُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ - أو يَا أُمَّ المُسَيَّبِ - تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ». رواه مسلم[1].

«تُزَفْزِفِينَ» أَيْ: تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً سَرِيعَةً، وَمَعْنَاهُ: تَرْتَعِدُ، وَهُوَ بِضَمِّ التاء وبالزاي المكررة والفاء المكررة، وَرُوِيَ أيضًا بالراء المكررة والقافِ.

الشرح:

ترفرفين، يعني هو بمعناه.

وقوله: (باب كراهة سب الحمّى) يدخل فيها كذلك بقية الأمراض، لا تسب المرض يا أخي، المرض هو من الله، ولذلك كره بعض أهل العلم تسمية السرطان بالمرض الخبيث، هذا لا يقال هكذا: مرض خبيث، هذا من سببه، هو من تقدير الله عَزَّوَجَلَّ، ومعلوم أن الأمراض فيها من تكفير الذنوب والسيئات ما الله به عليم، كما تقدم.

(أُمَّ السَّائِبِ) امرأة من الأنصار، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(تُزَفْزِفِينَ) أي: تتحركين، إما أنه من باب لا يعلم الغيب ولا يدري أنها مريضة، أو من باب أنه متعجب من حركتها.

(قَالَتْ: الحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا)؛ لأن الحمى شديدة الوقع، لولا أن الله يسر لنا في هذه الأزمة المتأخرة بالبندول، وبالسبلادين، وبالفوارات، وبهذه العلاجات التي تُستخدم لتخفيفها، وإلا الحمى تجعلك تتخيل أمورا، وتجعلك تتكلم وتهذي بأمور،

---

(١) حديث رقم: (٢٥٧٥).

وربما تجعلك في حالة شديدة، لا تنام الليل من شدتها ومن وقعها، تجعل العيون حامية، أحيانا تجد الجسم حار والبرودة مسيطرة عليه، إلى غير ذلك.

الشاهد أن الله لطف بكثير من الناس بوجود مثل هذه العلاجات للحميات، وكانوا في الزمن المتقدم ربما يستخدمون الحُمَر هذا التمر الهندي، وما في بابه من الحوامض، فإنه من علاج الحمى، والنبي ﷺ يقول: **«الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»**، والنبي ﷺ كان يمرض بالحمى مرضا شديدا، كما قال عبد الله بن مسعود: كما يمرض الرجلان منكم.

٣٢٣ - باب النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها

يعني: لا تسب شيئا مما هو من تسخير الله؛ لأن لله حكمة، هذه الريح التي تشاهدها قوية لله فيها حكمه، ربما تنظف الجو مما فيه، ربما تكون من أسباب تلقيح الأشجار، ومن أسباب التعجيل بصلاح الثمار، وربما تكون عذابا من العذاب، فالإنسان يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بخيرها، ويستعيذ بالله من شرها.

١٧٢٧ - عن أبي المنذِرِ أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(١)].

١٧٢٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ شَرِّهَا». رواه أبو داود بإسناد حسن[(٢)].

قوله ﷺ: «مِنْ رَوْحِ اللهِ» هو بفتح الراء: أي رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

الشرح:

تسوق المطر، ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [سورة الأعراف:٥٧]، والنبي ﷺ يقول: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور».

١٧٢٩ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». رواه مسلم[(١)].

---

(١) حديث رقم: (٢٢٥٢).

(٢) حديث رقم: (٥٠٩٧).

الشرح:

الجأ إلى الله الذي أرسلها، والذي خلقها وسخرها، فهو الذي يجيرك من شرها، والا فالريح نصر الله بها أمه، ودمر الله بها أمه، وحمل الله بها أمه، وكم رحم من أمم بها! فهي جند من جهوده.

وأشهر من أهلكوا بالريح قوم عاد، أهلكهم الله، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [سورة الحاقة:٧] : متتابعات، ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة:٧] ، انظر إلى جذع النخلة حين يسقط واحد هنا وواحد هناك، فكذلك هم صاروا متفرقين، تحمل الواحد حتى ترديه.

وهكذا قوم قريش هزمهم الله بها، كسرت جفانهم، وهدمت خيامهم، وصرفهم الله في غزوة الأحزاب، ونصر الله بها المسلمين، ودافع عنهم.

وهكذا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أهلك الخيل التي صدته عن صلاة العصر وألهته عن صلاة العصر وقام مسحا بالسوق والأعناق أبدله الله بالريح يركب عليها، ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سورة سبأ:١٢] أي: تسير في الغدوة مسيرة شهر، وتسير في الرواح مسيرة شهر في وقتين يسيرين، وهذا من تسخير الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الشورى:٣٢-٣٣]، البحر الخضم يسوقه الله عَزَّوَجَلَّ بالرياح، فتعلوه السفن الكبيرة التي كالجبال، فتحركها، وتمشيها.

حتى هذه السفن التي تشتغل على البترول وتشتغل على الفحم وتشتغل على الطاقة لو أن البحار ما تتحرك بالريح كم عسى هذا المحرك يدف فيها؟ تتعب، وربما تتحطم، لكن الله عَزَّوَجَلَّ جعل رياحا تحرك البحار، تجد أمواجا لا سيما المحيطات

(١) حديث رقم: (٨٩٩).

كالجبال، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [سورة هود:٤٢] ، وإلى الآن أمواج المحيطات كالجبال، أشياء عجيبة تشاهدها بفعل الريح.

وأذكر أني مرة من المرات كنت في جزيرة سقطرى، والريح تستمر عندهم ثلاثة أشهر، ريح ريح، ربما إذا خرجت غير منتبه لنفسك ترديك، وإذا مشيت بالسيارة بسرعة فوق الثمانين ربما تأخذها وترجم بها لك خارج الزفلت، وهكذا تستمر، والجدران الغير محكمة البناء تلقيها، ريح مستمرة، ويسر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك اليوم بإعطاء محاضرة أو كلمة في منطقة قلنسيه حول الريح، ونعمة الريح، وشدة الريح، وما في الريح من الأمور والأحكام.

قد لا أستحضر الآن ما جاء في تلك الكلمة، فإن الدواعي تشد القوى، أحيانا إذا كنت في موطن يحتاج إلى كلام في موضوع من المواضيع تأتي به أحسن ممن لو تكن محضرا، والله المستعان.

والنبي ﷺ كان إذا رأى الريح ترك العمل، ولو كان في قراءة قرآن، ولو كان في غير ذلك من الأعمال، يترك العمل، ويقبل، ويدبر، ويتغير وجهه، فإذا أمطرت سري عنه، علم أنها ليست بعذاب، قالت له عائشة قال: «**لعله كما قال قوم عاد:** ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [سورة الأحقاف:٢٤] »، والله المستعان.

٣٢٤ - باب كراهة سب الديك

يقولون: لم يصح في الديك إلا حديثان:

الحديث الأول: هذا الذي بين أيدينا: **«لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة»**.

والحديث الثاني: «إذا سمعتم صياح الديك فسألوا الله من فضله؛ فإنها ترى ملكا»، وهناك حديث آخر يضاف إلى هذين الحديثين، وهو حديث: **«أُذن لي أن أحدث عن ملك على صورة ديك»**.

وأما حديث: **«رأيت ديكا يذبح ديكا»** فلا يصح، ويقصد بالديك الأول: المؤذن بلال، وبالديك الثاني: الديك الحيوان.

١٧٣٠ - عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

لا سيما إذا كان من الديوك التي لم تغير حالها المدينة بأضوائها بضوضائها، ربما يأتيك بأذاناته على ساعات الليل، وأصحاب البادية يعرفون ساعات الليل بصياح الديكة.

(١) حديث رقم: (٥١٠١).

٣٢٥ - باب النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوء كذا

١٧٣١ - عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فقالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟» قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «قالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَما مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ». متفق عليه[1].

وَالسَّماءُ هُنَا: المَطَرُ.

الشرح:

قوله: (صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ) فيه مشروعية وجواز الصلاة جماعة في السفر.

(الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَّةِ) وهذا في غزوة الحديبية، وكانت في السنة السادسة من الهجرة، وقيل: السابعة.

(فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ): بعد مطر كان من الليل.

(فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فقالَ) يخطبهم ويوجههم.

(هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟) فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ.

(قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) وإضافة الرسول ﷺ في زمنه، أما الآن فتقول: الله اعلم، وقال بعضهم: في مسألة العلم الديني يجوز أن تقول: الله ورسوله أعلم حتى بعد موته.

(قالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) يعني أن الناس انقسموا في هذا المطر إلى قسمين: القسم الأول: مؤمن بالله، أضاف المطر إلى الله، فهو الذي أنزله، وهو الذي سخره، وهو الذي أتى به، فله الحمد، وله المنة، وله الفضل.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي): مؤمن بالله، أضاف النعمة إلى معطيها ومسديها، وإلى خالقها ومسببها، **(كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ)**؛ لأن العرب كانوا يضيفون النعمة إلى الكوكب، يعني إلى الأنواء، إلى النجوم.

(وأَما مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ) وهل هو كافر كفرا أكبر مخرج من الملة؟ لا بد من تفصيل في هذه المسألة، والتفصيل: أن من أضاف المطر إلى الكوكب من حيث أنه سبب له فهذا من الشرك الأصغر الغير مخرج من الملة، مع اعتقاده أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، وأما من أضاف المطر إلى الكوكب بمعنى أنه هو الخالق له وهو المسخر له وهو الآتي به فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

٣٢٦ - باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر

هذه من كبائر الذنوب.

١٧٣٢ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ» متفق عليه[1].

الشرح:

(إِذَا قَالَ الرَّجُلُ) والمرأة أيضا، (لأَخِيهِ) أو لأخته، إذا قال الرجل للرجل أو للمرأة، وإذا قالت للمرأة للرجل أو للمرأة: (يَا كَافِرُ) وهو ليس من الكفار، وهو من المسلمين، (فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) يعني إما المكفَّر وإما المكفِّر.

(فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ) كافرا (وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ) رجع إثم ذلك عليه، أو إن كان مستحلا لتكفيره وهو ليس بكافر فيكفر للاستحلال، وإلا فهي ليست بكفر، هي معصية دون الكفر، رمي المسلم بالكفر.

ولهذا اختلفوا في تكفير الخوارج، والصحيح أنهم ليسوا بكفار، إلا من كفر بأمر غير الخروج على المسلمين، والله المستعان، كما فعل العجاردة حين أنكروا سورة يوسف وقالوا: ليست من القرآن.

١٧٣٣ - وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بالكُفْرِ، أو قالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ». متفق عليه[2].

«حَارَ»: رَجَعَ.

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١).

٣٢٧ - باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان

وما أحوج الأمة إلى مثل هذا الباب، لا سيما في هذه الأزمنة؛ لأن كثيرا من الناس أصبحوا لا يراعون باب الألفاظ، فيتكلمون بكلام غير موزون.

كان عندنا واحد رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسمه حسين العِرْدِي، حتى يذكرون من شأنه: أنه كان يستلم ثلاثة معاشات، وفي مرة من المرات أرسل إليه كاتب الإمام وقال له: ما اسمك؟ قال له: عردي، قال له: أنت تستلم ثلاثة معاشات، قال له: عردي، ومعرود وعردان، المهم هذا كان عنده حكمة، فربما يتكلم ببعض الألفاظ فكان منها: إذا أردت أن تتكلم بكلمة فزنها في فمك ثلاثا قبل أن تخرج، وهذه الصحيح تكتب بماء الذهب.

يعني: أن الكلمة إذا أُطلقت صعب أن تردها، وتحتاج إلى اعتذار، فقد لا يسوغ لك الاعتذار، لكن إذا وزنتها ثلاثا علمت حسنها من قبحها، فعند ذلك تتكلم.

١٧٣٤ - عن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

(لَيْسَ المُؤْمِنُ) كامل الإيمان، **(بالطَّعَّانِ)** في الأنساب وفي الأعراض.

(وَلَا اللَّعَّانِ) لماله أو لغيره، لا للأشخاص ولا للحيوان، وهو كثير اللعن.

(وَلَا الفَاحِشِ) في قوله، **(وَلَا البَذِيِّ)** في كلامه.

فالمؤمن يكون كلامه طيبا، ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [سورة النور:٢٦] الآية.

---

(١) انظر الحديث (١٥٥٥).

١٧٣٥ - وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

الشرح:

(مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ) ربما يؤدي إلى التنافرات وإلى ضيقة الصدور، ونحو ذلك، وكذلك صاحبه يصبح الناس يتشاءمون به، ويتشاءمون من تصرفاته، قال النبي ﷺ: «شر الناس الذي يتركه الناس اتقاء فحشه».

فما أحسن الكلام الطيب! الكلمة الطيبة تكسر الحجرة الصلبة، رب إنسان يكون في بغض لك، فإذا وجد منك الكلمة الطيبة لان وهدأ، بينما إذا أتيت بالكلام الفاحش ما لقيت إلا الفحش، ما كان الفحش في شيء إلا شانه، حتى وإن كان جميلا.

لو أنت الآن تخطب الناس، الخطبة زينة أو ما هي زينة؟ لكن إذا أنت تأتي في خطبتك بالفحش، أو كذلك تصلي بالناس وتتفحش عليهم، ما يحبون منك ذلك.

(وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ) يجمله، ويُبدي محاسنه.

(١) حديث رقم: (١٩٧٤)، صحيح لغيره، وإلا هذا من طريق معمر عن ثابت عن أنس به، وفي رواية معمر عن ثابت ضعف. قاله المحقق.

٣٢٨ - باب كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

ومن أشد هؤلاء الآن الذين يصعدون في التلفزيونات أو في الإذاعة، يبقى أحدهم: اااه، إييه، اااه، يا أخي تكلم مثل الناس بكلام موزون وأرح نفسك، لكن هؤلاء ممن قال فيهم رسول ﷺ: **«يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»**.

وهكذا التفاصح، يذهب إلى العوام يقول لهم مثلا بكلمة ما يفهمونها، مثل ترك القصة التي يذكرونها قالوا له العوام: من المتوفِّي؟ قال: الله، هم يقصدون: من المُتوفَّى؟ لكن لهجة العوام: من المتوفِّي؟ قال: الله، ضربوه، كيف يقول: الله يموت؟ فالشاهد أن بعضهم يتفاصح مع العامة وهم مساكين.

مرة من المرات كنت جالسا مع بعضهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: وقع علي كذا وكذا وكذا وكذا، قلت: الله المستعان، ونحن عندنا في البلاد إذا أراد أحد أن يعتب عليك يقول لك: الله المستعان، يعني: مثلك يفعل هذا أو مثلك يقول هذا؟ المهم قال لي: الله المستعان؟ غضب، فالشاهد أننا نحتاج إلى أن نتأقلم، لا تأت إلى كلمة هم يفهمونها على غير المحمل وأنت تأتي بها.

وقبل أيام جمعنا مجلسا مع بعض الأخوة وتكلم تكلم فقلت له: اسمع، أنا قصدي: أريد أن أُسمعه كلامي الذي يبين مثلا هذا المعنى، قال: لا تقل لي: اسمع، أنا أكبر منك، فقلت له: أنا ما أقصد اسمع يعني على أني أوقفك عن الكلام وأزجرك، لابد من بيان، وإلا ربما يقع في نفسه، يقول: كيف هذا يقول لي: اسمع؟

فالشاهد أن التفاصح في غير موطنه أحيانا يؤدي بالإنسان إلى بعض الأضرار.

١٧٣٦ - عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. رواه مسلم[١].

«المُتَنَطِّعُونَ»: المُبَالِغُونَ فِي الأُمُورِ.

الشرح:

هل هذا دعاء أم خبر؟ قد يكون دعاء وقد يكون خبرا، إن كان خبرا فخبر النبي ﷺ حق، مصيبة على المتنطعين، وإن كان دعاء فأغلب دعاء النبي ﷺ يستجاب، مصيبة على المتنطعين.

فعلى الإنسان أن يلازم الاعتدال، ويلازم السنة، ويلازم هدي النبي ﷺ، سواء في الأفعال أو في الأقوال، هذا الحديث ليس فقط في الأقوال، بل وفي الأفعال، ما تتنطع مثلا تأتي بصلاة مبالغ فيها على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ، تهلك وتنقطع، أو كذلك تأتي بأقوال مخالفة لهدي النبي ﷺ تهلك وتنقطع.

١٧٣٧ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[٢].

الشرح:

(إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ) فيه إثبات صفة البغض لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية اللائقة بجلاله.

(البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ) يعني: المتفاصح، أما الذي يتكلم باللغة العربية ويُفهِّم الناس وينزل إلى مراتبهم، ما يأتي بـ(مقامات الحريري)، يتكلم مع الناس بمقامات

(١) انظر الحديث (١٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣).

الحريري، أو ببعض الألفاظ التي تحتاج إلى قاموس، كثير من كلمات اللغة العربية الآن تحتاج منا إلى قاموس، تحتاج تقرأ والقاموس عندك، لكن كلم الناس بما يعرفون.

كان شيخنا مقبل يقول: كان إذا حاضر الشيخ الألباني أو الشيخ ابن باز لم أحضر لهما المحاضرة؛ لأنهما ينزلان في كلامهما إلى ما يفهم العوام، بينما إذا كانت لهما مجالس علمية كنت أحرص على الحضور والاستفادة.

الشاهد من هذا: أن العالِم فضلًا عن غيره من الدعاة ينبغي إذا كان كلامه مع طلاب العلم يعطيهم على قدرهم، ويخاطبهم بما يعلمون، أما إذا كان بين العوام ينزل إلى مستواهم، ويتكلم بما يخرج أحدهم من الخطبة وقد استفاد، من المحاضرة وقد استفاد، أما تتفاصح عليهم مساكين، يخرج ويدخل مثل ما جاء.

(الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ) يعني لا ينطق مباشرة، يأتي بالكلام يبقى يردد، ويبدئ ويعيد، حتى أن الكلمة تحتاج منه إلى فترة من الزمن.

١٧٣٨ - وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَومَ القِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا، وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَومَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1]، وقد سبق شرحه في بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ.

(١) انظر الحديث (٦٣٠).

٣٢٩ - باب كراهة قوله: خَبُثَتْ نَفْسي

١٧٣٩ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيّ ﷺ قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسي» متفق عليه[1].

قالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَى «خَبُثَتْ»: غَثَتْ، وَهُوَ مَعْنَى: «لَقِسَتْ» وَلَكِنْ كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.

الشرح:

وهذا من باب صيانة الألفاظ، وإلا معنى خبثت نفسي هو نفس معنى لقست نفسي، المعنى واحد، لكن الإنسان ينظر إلى الألفاظ التي ظاهرها الحسن والسلامة.

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠).

٣٣٠ - باب كراهة تسمية العنب كرمًا

١٧٤٠ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم[1].

وفي رواية: «فَإِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

وفي رواية للبخاري ومسلم: «يَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ».

الشرح:

يعني العنب كانوا يسمونه كرما، فإذا قيل لأحدهم قال: اعصر الكرم، اعطنا الكرم، ويسكر به، وفيه ما فيه من الضرر، فنهاهم النبي ﷺ، وأمرهم أن يكون هذا الاسم للمؤمن المتصف بصفة الكرم، سواء الكرم الحسي أو الكرم المعنوي.

١٧٤١ - وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ». رواه مسلم[2].

(الحَبَلَةُ) بفتح الحاء والباء، ويقال أيضًا بإسكان الباء.

الشرح:

هو العنب.

فهذا باب الألفاظ، والحمد لله قد يسر الله لي العناية بهذا الباب في مقدمة كتابي (معجم المصطلحات العصرية وأثره على الشريعة الإسلامية)، ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ [سورة البقرة:١٠٤] ، قد تأتي كلمة راعنا بمعنى الانتظار، لكن لما استخدمها هؤلاء في غير هذا المعنى نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن الاقتداء بهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧).

(٢) حديث رقم: (٢٢٤٨).

٣٣١ - باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلاَّ أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

١٧٤٢ - عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا». متفق عليه[1].

الشرح:

لأن ذلك قد يهيجه إليها، وقد يقذف في قلبه العشق لها، وربما فُتن، وفي البيت الشعري: والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

وانظر إذا كان نعت المرأة للمرأة من أسباب فتنة الرجل فكيف بالنظر إلى المرأة؟ وكيف بالاختلاط بها؟ وكيف بفتنة المرأة المتبرجة؟ هذه الفتنة التي يدعو إليها الكفار، يدعو إليها النصارى، يدعو إليها اليهود، تدعو إليها الماسونية العالمية بدعوى حقوق المرأة، هم ما هم حول حقوق المرأة، هم حول إفساد المرأة.

وإلا حق المرأة مكفول بكتاب ربنا، وبسنة نبينا ﷺ، حقها في الإحسان إليها أما، في الإحسان إليها زوجة، في الإحسان إليها بنتا، حقها في الإحسان إليها يتيمةً، حقها في الإحسان إليها صغيرة وكبيرة وعجوزا، وغير ذلك.

أين يجد هؤلاء مثل معاملة الاسلام للمرأة؟ هم في حال صغرها لا تعلم أبا، ضيعوها، ضيعوها، أغلبهن بنات زنا، إلا ما رحم ربي، وإذا كبرت أفسدوها، وصارت كحال من سبقها، وإذا شاخت رموا بها في أماكن العجزة، ثم يتهمون الإسلام بأنه ضيع حق المرأة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٤٠)، وليس في صحيح مسلم.

والصحيح: أن الإسلام حفظ للمرأة حقها، اليهود إذا حاضت المرأة ما يخلوها معهم في البيت، تكون عندهم كالكلب الأجرب في غرفة خاصة، بل إلى هذا الزمن، لا يظن الظان أنهم بتطورهم قد غيروا من عقيدتهم الفاسدة في باب المرأة، بعض حاخامات اليهود أو كهان اليهود ومن في بابهم يقول: المرأة تستحق أن تُباد، وأن يُتخلص منها؛ لأنهم يمقتونها جدًّا، إذا حاضت المرأة لا يؤاكلها، ولا يجامعوهن في البيوت.

والنصارى لا يتورعون في باب النساء، مع حيضها، مع بلائها وفسادها، والإسلام أعطى للمرأة حقها في عشرتها، أعطى للمرأة حقها في ميراثها، أعطى للمرأة حقها في نفقتها، أعطى للمرأة حقا في حجابها، ما تبقى كالحلوى المكشوفة كل الحشرات عليها، بل تبقى مجلببة مغطاة؛ حفظا لها، وإكراما لها.

أن هؤلاء يصورون نسائهم في الدعاية والإعلان، صارت عندهم المرأة مسوقا للصابون، لأدوات التجميل، لكثير من الأمور يضعون صورة المرأة، وربما المرأة العارية، سوقوها وأفسدوها، لا إله إلا الله!

ومع ذلك قد تجد من نساء المسلمين من تصدق مثل هذا الكلام، وتجد من بلدان المسلمين من يصدقون الكفار، لا بد أن نسعى في تحرير المرأة، من أيش تحررها؟ هل هي رقيق تحررها إلى أن تصير حرة؟ أنت تدعوها إلى التحرر من الدين، إلى التحرر من الاستقامة، إلى التحرر من العفة، أنت تدعوها إلى الخنا، إلى السفور، إلى الفجور.

كثير من النساء تُصاب بحالة نفسية، كثير من نساء الكفار تصاب بحالة نفسية، يعني طفلة يفجر بها أبوها أو أخوها أو قريبها، ثم بعد ذلك تدخل في هذا البلاء تدخل حتى تصبح بحالة اكتئاب، حتى هؤلاء أصحاب المقاطع الخليعة هم في الأصل يعطون للنساء ويعطون كذلك للممثلين مخدرات وحُقن مفسدة، فلذلك يفعلون هذه

المقاطع السيئة، ثم بعد ذلك كثير منهم يذهب إلى الانتحار، يرمي بنفسه في نهر أو في بحر.

وقد وقفت على رسالة في هذا المضمون ذكر نحن هذا الكلام: أن هذه الأفلام تمثل تحت تأثير التخدير، ثم يقول لك: حقوق المرأة، حق المرأة تجلس في البيت وأنت تنفق عليها يا سفيه القول والفعل، هذا حقها، مسكينة، امرأة ضعيفة تحتاج إلى من يرعاها، ما تخليها في الشوارع تزاحم الناس من أجل تتكسب، وإن لم تجد عملا أو ضعفت عن العمل استخدمت فرجها، النبي ﷺ نهى عن مهر البغي، والله المستعان.

٣٣٢ - باب كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ، بل يجزم بالطلب

١٧٤٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ». متفق عليه[١].

وفي رواية لمسلم: «وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعَظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

الشرح:

أنت حين تقول: اللهم اغفر لي إن شئت كأنك في غنى عن غفران الله، اللهم أعطني إن شئت كأنك في غنى عن عطائه اجزم المسألة، فالله لا يعجزه شيء، وأنت فقير إليه، فقل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني ووفقني، بدون كلمة إن شئت، ولا: الله يرزقك إن شاء الله، الله يحفظك إن شاء الله، كل هذا من الأمور المنكرة بالشرع.

١٧٤٤ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ، فَأَعْطِنِي؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». متفق عليه[٢].

(وفي هذا الحديث دليل على أن الله لا يعجزه شيء، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [سورة فاطر: ٤٤]. وفي هذا الحديث تعين العزم في الدعاء، ما تدعو وأنت لاه غافل، ولكن عليك أن تعزم وتستشعر سماع الله عَزَّوَجَلَّ للدعاء، ويكون ظنك في استجابته، ولتكن ثقتك به). من "شرحي على صحيح مسلم".

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

٣٣٣ - باب كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان

لأن هذا من الشرك اللفظي.

١٧٤٥ - عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رواه أبو داود بإسناد صحيح[1].

الشرح:

ما شاء الله وشاء فلان العطف بالواو يقتضي المشاركة، والعطف بثم يقتضي عدم المشاركة، فمشيئة الغير تكون على مقتضى مشيئة الله، فلا يجوز أن تشرك، والنبي ﷺ نهاهم عن ذلك حين قالوا: ما شاء الله وشاء محمد.

٣٣٤ - باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمُرادُ بِهِ الحَديثُ الذي يَكُونُ مُبَاحًا في غَيرِ هذَا الوَقْتِ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سواءٌ، فَأَمَّا الحَديثُ المُحَرَّمُ أو المَكرُوهُ في غير هذا الوقتِ فَهُوَ في هذا الوقت أَشَدُّ تَحريمًا وَكَرَاهَةً.

وأَمَّا الحَديثُ في الخَيرِ كَمُذَاكَرَةِ العِلْمِ وَحِكايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، والحَديث مع الضَّيفِ، ومع طالبِ حَاجَةٍ، ونحو ذلك، فلا كَرَاهَة فيه، بل هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وكَذَا الحَديثُ لِعُذْرٍ وعَارِضٍ لا كَراهَةَ فِيه.

وقد تظاهَرَتِ الأَحَاديثُ الصَّحيحةُ على كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ.

الشرح:

(١) حديث رقم: (٤٩٨٠).

وهذا ملخص لرسالة كتبها أخونا الشيخ عبد الخالق العماد في أحكام السمر، فالسمر إن كان لحاجة بعد العشاء فيجوز، وإن كان لغير حاجة فمكروه، وإن كان على الغيبة والنميمة أو الحرام من مراسلة النساء والنظر إلى الأفلام السيئة أو يؤدي إلى ضياع صلاة الفجر فهذا محرم.

والنبي ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء؛ لأن النوم قبل العشاء ربما فوت عليه العشاء، وكان يكره الحديث بعد العشاء؛ لأن الحديث بعد العشاء ربما فوت عليه الفجر، أو قيام الليل.

ومع ذلك لا بأس من السمر في العلم، بوب البخاري: باب السمر في العلم، وأيضا محادثة الضيف، كما سمر النبي ﷺ مع أضيافه، وسمر مع زوجته، كما في حديث ابن عباس في قضية ميمونة.

١٧٤٦ - عن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكرهُ النَّومَ قَبْلَ العِشَاءِ والحَديثَ بَعْدَهَا. متفقٌ عليه(١).

الشرح:

وجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت عروة يتحدث خلف الحجرة، قالت: ما هذا يا عُرية؟ لم يكن رسول الله ﷺ يصنع كصنيعكم، إما قائما فيسلم، وإما نائما فيغنم، أي: مصل يغنم الأجر.

١٧٤٧ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صَلَّى العِشَاء في آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قال: «أَرأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذِه؟ فَإِنَّ عَلَى رَأسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ علَى ظَهْرِ الأَرْضِ اليَومَ أَحَدٌ». متفق عليه(٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨)، ومسلم (٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

الشرح:

استدل بهذا الحديث على جواز طلب العلم والسمر بعد العشاء للحاجة، ويُجمع بين هذا الحديث وحديث الدجال أنه موجود على أن الدجال كان وجوده بعد كلام النبي ﷺ بهذا الحديث، أو أن المراد بمن هو على ظهر الأرض غير الدجال، مستثنى بأدلة أخرى.

١٧٤٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهم انتظروا النَّبِيَّ ﷺ فَجَاءهُمْ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ فَصَلَّى بِهِمْ - يَعْنِي: العِشَاءَ - ثمَّ خَطَبنا فقالَ: «أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

(شَطْرِ اللَّيْلِ): نصف الليل.

إلا أن النبي ﷺ قد صلى العشاء قبل هذا الوقت؛ رحمة بالناس، **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بتأخير العشاء إلى هذه الساعة»**، أو كما قال.

(١) حديث رقم: (٦٠٠).

٣٣٥ - باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إِذَا دعاها ولم يكن لَهَا عذر شرعي

أما إذا كان لها عذر شرعي كمرض أو حيض وهو لا يتورع عن ذلك فليس لها أن تطيعه، وليس له أن يجبرها.

١٧٤٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية: «حَتَّى تَرْجِعَ».

الشرح:

والله المستعان بعض النساء إذا ذُكر لها مثل هذا الحديث تقول: خليهم يلعنوا، وأيضا جاء في الحديث: «إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها»، أي أن الله يسخط عليها بسبب معصيتها لزوجها.

(١) انظر الحديث (٢٨١).

٣٣٦ - باب تحريم صوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه

١٧٥٠ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أما إذا كان في غيبة فلها أن تصوم بدون إذنه، حتى لو قال لها: افطري، وهو بعيد عنها لا تحتاج إلى أذنه، إلا إذا كان صيامها سيضر بولدها وجنينها، وإلا فالإسلام حث على طاعتها لزوجها في هذا الأمر إذا كان موجودا، لعله يحتاج إلى قضاء وتره، أو نحو ذلك.

(وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) لا للرجال ولا للنساء، أما الرجال من باب أولى.

(١) انظر الحديث (٢٨٢).

٣٣٧ - باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

١٧٥١ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وفي رواية: «أو يجعل وجهه وجه حمار».

وهذا في حق من يسابق الإمام، والسبب في ذلك: أنه يعلم أنه لا يمكن أن يخرج من الصلاة إلا بعد تسليم الإمام، ومع ذلك يسابقه، فهذا يشبَّه بالحمار، وربما مُسخ إلى صورة حمار.

وذكر بعضهم: إلى أن بعضهم تشكك في هذا الحديث فقال: كيف يقع هذا؟ فمسخه الله إلى صورة حمار، فكان بعد ذلك يحد ث الناس من وراء حجاب، ومرة من المرات أبى أحدهم إلا أن يراه، فلما رآه رأى وجهه وجه حمار، فأخبره أنه تشكك في الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧).

٣٣٨ - باب كراهة وضع اليد علَى الخاصرة في الصلاة

وهو الصَّلْب، قيل: لأنه فعل اليهود كما قالت عائشة.

١٧٥٢ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عن الخَصْرِ في الصَّلَاةِ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وهو وضع اليد على الخاصرة.

والسبب في النهي عن الاختصار في الصلاة؛ لأنه دليل على التماوت، وعلى عدم النشاط في عبادته، أو التشبه باليهود كما تقدم.

(١) أخرجه البخاري (١٢١٩)، ومسلم (٥٤٥).

٣٣٩ - باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أَوْ مَعَ مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط

١٧٥٣ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

قيل: لا صلاة بالمرة، وإلى هذا ذهب الظاهرية، وقيل: بأنها لا صلاة كاملة؛ لأنه قد يوسوس في صلاته، فينقص الخشوع، وتنقص الأجر، والصحيح التفصيل: إذا كان مدافعته للأخبثين وصلاته بحضرة الطعام لا يشوش عليه حتى يخرج عن الاعتدال فصلاته صحيحة، أما إذا كان يؤدي إلى تضيقه حتى لا يدري ما صلى ولا يتقن الأركان فتكون باطلة.

وهذا من سماحة الإسلام، أن الرجل إذا احتاج إلى طعام يأكل ويؤخر الصلاة لذلك، وإذا كان به ما يستدعي الخروج من المسجد يخرج ويقضي أمره، ثم إن وجد جماعة صلى وإلا صلى وحده.

(١) حديث رقم: (٥٦٠).

٣٤٠ - باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة

١٧٥٤ - عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ»، فَاشْتَدَّ قَولُهُ في ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخطفَنَّ أَبْصَارُهُمْ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وجاء أيضا عن جابر بن سمرة، وجاء عن عبد الله بن عمر، في الباب عدة أحاديث.

والنهي عن ذلك أنه عند أن يرفع بصره إلى السماء يستعجل الاستجابة ونحو ذلك، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بالخشوع.

وكما نهى النبي ﷺ على الذين يحركون أيديهم عند السلام: «ما شأنكم؟ كأنها أذناب خيل شمس»، يعني: خيل نافرة، تبقى تتحرك هكذا وهكذا، فالإنسان يسكن في صلاته.

(مَا بَالُ أَقْوامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ) فيه أن رفع البصر إلى السماء في غير الصلاة جائز، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:١٤٤] .

(لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخطفَنَّ أَبْصَارُهُمْ) فيه أن المعاصي سبب لمؤاخذة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد.

وهذا دليل ورد لقول من يقول: بأن السماء قبلة الدعاء، النبي ﷺ أنكر عليهم رفع الأبصار إلى السماء في حال الدعاء.

---

(١) حديث رقم: (٧٥٠).

٣٤١ - باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

فيه: أن الالتفات اليسير الالتفات بالوجه بهذا القيد: الالتفات بالوجه لا يبطل الصلاة، فالنبي ﷺ كان يصلي وينظر إلى الفارس الذي قد أرسله من الليل، حتى جاءه، وهكذا سيأتي في حديث عائشة: «**اختلاسا يختلسه الشيطان من صلاة العبد**».

أما إذا التفت عن القبلة من غير عذر التفاتة تخرجه عن الاعتدال تبطل صلاته، ويلزمه الاستئناف.

وهكذا أن رأى حية أو ثعبانا أو نحو ذلك من الحشرات فقد جاء الدليل بقتلها، فإذا كان يصلي إن استطاع أن يقتلها ويصلي دون خروج عن القبلة قتلها، وإلا ترك الصلاة وقتل مثل هذه المؤذيات.

١٧٥٥ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سألت رسُولَ الله ﷺ عَنِ الالتفَاتِ في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا الاختلاس التفات البصر، التفات الوجه.

١٧٥٦ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ والالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَفِي التَّطَوُّعِ لَا فِي الفَرِيضَةِ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

(١) حديث رقم: (٧٥١).

(٢) حديث رقم: (٥٨٩)، بل ضعيف، من طريق علي بن زيد بن جدعان.

٣٤٢ - باب النهي عن الصلاة إلَى القبور

لأن ذلك ذريعة إلى الشرك، ذريعة إلى الغلو، والإسلام جاء بسد الذرائع، أما من زعم إلى أن الصلاة إلى القبور إنما هو لنجاسة التربة فقوله غير صحيح، فالنهي عن الصلاة في قبور الأنبياء وإلى قبور الأنبياء مع أنها لا تأكلها التربة.

١٧٥٧ - عن أَبي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا». رواه مسلم[1].

الشرح:

ففي هذا الحديث النهي عن الغلو في القبور، والنهي عن امتهان القبور، والناس الآن بين غال في القبر أو ممتهن للقبر، نسأل الله السلامة والعافية، فكلاهما مخالف للشرع، فمن بنى على القبور أو كتب عليها أو جصصها فهو من الغلاة فيها، أو شد الرحل إليها، ومن داسها وامتهنها وبال عليها فهو من المنتهكين لحرماتها.

(١) حديث رقم: (٩٧٢).

٣٤٣ - باب تحريم المرور بَيْنَ يدي المصلّي

١٧٥٨ - عن أَبي الجُهَيْمِ عبد اللهِ بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ».

قَالَ الراوي: لا أدْرِي قَالَ: أَرْبَعينَ يَومًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وينبغي للمصلي أن يتخذ سترة بينه وبين قبلته، فلا يضره من مر أمامها، فإذا كان له سترة ومررت أمام السترة فلا حرج عليك، وإن كان له سترة ومررت بينه وبين السترة فهنا يأثم المار، وإن لم يكن له سترة ذهب بعضهم إلى أنه لا حرمة له.

والصحيح: ينبغي أن الإنسان يتنحى عنه بمقدار ثلاثة أذرع إلى مكان سجوده.

وأما إذا كان يصلي في طواف الحرم أو في طريق الناس أو في أبواب المساجد قد يؤدي إلى التدافع ونحو ذلك لا سيما في المساجد المليئة فهنا لا حرمة له، ولهم أن يمروا بين يديه، بل عليه أن يقطع صلاته.

(١) أخرجه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٥٠٧).

٣٤٤ - باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة، سواء كَانَتْ النافلة سنة تلك الصلاة أوْ غيرها

١٧٥٩ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلاَّ المَكْتُوبَةَ». رواه مسلم[1].

الشرح:

جاء في بعض الروايات: «فلا صلاة إلا التي أُقيمت»، وهذه الرواية ضعيفة.

(فَلَا صَلَاةَ إِلاَّ المَكْتُوبَةَ) لأنه قد يصلي العصر وأنت تصلي الظهر، لكن على القول (لا صلاة إلا التي أقيمت) سيكون لا يصح إلا أن يصلي العصر، لكن الصحيح أنه يجوز للإمام في صلاة العصر أن يؤم مأمومين من صلاة الظهر، وهكذا العكس.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه إذا كان قد ركع الركوع الثاني أنه يتم صلاته، وإن كان قبل الركوع الثاني فإنه يقطع صلاته.

وبعض أهل العلم ذهب إلى أن النهي هنا للكراهة، فيقول: إن كان يعلم أنه سيتجوز وسيدرك تكبيرة الإحرام أو يدرك الركعة الأولى فيتم، والذي يظهر أنه يقطعها أفضل.

(١) حديث رقم: (٧١٠).

٣٤٥ - باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أَوْ ليلته بصلاة من بين الليالي

١٧٦٠ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا الحديث مما انتقده الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ على الإمام مسلم، وتابعه الشيخ مقبل على صحة الانتقاد، وأنه من قول محمد بن سيرين.

ومع ذلك قد جاء النهي عن إفراد يوم الجمعة، وجاء النهي كذلك عن تخصيص بما لم يُخصصه الدليل.

١٧٦١ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلاَّ يَومًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». متفق عَلَيْهِ[2].

الشرح:

حتى يخرج من الإفراد، وهذا من الأدلة على جواز صيام يوم السبت في غير الفريضة؛ لأن النبي ﷺ يقول: لا يصوم يوم الجمعة إلا يصوم يوما قبلها أو بعد، وبعده السبت، وهكذا.

---

(١) حديث رقم: (١١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٥)، ومسلم (١١٤٤).

١٧٦٢ - وعن محمد بن عَبَّادٍ، قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَومِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عَلَيْهِ[1].

١٧٦٣ - وعن أُمِّ المُؤمِنِينَ جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أمْسِ؟» قالت: لا، قَال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «فَأَفْطِرِي». رواه البخاري[2].

الشرح:

وهذا من الأدلة على جواز صيام يوم السبت في غير فريضة؛ لأن النبي صل الله عليه وسلم يقول لها: (تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟) قالت: نعم، ما قال لها: لا يجوز لك الصيام يوم السبت، فليتفطن لهذه المسألة.

فإن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قد نصر القول بعدم جواز الصيام يوم السبت إلا في الفريضة، وهو قول مردود، فقد ذهب أبو داود إلى أن حديث «لا يصوم يوم السبت إلا فيما افترض عليكم» أنه منسوخ، وذهب مالك إلى أنه كذب، وذهب قوم إلى ترجيح هذه الأحاديث عليه، وهو الصحيح، وذهب قوم إلى أنه لا يصام؛ تشبها باليهود، ونحو ذلك، لكن الصحيح أنه يصام، سواء مفردا، أو مع غيره من الأيام.

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٤)، ومسلم (١١٤٣).

(٢) حديث رقم: (١٩٨٦).

٣٤٦ - باب تحريم الوصال في الصوم وَهُوَ أَنْ يصوم يَومَينِ أَوْ أكثر وَلَا يأكل وَلَا يشرب بينهما

أما الوصال إلى السحر فقد رخص فيه النبي ﷺ، كما في حديث أبي سعيد عند البخاري.

١٧٦٤ - عن أَبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوِصَالِ. متفق عَلَيْهِ[١].

١٧٦٥ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ. قالوا: إِنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى». متفق عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[٢].

الشرح:

بهذا الحديث استدل كثير من أهل العلم على جواز الوصال، قالوا: لأن النبي ﷺ واصل وهم واصلو معه، فالوصال إنما هو مكروه، وعبد الله بن الزبير كان يواصل أربعة عشر يوما، ثم يأخذ شيئا من السمن واللبن ويجمع بينهما ثم يشرب، أياما يتقوى، ثم يعود لمواصلة أربعة عشر يوما، قالوا: وهذا دليل على أن الوصال ليس بحرام.

والذي يظهر أنه مكروه، إلا من خشي الضرر، «ليس من البر الصوم في السفر».

وأما قوله: (إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى) فهذه مسألة اختلفوا فيها اختلافا كثيرا، فذهب بعضهم وقال: يُطعم ويسقى من ثمار الجنة، وهذا قول بعيد ضعيف، كيف يطعم ويسقى من ثمار الجنة؟ لو كان يأكل ويشرب هذا مفطر، هذا ما هو مواصل، وقالوا

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٢)، ومسلم (١١٠٢).

غير ذلك، لكن الذي يظهر أنه لحبه لله لتفانيه في العبادة ربما كالذي يشغل عما يناله من الجوع أو العطش.

وقد تكلم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه المسألة في كتابه (زاد المعاد) بكلام طيب، من أراد أن يرجع إليه.

٣٤٧ - باب تحريم الجلوس عَلَى قبر

١٧٦٦ - عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

أما في البلاد العليا امتهنت القبور جدًّا بسبب الرافضة لا صبحهم الله بخير ولا مساهم، فتحوا الخطوط من على المقابر، وبنوا القرى على المقابر، ووضعت الطرق على المقابر، وأصبحت ممتهنة إلى أبعد الحدود، ربما رُبطت عليها الحمير، وربما ربطت عليها الدواب، وربما وُضعت عليها القاذورات، فلا إله إلا الله!

وهكذا كثير من البلاد اليمنية ملغمة بانتهاك القبور، ليس بالجلوس عليها فقط بل بقضاء الحاجة فوقها، يقضي الحاجة فوق القفر، بل ربما بُنيت البيوت على القبور ويأتي زوجته فوق القبر، ويبقى يصلي داخل ذاك البيت، وصلاته باطلة، الصلاة على القبور أو إلى القبور باطلة، فليتنبه لمثل هذه المسائل التي ابتلي بها الشعب اليمني.

حتى صنعاء لو تنظر هذا البنك المركزي ونادي الضباط وما إليها من يمين ويسار أُخذت من المقبرة، مقبرة خزيمة مقبرة كبيرة، إنما أبقوا منها جزءً، وإلا فكثير منها أخذ من المقبرة، وهكذا بقية البلدان المحافظات والقرى.

وهذا دليل على أن الجلوس كبيرة، (لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ) نار، (فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ) أي مسلم، أما قبور الكفار لا عبرة بها.

---

(١) حديث رقم: (٩٧١).

٣٤٨ - باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

بل والكتابة عليه، كما جاء في (مستدرك الحاكم).

١٧٦٧ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ، وأنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم[1].

الشرح:

التجصيص يعني: يوضع فوقه الجص، ومثله الإسمنت الآن، وكذلك البناء عليها، سواء البناء بتجصيصها، أو بناء القباب، وأن يُقعد عليها أيضا.

❁❁❁❁

(١) حديث رقم: (٩٧٠).

٣٤٩ - باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

لأن طاعة السيد واجبة، فلا يجوز له أن يخرج عن طاعته.

١٧٦٨ - عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا دليل على أنها كبيرة من كبائر الذنوب.

١٧٦٩ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ: «إِذَا أَبَقَ العَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ». رواه مسلم[2].

وفي روايةٍ: «فَقَدْ كَفَرَ».

الشرح:

(لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ) أي حتى يرجع.

(فَقَدْ كَفَرَ) أي: كفرا أصغر غير مخرج من الملة، ولا يكفر الكفر الأكبر إلا إذا استحل ذلك، وإلا فهو على ما تقدم بيانه.

(١) حديث رقم: (٦٩).

(٢) حديث رقم: (٦٨).

٣٥٠ - باب تحريم الشفاعة في الحدود

أي: في الحدود التي أوجبها الشرع، كالزاني تشفع ألا يُجلد، والسارق تشفع ألا تقطع يده، لا يجوز الشفاعة في الحدود، لكن إن تمت الشفاعة قبل أن تصل إلى السلطان لا حرج.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [سورة النور:٢] .

الشرح:

هذا إذا كانوا أبكارا، أما إذا كانوا محصَنين أو كان أحدهم محصنا والآخر بكرا فالمحصن يرجم، وقد تقدم الإشارة إليه، الرجم حق في كتاب الله، قال عمر.

ولا ينكر الرجم إلا الزنادقة، ومن شابههم من المعتزلة والخوارج، وضلال الإخوان المسلمين، كالغزالي والقرضاوي، ومن إليهم، نعوذ بالله من الضلال، أن يُنكر الرجم وأحاديثه في الصحيحين شبه متواترة إن لم تكن متواترة، لو كانت آحادا للزم الإيمان بها.

فقد رجم النبي ﷺ ماعزا، ورجم النبي ﷺ الغامدية، ورجم النبي ﷺ يهوديا ويهودية زنيا، وأمر النبي ﷺ أُنيسا أن يذهب إلى تلك المرأة **«فإن اعترفت فارجمها»**، فاعترفت فرجمها.

١٧٧٠ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ

الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». متفق عَلَيْهِ(١).

وفي روايةٍ: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» فَقَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

الشرح:

في هذا الحديث فضل أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم علموا أنه لا يستطيع أن يكلم أحدٌ رسولَ الله ﷺ إلا أسامة.

وفيه أن الإنسان يهمه شأن التهمة التي تنزل بأهله، أو تنزل بأخيه، أو تنزل بنفسه، أو تنزل بابنه، إلى غير ذلك.

وفيه عادة الناس في الشفاعة، إلا أن الشفاعة في هذا الموطن لا تجوز، أما في غيره من المواطن التي أذن الشرع بالشفاعة فيها فلا بأس.

وفيه إنكار على من خالف الشرع.

(إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ) وهذا أول ترك الرجم عند اليهود، أول ترك الرجم عند اليهود أنهم كانوا إذا زنا الشريف تركوه، وإذا زنى فيهم الضعيف رجموه، ثم اتفقوا على التحميم، قالوا: نحمم الجميع، والتحميم: أن من ثبت عليه الزنا يأخذون شيئا من الفحم ويحممون وجهه، ثم يحملونه على بعير أو شيء يُشهرون به.

(وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) فيه ما عليه النبي ﷺ من ملازمة العدل مع القريب والبعيد.

(١) انظر الحديث (٦٥٠).

وفيه أن الحدود لا يجوز أن يؤخذ بها الرفق والشفقة، هذا إذا بلغت السلطان كما تقدم.

جاء في بعض الروايات أنها كانت تجحد المتاع، وبه استدل بعض أهل العلم على أن الجاحد تُقطع يده، والصحيح أن لفظ (تجحد المتاع) ليس هو الذي من أجله قطعت، فإن الجاحد لا تقطع يده، وإنما يؤدب على جحده وعلى إنكاره، لكن لعلها كانت تسرق وتجحد، فاجتمع فيها الأمران، والله المستعان.

وفي هذا الحديث فضيلة إقامة الحدود، فإنها زجر للمخالفين لشرع الله عَزَّوَجَلَّ، والآن الكفار يشدون على المسلمين في مسألة الحدود، يعني يمانعون في إقامتها، وأن هذا يعتبر من القسوة والغلظة، مع ما عليه الكفار من القسوة والغلظة هم، لكن ينبغي للمسلمين أن يُقيموا شريعة الله، ولا يلتفتوا إلى هؤلاء أصلا، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [سورة البقرة:١٢٠] .

٣٥١ - باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلِّهم وموارد الماء ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨] .

الشرح:

والأذية تتفاوت، منها الأذية البدنية، ومنها الأذية المعنوية، ومنها الأذية المالية، ومنها الأذية في الطرقات، ونحو ذلك، فيجب على الجميع عدم أذية المسلمين.

١٧٧١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ» قالوا: وَمَا اللاَّعِنَانِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

قيل في سبب ذلك: أنها سبب للعنك أيها القابع في طريق الناس، يمر الناس فيجدونها فيلعنون من صنع ذلك الصنيع.

والمراد بطريق الناس: الذي يمشون منه واعتادوه.

(أو في ظِلِّهِمْ) قيل: الظل الذي على المياه.

(١) حديث رقم: (٢٦٩).

٣٥٢ - باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

لتلويثه، وإلا فالماء طهور لا ينجسه شيء.

١٧٧٢ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم[(١)].

الشرح:

(ونهي النبي ﷺ يقتضي التحريم، وفي الحديث: «**إِنَّ الْمَاءَ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ**»، لا سيما إذا كان جارياً كثيرًا وإذا كان راكدا يلحقه النجس إذا غلب على طعمه أو ريحه أو لونه؛ لنجاسة وقعت فيه.

وكما أنه يكره البول في الماء الراكد فالتغوط من باب أولى، ومن عجيب شأن داود الظاهري ومن إليه أنهم جوزوا التغوط ونهوا عن البول، وجوزوا إذا بال في إناء ثم صبه، قال النووي: وهو أقبح ما نقل عنه في الجمود على الظاهر. اهـ.

وكذلك لا ينغمس في الماء الدائم إذا كانت به نجاسة، لا سيما إذا كان الماء قليلاً وربما أدى إلى تنجسه). اهـ من شرحي على صحيح مسلم.

(١) حديث رقم: (٢٨١).

٣٥٣ - باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

١٧٧٣ - عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ أباه أتَى بِهِ رسُولَ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلامًا كَانَ لِي، فقال رسولُ الله ﷺ: «أكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فقال: لا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فَارْجِعهُ».

وفي روايةٍ: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أفَعَلْتَ هذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قال: لا، قال: «اتَّقُوا اللهَ واعْدِلُوا فِي أوْلادِكُمْ»، فَرَجَعَ أبي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي روايةٍ: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» فقالَ: نَعَمْ، قال: «أكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذا؟» قال: لا، قال: «فَلَا تُشْهِدْنِي إذًا؛ فَإنِّي لَا أشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ».

وفي روايةٍ: «لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ».

وفي رواية: «أشْهِدْ عَلَى هذَا غَيْرِي»، ثُمَّ قال: «أيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إلَيْكَ في البِرِّ سَواءً؟» قال: بَلَى، قال: «فَلا إذًا». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا حديث جميل، ساقه المصنف مع رواياته المفيدة، وفيه الدعوة إلى العدل بين الأبناء، لا نقول: المساواة؛ لأن العدل هو المطلوب، لا سيما في العطايا العامة، فربما كان أحد الأبناء صغيرا يكفيه الشيء اليسير، لجعالته، أو للباسه، أو لسفره، أو لعلاجه، أو لغير ذلك مما يُعطاه الناس، والآخر قد يكون كبيرا، يحتاج إلى أكثر.

فمثلا: لو أن رجلا له سعة وكان له ابن صغير يحتاج إلى دراجة هوائية، والآخر كبير ربما كانت له أسرة، يحتاج إلى سيارة، وهو من أصحاب اليسار، نقول: اعط هذا سيارة وهذا سيارة؟ هذه مساواة، والإسلام لم يأت بالمساواة، إلا في مواطن، وإلا فالأصل العدل، فمن العدل أن يُعطى هذا دراجة وأن يعطى هذا سيارة، إلى غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

(أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟) إلا إذا كانت النحلة أمر ثابت يصلح لهذا ولهذا، فعند ذلك يلزمك العدل والمساواة.

(فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: فَأَرْجِعهُ) يعني: أرجع هذا الغلام الذي كنت قد وهبته إلى ولدك، وفيه دليل على العود في الهبة إذا كانت جائرة، أو العود في الهبة إذا كان فيما وهب الأب ابنه.

وقوله: (أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) على الإنكار.

(قال: اتَّقُوا اللهَ): راقبوه بفعل المأمور، وترك المحظور، والصبر عن المقدور.

(واعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ) ذكورا وإناثا.

(فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ) سماه جورا، وهو الظلم والمجاوزة.

وفيه أن النبي ﷺ كان بعيدا عما يخالف الشرع، ملامسة، أو إقرارا، أو شهادة، أو نحو ذلك.

(أَشْهِدْ عَلَى هذَا غَيْرِي) هل هذا على الأمر والتقرير والرضا؟ لا، هذا على الإنكار، كما يقول الأب لابنه: اذهب وابحث لك عن أب غيري، يعني إذا أغضبه ولده أو ضيق عليه في أمر.

(ثُمَّ قال: أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي البِرِّ سَواءً؟) تحب أن يدعو لك سويا، أن يخدموك سويا، أن يطيعوك سويا، إذًا فأحسن إليهم؛ حتى لا تضيق صدورهم، فإن الشيطان حريص، لا سيما الأبناء إذا كانوا لضرات، تجد تحسسات كثيرة، لا سيما إذا دخلت الأمهات في المسألة.

وإلا لو أن الأمهات تسلك مسلك النصح حتى وإن وقع من الأب خطأ ومجاوزة تقول له: اصبر، أباك، وإن الله لا ينساك، ومن هذا الكلام، فإذا جلس الأب معها عاتبته بالرفق واللين.

لكن الواقع أن كثيرا من النساء على خلاف ذلك، تقول: أصلا هو ما يريدك، ما يحبك، هو ما يرى إلا أولئك.

وهذا ليس بالجديد في عصرنا، هذا قد حصل في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، في قصة أبي موسى رضي الله عنه: عطس عنده أحد أبنائه، فقال: الحمد لله، قال: يرحمك الله، ثم عطس الآخر، فلم يقل: الحمد لله، فلم يشمته، فرجع الابن إلى أمه فقال: يا أمي عطس فلان فشمته، وعطست أنا فلم يشمتني، فلما رجع قالت له: أنا قد علمت أنك شمت فلانا لأنه ابن فلانة، وعطس ولدي ولم تشمته، قال: ليس كما تقولين، إنما ابن فلان حمد الله فشمته، وابنك عطس لم يحمد الله لم أشمته، ورسول الله ﷺ قد قال كذا، وذكر لها الحديث.

وهكذا عتب بعضهم على رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله لماذا عطس فلان فشمته وعطست أنا فلم تشمتني؟ قال: **«فلان حمد الله، وأنت لم تحمد الله»**.

وهذه القصة التي بين أيدينا: هو أن النعمان بن بشير أمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، يعني قالت لأبيه: لا بد أن تنحل ولدي شيئا، فنحله، فلما ذهب إلى النبي ﷺ أنكر عليه ما ترى.

٣٥٤ - باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

في هذا فوائد: أولًا: الإحداد للنساء وليس للرجال، وكثير من الناس الآن جعلوا الإحداد للنساء والرجال، بل للدول، إذا مات كبير قوم نكسوا أعلامهم، وعطلوا دوامهم، وشغلوا الإذاعات بالقرآن، وإحداد.

الإحداد ليس من شأن الرجال، الرجل يحزن، أما يحد هذا من شأن المرأة، فإن كان على زوج فحدد بأربعة أشهر وعشرا إن لم تكن حاملا، وإن كانت حاملة فعدتها بوضعها، وإن لم يكن زوجا فلها الرخصة أن تحد ثلاثة أيام.

والإحداد: هو ترك التزين، ترك التطيب، ترك الزواج للمرأة التي مات زوجها.

وكثير من الناس من الأخطاء في هذا الباب يعتقدون أن المرأة إذا رأت شخصا ليس من المحارم أو صافحها شخص ليس من المحارم، مع أنه لا يجوز أن يصافحها غير محرم، لكن هم يعتقدون أنه إذا صافحها غير محرم انتقضت العدة، ويلزمها عدة من جديد، هذا ما عليه دليل، العدة أُلزمت بها حقا لزوجها المتوفى، فإن قامت بها أجرت، وإن خالفت أثمت، أما أنه يلزمها العودة من جديد هذا لا دليل عليه، إلا إذا كانت عقدت عقد نكاح في حال عدتها فعقدها باطل.

وكثير من الناس يجهلون، أذكر أن أحدهم كانت له زوجة قد عقد عليها شابا فمات، مباشرة الأسبوع الثاني عقدوا بها على أخيه وروحها، زفوها إليه، يا جماعة هذا لا يجوز، هذا حرام، لكن الجهل.

فالمرأة التي يُعقد عليها ومات زوجها قبل أن يدخل بها لها المهر كاملا، وعليها العدة، ولها الميراث، هذا حكم الله، هذا شرع الله، فعلى الناس أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الباب.

والمرأة المعتدة يحرم عليها الطيب، والتجمل، والخروج من البيت إلا لحاجة، والزواج، هذه هي الأشياء التي تحرم عليها، وهكذا ما يلتحق به من الاكتحال، وما في بابه.

١٧٧٤ - عن زينب بنتِ أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أَوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلَاثٍ لَيَالٍ، إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».

قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلَاثٍ، إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا». متفق عليه(١).

الشرح:

أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اسمها رملة بنت أبي سفيان، وأبو سفيان اسمه صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(صُفْرَةُ خَلُوقٍ) شيء من الطيب.

(ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا) يعني من ذلك الطيب.

(ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ) يعني ليس لها حاجة؛ لزهدها، لورعها، لموت زوجها قبل ذلك، ونساء النبي ﷺ يحرم عليهن الزواج بعده.

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٢)، ومسلم (١٤٨٦).

وبعض النساء ربما تمتنع من زوجها والميت قد يكون من محارمها أو قد يكون من جيرانها ونحو ذلك، لا يجوز أن تمنع زوجها من نفسها، وهكذا بعض الناس يكون عندهم أعراس، فيأتي الموت، فيمتنعون من العرس، يؤخروه لشهر أو شهرين، أو نحو ذلك، وهذا أمر لا دليل عليه.

وبعضهم إذا جاء الموت غلقوا التلفاز، هذا أمر طيب، لو يكسرونه أحسن، يتخلصون منه، هذا البلاء وهذا الشر.

٣٥٥ - باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان، والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خطبته إلا أنْ يأذن أو يردّ

١٧٧٥ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وإنْ كانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ. متفق عليه(١).

الشرح:

الحكمة: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض».

١٧٧٦ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى الأَسْوَاقِ». متفق عليه(٢).

١٧٧٧ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ»، فقالَ لَهُ طَاووسٌ: مَا: لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا. متفق عليه(٣).

الشرح:

يعني بحيث يبايع، وكما يقال عندنا في المثل اليمني: يترجل له، أو نحو ذلك، لا يصلح، لا يصلح للحاضر أن يبيع للباد، خل البادي يبيع، قد يخف السعر ويستفيد منه الحاضر، أو قد يغلى السعر ويستفيد منه البادي، أما أن تتلقى الركبان ربما تشتري منه بسعر دون السعر الذي في السوق، فيُظلم صاحب البضاعة، أو ربما احتكرت وبعت بأغلى من السوق، فيُظلم المشتري، فالإسلام جاء بمنع الغرر؛ حفاظا على حق المشتري وعلى حق البائع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦١)، ومسلم (١٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦٥)، ومسلم (١٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦٣)، ومسلم (١٥٢١).

والنهي هنا على التحريم، وأما صحة البيع من عدمه فيعاد إلى صاحب السلعة إن غُبن وأراد فسخ العقد له ذلك، وإن أمضى العقد له ذلك.

١٧٧٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِيع الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا.

وفي رواية قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلأَعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أَخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ والتَّصْرِيَةِ. متفق عليه[1].

الشرح:

النَّجَش والنَّجْش، يقال هذا وهذا.

أما معاني الحديث:

(نَهَى رسولُ الله ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ) تقدم: صاحب المدينة يبيع لصاحب البادية، هذا منهي عنه.

(وَلَا تَنَاجَشُوا) النجش: هو أن تدخل في السلعة لا تريد شراءها، وإنما من أجل رفع ثمنها، فهذا حرام.

(وَلَا يَبِيع الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ) ما الفرق بين النجش وهذا؟ هذا يدخل في السلعة يريدها أصلا، اثنان كلاهما يريد سيارة، فيتبايعان في آن واحد قبل أن ينتهي الأول، أما بقولهم: ما أريد أبيع منك يا أخي، أو: قد بعت منك، بينما النجش: هو لا يريد السيارة، لا يريد البضاعة، إنما يريد أن يرفع سعرها، فكلاهما من المحرمات، بيع النجش وبيع الرجل على بيع أخيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠) (٢٧٢٧)، ومسلم (١٤١٣).

(وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ) وهكذا لا يقبل خطبة الآخر قبل أن يرد له خطبة الأول، فينبغي لأولياء الأمور إذا جاء إليهم خاطب ورغبوا فيه وكان قد خطب قبله أحدهم يردون الخطبة للأول، يقول له: ما بدا لنا أن نزوجها، أو: البنت ما رغبت، أو: البنت صغيرة.

كما قال رسول الله ﷺ لأبي بكر حين خطب فاطمة بنت محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال له: **«إنها صغيرة»**، وفعلا صغيرة بالنسبة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصغيرة في سنها بالنسبة لبقية النساء، فلما خطبها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زوجه إياها، أما أن يخطب على خطبة أخيه.

(وَلَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا)؛ لتستفرد بزوجها تقول: ما أريده إلا لوحدي، **(لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا)** هذا حرام، لا يجوز لها.

(نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التَّلَقِّي) أي: تلقي الركبان.

(وَأَنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلأَعْرَابِيِّ) أي: بيع حاضر لباد.

(وَأَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا) أي: ضرتها، المراد بمعنى طلاق أختها: طلاق ضرتها، وإلا ما واحدة تقول: طلق أختي، إلا إذا كانت من المفسدات، لكن المراد بالأخت هنا الأخت في الإسلام التي هي الضرة.

والرجل يكون عاقلا، ما هو تطلب منه الطلاق مباشرة يناولها طلاقا، هذا قصور.

(وأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أَخِيهِ) هذا هو البيع على بيع الأخ، أن يستام الرجل على سوم أخيه أي: أن يبيع على بيع أخيه، وقد تقدم.

(وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ) هذا هو المبايعة لا لقصد الشراء ولكن لقصد رفع السعر.

(والتَّصْرِيَةِ) والتصرية: هو حبس اللبن في ضرع الدابة، من بقرة، أو ناقة أو شاة، أو نحو ذلك مما يشرب لبنه، فإذا ما قدمت إلى السوق رأى أحدهم اللبن محفَّلا

مجتمعا فيظن أنها كثيرة اللبن، فيشتريها؛ لرغبته في لبنها، فإذا رجعت إلى بيته وإذا بها ليست من ذوات اللبن.

فعند ذلك له أن يردها، ويرد معها صاعا من تمر، الصاع من تمر مقابل اللبن الذي قد حلبه، وله أن يرضاها.

١٧٧٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم[1].

الشرح:

(إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ) يعني: يستأذن.

١٧٨٠ - وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يذَرَ». رواه مسلم[2].

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢).

(٢) حديث رقم: (١٤١٤).

٣٥٦ - باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

هذا باب عظيم، لا سيما في هذا الزمن المتأخر الذي لا يبالي الإنسان من أين أخذ المال وفيما أنفقه، وينبغي للإنسان أن يحصل المال من وجهه الشرعي، وأن ينفقه في الوجه الشرعي، وكما قال النبي ﷺ: «نِعم المال الصالح للرجل الصالح».

وبئس المال للرجل السيء، ربما يتخذه في المحرمات، كالزنا، واللواط، وشرب الخمور، وتعاطي المخدرات، وغير ذلك من البلايا والرزايا.

ومنهم من يُسرف في إنفاق المال، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٤١]، ومنهم من يبخل، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [سورة محمد:٣٨] ، ومنهم مقتصد، وهم أهل السلامة.

١٧٨١ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإِضَاعَةَ المَالِ».

رواه مسلم[1]، وتقدم شرحه.

الشرح:

فيه إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، فيرضى التوحيد، ويكره الشرك والتنديد، ويرضى الاعتصام بالكتاب والسنة، ويكره الفرقة، ويرضى إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ، (وَيَكْرَهُ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإِضَاعَةَ المَالِ).

(١) حديث رقم: (١٧١٥).

١٧٨٢ - وعن ورَّادٍ كاتب المغيرة، قال: أَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ».

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه[1]، وسبق شرحه.

الشرح:

وهذا حديث عام في كثير من المنهيات، مبدؤه في الذكر بعد الصلاة، وفضيلة لا إله إلا الله، ومنزلة الإيمان بالقدر، وخاتمته ما كان ينهى عنه ربنا عَزَّوَجَلَّ من قيل وقال، لا سيما الغيبة والنميمة والبهت، وغير ذلك من كلام الناس، الذي شره أكثر من خيره.

وقد تكلم النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (الأذكار): أن الكلام إذا كان في طاعة فهو محبوب، وإن كان في معصية فهو محرم، وإن كان مباح فالسكوت أولى من الكلام، فكيف إذا كان الكلام بالزور والفجور؟

(وَإِضَاعَةِ المَالِ) بالميسر، بالقمار، بالربا، في غير ذلك من أوجه الإضاعة التي يتعاطاها الناس الآن، لا يبالي من أين حصل المال ولا أين أنفق المال.

(وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ) هذا من كبائر الذنوب وعظيم الآثام، وقد تقدم البيان له مرارا، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، لا سيما الأم، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **«أمك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أمك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أمك»**، قال: ثم من؟ قال: **«أبوك»**.

---

(١) انظر الحديث (١٤١٦).

(وَوَأْدِ الْبَنَاتِ): قتلهن أحياء، ويشبهه الإجهاض، وهو وأد، إن كان قبل النفخ كان أهون، وإن كان بعد النفخ يخشى أن يصل إلى درجة القتل، وقد حرمه العلماء، ومن أباح أباح منه إذا تُيقن هلكت الأم، قبل نفخ الروح.

أما بمجرد إرادة المرأة للإجهاض فهذا حرام ومنكر، فلا يجوز تعاطي هذا الأمر، حتى ولو كانت زنت وتقول: تستر نفسها لا يجوز لها ذلك، إجهاض النفس.

وأسوأ منه: القيام بقتله بعد خروجه حيا؛ للتخلص من العار زعموا، فكبيرة تجر إلى كبيرة، فنسأل الله السلامة والعافية، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير:٨-٩].

وأيضا ينهى عن **(وَمَنْعٍ وَهَاتِ):** منع ما وجب عليك، وأخذ ما حرم عليك، فالإنسان لا يمنع ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ في ماله، وهكذا لا يكثر السؤال لغير ما حاجة متعينة تلجئه إلى ذلك، والله المستعان.

٣٥٧ - باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه، سواء كان جاداً أو مازحاً، والنهي عن تعاطي السيف مسلولا

وسيأتي بيان الحكمة: أن الشيطان ربما ينزغ في يد الإنسان، فيقع في حفرة في جهنم، والله المستعان.

١٧٨٣ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «لَا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ». متفق

وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

قوله ﷺ: «يَنْزِع» ضُبِطَ بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها[٢]، ومعناهما: مُتَقَارِبٌ، وَمَعنَاهُ بالمهملةِ: يَرْمِي، وبالمعجمةِ أيضًا يَرْمِي وَيُفْسِدُ، وَأَصْلُ النَّزْعِ: الطَّعْنُ وَالفَسَادُ.

الشرح:

(لَا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ) أي المسلم.

(بِالسِّلَاحِ) سواء كان السلاح الناري المشهور الآن، أو السلاح الأبيض كالسكين والسيف، وما في بابه.

(فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ) يعني ينزغ في يده أو في قلبه، فيكون منه القتل.

(فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) يستحق هذا الوعيد العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٦).

(٢) ينزَغ وينزِع.

وفي اللفظ الآخر: **(مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ)** أي المسلم **(بِحَدِيدَةٍ)** ولو سيارة، بعضهم يمزح عليه يدهف عليه بالسيارة.

(فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) لا يمزح في هذا الباب، باب السلاح لا مزح فيه، لا مع الأخ القريب ولا مع الأخ البعيد، حتى أنه لا يجوز للمعلم أن يستخدم الأسلاك الكهربائية التي فيها على الألمنيوم، أو فيها النحاس، أو هذا الذي يصنع منه الأسلاك؛ لعموم النهي.

١٧٨٤ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولًا. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن[(١)].

الشرح:

يعني: يخرجه من غمده ثم يناول صاحبه، لعله أن يسقط فيجرحه أو يقتله، إلى غير ذلك، ومثله أيضا السلاح الناري لا يُناول وفتحته إلى الشخص، ربما كان فيه ذخيرة فيضغط فتخرج في صدر المتناوِل.

وهذا من سد ذرائع القتل والفتن، وهذا من عظيم شأن الإسلام، أنه يحرم الشر، ويحرم ما يؤدي إليه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٨٨)، والترمذي (٢١٦٣).

٣٥٨ - باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

١٧٨٥ - عن أبي الشَّعْثَاءِ، قالَ: كُنَّا قُعُودًا مَع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فقال أبو هريرة: أَمَّا هذَا فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ. رواه مسلم[1].

الشرح:

أبو الشعثاء: جابر بن زيد.

أما إذا خرج لحاجة كالوضوء ونحو ذلك فلا حرج.

قلت في شرحي على صحيح مسلم: قوله: **(فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يَمْشِي)** لعله خرج لغير حاجة، ولهذا أنكر عليه أبو هريرة، أما من خرج لحاجة فلا حرج، كأن يكون يريد أن يتوضأ أو يحتاج إلى ذلك فإن النبي ﷺ خرج من المسجد بعد أن أقيمت الصلاة.

(فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ) كالمستنكر لهذا الصنيع.

(فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَّا هَذَا، فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ) وهذا دليل على المنع من هذا الصنيع إلا لحاجة، وفيه كراهية الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي المكتوبة إلا لعذر). اهـ

(١) حديث رقم: (٦٥٥).

٣٥٩ - باب كراهة رد الريحان لغير عذر

يعني: كأن يكون فيه تحسس، فلا بأس أن يرد الريحان والطيب إن كان يضره، «**لا ضرر ولا ضرار**»، أما إذا كان لا ضرر عليه فلا يرده؛ لأنه «**طيب الريح خفيف المحمل**».

وكسر نفس المسلم ثقيلة، فإن استطعت أن تقبل منه ثم تمسحه في ثوب أو في منديل ونحو ذلك.

١٧٨٦ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدَّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ». رواه مسلم[١].

١٧٨٧ - وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاري[٢].

وهذا على الاستحباب لا الوجوب.

---

(١) حديث رقم: (٢٢٥٣).

(٢) حديث رقم: (٢٥٨٢).

٣٦٠ - باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه، وجوازه لمن أمِنَ ذلك في حقه

١٧٨٨ - وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَة، فقالَ: «أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهْرَ الرَّجُلِ». متفق عليه[1].

(وَالإِطْرَاءُ): المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ.

الشرح:

أما إذا احتِيج إلى بيان بعض فضله ومنزلته؛ لرد على طعون أهل الباطل فيه، أو لبيان أهليته للشهادة ونحو ذلك، أو لتزكيته في زواج و ما في بابه، فلا حرج أن يثنى عليه، ويقول: أحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا.

١٧٨٩ - وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلًا ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فقال النبيّ ﷺ: «وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» يَقُولُهُ مِرَارًا: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّى عَلَى اللهِ أَحَدٌ». متفق عليه[2].

الشرح:

والمتأمل في القرآن والسنة كم يجد من المدح من ربنا عَزَّوَجَلَّ ومن نبينا صل الله عليه وسلم لخلص المؤمنين، وللصحابة الصالحين، وهكذا كم يجد من الذم للكافرين والمنافقين، فالمدح قد يُحتاج إليه، لكن للحاجة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٣)، ومسلم (٣٠٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠).

والأصل أن يُثنى على الرجل في غيبته، إما لدفعٍ لما اتهم به، أو لبيان فضله حتى يستفاد منه، فإن احتيج إلى مدحه في وجهه يبين أن الله حسيب الجميع.

١٧٩٠ - وعن همام بن الحارث، عن المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْثو في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ. فقالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». رواه مسلم[1].

فهذِهِ الأحاديث في النَهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أَنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لَا يَفْتِنُ، وَلَا يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلَا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلِكَ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإبَاحَةِ قَولُهُ ﷺ لأبي بكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[2] أيْ مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الآخر: «لَسْتَ مِنْهُمْ»[3]، أيْ: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلَاءَ.

وَقَالَ ﷺ لعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ

والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ، وقد ذكرتُ جملةً مِنْ أطْرَافِهَا في كتاب (الأذكار).

الشرح:

(فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ) أي زجرا له وإهانة لفعله.

---

(١) حديث رقم: (٣٠٠٢).

(٢) انظر الحديث (١٢١٦).

(٣) انظر الحديث (٧٩١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)، من حديث سعد ابن أبي وقاص.

(أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) وهذا من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدم شيء من ذلك.

(لَسْتَ مِنْهُمْ) وذلك أنه كان يتعهد إزاره فيسقط، فخشي أنه يدخل في قول النبي ﷺ: **«ما أسفل من الكعبين ففي النار»**، **«من جر إزاره جره في النار»**، فقال له النبي ﷺ: **«لست منهم»**.

وهكذا إخبار النبي ﷺ عن العشرة المبشرين بالجنة، وإخبار النبي ﷺ عن فضائل كثير من الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

(مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) وهذا في وجهه؛ لعلمه بحال عمر، وانظر إلى عمر بن الخطاب في حال موته وهو يقول: ليتني أخرج منها كفافا، لا لي ولا علي؛ لأنهم عرفوا الله، وعرفوا قدر أنفسهم، مع صلاحهم صلاحهم من الله، مع شهادة النبي ﷺ لهم بالجنة فضل من الله، فالأمر إلى الله.

باب هذه الأحاديث أبواب التعديل لأهل الحق، وباب الذم أبواب الجرح لأهل الباطل، وقد ذكر منها شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ جملا في عدة من كتبه، سواء (الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين)، أو كذلك (صعقة الزلزال على أهل الرفض والاعتزال)، أو كذلك (نشر الصحيفة في بيان الصحيح من أقوال أهل العلم في أبي حنيفة).

والناس في باب الجرح والتعديل ينقسمون إلى طرفين وسط: فبعضهم يجرح ما ليس بأهل للجرح، بل ربما كان لسانه يثلب في أهل الاستقامة وأهل الديانة وأهل الصيانة، وهؤلاء غيبتهم أشد من غيبة غيرهم، فكلما كان الإنسان أطوع لله عَزَّوَجَلَّ كانت غيبته أشد، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام وغيره.

القسم الثاني: من كان جرحه لأهل الباطل وتعديله لأهل الحق، فهذا ممدوح إن كان بالعدل والإنصاف.

والقسم الثالث: قوم لا يلتفتون إلى باب الجرح والتعديل، كل الناس عندهم على خير، فيقع عليهم الغرر، لا سيما في دعوتهم، لا سيما في دينهم، فلا بد من بيان حال المبطلين، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٥] ، ولا بد من بيان حال المؤمنين، لأرسلن إليكم رجلا أمينا جد أمين، وأرسل إليهم أبا عبيدة بن الجراح.

٣٦١ - باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [سورة النساء:٧٨] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥] .

الشرح:

الآية الأولى فيها التصبير على المرض، إذا وقع في بلد امكث وارض بما قدر الله، وفرارك لن ينجيك من قدر الله عَزَّوَجَلَّ، كما أن بقاءك لن يردك ما لم يقدره الله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر إليه، إن شاء مرضت وإن شاء عوفيت، وإن شاء مرضت ومت وإن شاء سلمت.

والآية الثانية (﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾) إذا كان هناك مرض وتتخوف من وقوعه، وهناك دلائل على أن من أسباب انتقاله الخلطة، فلا تذهب إليهم.

١٧٩١ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الشَّامِ حَتَّى إذا كَانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأَصْحَابُهُ - فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ.

قَال ابن عباس: فقال لي عمر: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعضهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأَصْحَابُ رسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاء، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كاخْتِلَافِهِمْ، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ.

فَنَادَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عليْهِ، فقال أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفِرارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فقالَ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَةَ - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ - نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَو كَانَ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ: إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟

قَالَ: فَجَاءَ عَبدُ الرَّحمانِ بنُ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حاجَتِهِ، فقالَ: إِنَّ عِنْدِي من هَذَا علمًا، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بأَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرارًا مِنْهُ»، فحمِدَ اللهَ تَعَالَى عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانصَرَفَ. متفق عَلَيْهِ[1].

و (العُدْوَة): جانِب الوادِي.

الشرح:

(الوَبَاءَ): الطاعون.

(ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ) فيه فضيلة أهل السابقية في العلم والإيمان والإسلام، وفيه إنزال الناس منازلهم.

(ادْعُ لِي الأَنْصَارَ) فيه تكرار المشورة، والمستشار مؤتمن.

(فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ) سبحان الله! مع أنهم ممن تأخر في الإسلام، وممن تأخر في اللحوق بدار هجرة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن لكبر سنهم كانت مشورتهم واتفاقهم على نصح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ) يعني: راجع إلى المدينة.

(أَفِرارًا مِنْ قَدَرِ الله؟) يعني: تفر من المرض؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

(لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَةَ) لأن أبا عبيدة كان من أصحاب الفضل، من العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، بل ذكروا: لو كان أبو عبيدة حيا بعد عمر لكان الخليفة.

(نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ) يعني: الذهاب إلى الشام من قدر الله، والرجوع إلى المدينة من قدر الله، فالله عَزَّوَجَلَّ كما جعل الدخول بين المرض من أسباب وقوعه جعل البعد عن المرض من أسباب السلامة.

(وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ) أي: طريقان وجانبان.

(أَلَيسَ إنْ رَعَيْتَ الخصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟) هذا استدلال من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقياس أو بمثل قبل أن يعلم بالدليل الشرعي، وسيأتي الدليل.

(فَجَاءَ عَبدُ الرَّحمانِ بنُ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**)** أحد العشرة المبشرين بالجنة.

١٧٩٢ - وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وأَنْتُمْ فِيهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

وعلى هذا قاسم من قاس الدخول على المجتمعات في مرض كورونا؛ لأنها وإن لم تكن طاعونا بنص إلا أن فيها شبه من الطاعون، من حيث انتشارها، ومن حيث قوتها على المصابين بها.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).

٣٦٢ - باب التغليظ في تحريم السحر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] .

الشرح:

فكان كفرهم شركهم بالله، وكان كفرهم بتعليم السحر، وقد تقدم مرارا.

١٧٩٣ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ». قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ؛ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عَلَيْهِ[1].

وقد تقدم وتقدم الكلام عليه.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

٣٦٣ - باب النهي عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو

١٧٩٤ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ. متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

أي: مخافة أن يناله العدو ويقوم بامتهانه، فمثلا: لو أن رجلا من الكفار أراد منك مصحفا ليقرأ فيه ولعله أن يسلم ورجوت ذلك فلا بأس أن تعطيه، فإن النبي ﷺ قد أرسل ببعض آية إلى هرقل وإلى الملوك، لكن إن خشيت أن يقوم بإحراقه وامتهانه فلا يجوز أن تعطيه، وهذا معنى قول النبي ﷺ في الحديث المرسل: **«لا يمس القرآن إلا طاهر»**، أي: إلا مسلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).

٣٦٤ - باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

قيل: لأنهما عملة، وقيل: رفقا بقلوب الفقراء، وقيل: حتى لا يقع المستعمل لها في البطر، إلى غير ذلك.

١٧٩٥ - عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ» متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم: «إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ».

١٧٩٦ - وعن حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النبيَّ ﷺ نهانا عنِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وقالَ: «هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ». متفق عَلَيْهِ[2].

وفي رواية في الصحيحين عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَا تَلْبسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا».

الشرح:

الحرير جعله الله للإناث في هذه الدنيا، ورخص فيها لمريض ونحوه، وهي لباس المؤمنين في الجنة، والديباج نوع من الحرير، وهكذا نهى على الشرب في آنية الذهب والفضة، سواء كان المشروب ماء أو غير ذلك.

وعلل لو استدل بشراب الكفار فيهما قال: (هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ).

حتى المصبوغ بماء الذهب والمصبوغ بماء الفضة يُبتعد عنه.

---

(١) انظر الحديث (٧٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٢)، ومسلم (٢٠٦٧).

١٧٩٧ - وعن أنس بن سِيرين، قَالَ: كنتُ مَعَ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ، فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلَى إنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ، فَقِيلَ لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلَى إناءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأَكَلَهُ. رواه البيهقي بإسناد حسن.

(الخَلَنْج): الجفْنَةُ.

الشرح:

(فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ) يعني: نوع من الطعام، حلوى.

بمعنى: أن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبى أن يأكل في صحيفة فضة أو صحيفة ذهب، وهذا دليل على أن النهي للتحريم، وبعض الناس الآن ربما يعمل له حنفية من الذهب، وربما يعمل ملاعقا من الذهب، وأمور يندى لها الجبين في مخالفة شرع الله، وفي مخالفة دين الله، والله المستعان.

كبرا وتعاليا وتفاخرا، وكل هذا من أسباب الذل والهوان.

٣٦٥ - باب تحريم لبس الرجل ثوباً مزعفراً

يعني: ضُرب بالزعفر.

١٧٩٨ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى النبيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرجُل. متفق عَلَيْهِ[١].

١٧٩٩ - وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رأى النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذا؟» قلتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

وفي رواية، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا». رواه مسلم[٢].

الشرح:

هذا الحديث فيه النهي عن التزعفر أو التعصفر، وهو: صبغ الثوب بالأصفر وبالزعفر.

وفيه أيضا: الإنكار على من لبس ما يخالف الشرع.

وفيه جواز إتلاف المال في حق من خالف الشرع؛ تأديبا.

وفيه النهي عن التشبه بالكفار في ألبستهم وفي غير ذلك، والله المستعان، هذا في رجل واحد، في شاب واحد، كيف لو كان في زمننا هذا؟ وتجد النساء قد خالفت شعيرة الله في اللباس، وتجد الرجال قد خالفوا شعيرة الله في اللباس، وتجد الشباب قد خالف شعيرة الله في اللباس، ولا تجد صاحب اللباس الشرعي بينهم إلا كالشاذ، نسأل الله السلامة والعافية.

حتى أن بعضهم جعل صاحب اللباس الشرعية هو صاحب لباس الشهرة، يعني فيما جاء في النهي عن لباس الشهرة، فزعموا أن لبس الجبة يعتبر من لباس الشهرة، أو لبس العمامة من لباس الشهرة، وليس بصحيح، ما كان من لباس النبي ﷺ فليس من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٤٦)، ومسلم (٢١٠١).

(٢) حديث رقم: (٢٠٧٧).

لباس الشهرة، سواء ا لبسته في بلد يلبسونه أو لبسته في بلد ليس إلا أنت، الشهرة: ما خالف شرع الله وخالف هدي رسول الله ﷺ.

٣٦٦ - باب النهي عن صمت يوم إلَى الليل

١٨٠٠ - عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَومٍ إِلَى اللَّيْلِ». رواه أَبُو داود بإسناد حسن[(١)].

قَالَ الخَطَّابِيُّ في تَفسيرِ هَذَا الحديث: كَانَ مِنْ نُسُكِ الجَاهِلِيَّةِ الصُّمَاتُ، فَنُهُوا في الإسْلَامِ عَن ذَلِكَ، وأُمِرُوا بالذِّكْرِ وَالحَدِيثِ بالخَيْرِ.

الشرح:

(لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ) أي: أن من بلغ الحلم رُفع عنه اسم اليتيم.

(وَلَا صُمَاتَ يَومٍ إِلَى اللَّيْلِ)؛ لأن هذا من طريقة النصارى، ليس من صفات المسلمين.

فمن أراد أن يصوم يصوم بغير السكوت، يصوم عن الطعام والشراب، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أما أن يصوم بما لم يشرعه الله كصوم بعضهم عن تزوج النساء، أو كصوم بعضهم بالصمات، أو كحبس بعضهم لنفسه في الحر، أو كذلك لبس الصوف، ونحو ذلك.

١٨٠١ - وعن قيس بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى امْرأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: مَا لَهَا لا تتكلمُ؟ فقالوا: حَجَّتْ مصمِتةً، فقالَ لها: تَكَلَّمِي؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فتكَلَّمَتْ. رواه البخاري[(٢)].

الشرح:

فيه إنكار المنكر، وفيه تحريم التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما لم يشرع الله، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى:٢١].

---

(١) حديث رقم: (٢٨٧٣)، وذكر المحقق طرق الحديث.

(٢) حديث رقم: (٣٨٣٤).

٣٦٧ - باب تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتوليه إلى غير مواليه

أي رغبة عنه، وأما من ينتسب إلى غير أبيه من أجل الدنيا هذا عاصي، كما يفعله بعض من ينتسب إلى غير أبيه من أجل الجواز، أو الجنسية السعودية، أو جنسية خليجية، أو نحو ذلك من الجنسيات، فإن كثيرا من الناس يفعلون ذلك، هؤلاء عصاة، لكن لا يدخلون في مثل هذا الوعيد العظيم؛ لأن هذا فيمن رغب عن أبيه زهدا فيه، ورغبة أن ينتسب إلى غير أبيه، تفاخرا وتعاظما.

١٨٠٢ - عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». متفق عَلَيْهِ[١].

الشرح:

هذا على الوعيد، إما أنه في حق المستحل إن استحل ذلك صار من الكافرين بالاستحلال، أو أنه على الوعيد أن صاحبه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب وعظيم الآثام؛ لأنه إذا كفر نعمة أبيه فمن باب أولى أيضا أن يكفر نعمة الله، وفي الحديث: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

١٨٠٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ». متفق عَلَيْهِ[٢].

الشرح:

أي كفر دون كفر، هذا هو الأصل في هذه المسألة، ليس بالكفر المخرج من الإسلام، إلا إذا قارن ذلك الاستحلال لما حرم الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢).

١٨٠٤ - وعن يزيد بن شريكِ بن طارِقٍ، قَالَ: رَأيتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يقُولُ: لَا واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللهِ، وَمَا في هذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عِيرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَمَن ادَّعَى إِلَى غَيرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا».

متفق عَلَيْهِ[1].

(ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ) أيْ: عَهْدُهُمْ وأَمَانَتُهُمْ. (وأَخْفَرَهُ): نَقَضَ عَهْدَهُ.

(وَالصَّرْفُ): التَّوْبَةُ، وَقِيلَ الحِيلَةُ. (وَالعَدْلُ): الفِدَاءُ.

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه رد على الرافضة؛ لأنهم زعموا أن عند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ليس عند غيره من صحابة النبي ﷺ، فخطب الناس على المنبر، وأقسم لهم بالله بقوله: (لَا واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللهِ) لا الجفر، ولا مصحف فاطمة، ولا شيء اختصوا به دون البشرية، دون الأمة المحمدية.

(فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ) يعني ما فيها علم لدني، أو فيها علم اختصوا به دون بقية الصحابة، إنما فيها أسنان الإبل أي: التي تكون ديات في الجراحات، في القتل، في غير ذلك، مثلا: من قُتل متعمدا ففيه مائة من الإبل، ثلاثون في بطونها

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

أبناؤها، ومن قُطعت إصبعه ففيها عشر من الإبل، ومن أُتلفت أذنه ففيها خمسون من الإبل، وهكذا، ومن بُتر أنفه ففيه مائة من الإبل، الدية كاملة.

(وَأَشْيَاءُ مِنَ الجَرَاحَاتِ) التي تصيب الإنسان، مثل المُحْمَرَّة، والمسودة، والدامية، والشاجة، والجائفة، إلى غير ذلك، كل نوع من الجراحات له دية في الشرع.

(المَدِينَةُ حَرَمٌ): مدينة النبي ﷺ، حرم: حرمها الله على لسان رسوله كما حرم إبراهيم مكة.

(مَا بَيْنَ عَيْرٍ) أنت إذا دخلت المدينة من جهة ذي الحليفة تشاهد عن يمينك وأنت داخل جبلا مثل ظهر الحمار، عِير، يعني سمي بهذا الاسم؛ نسبة إلى الحمار، فجبل مثل ظهر الحمار، هكذا يمتد، إذا أنت تمشي من عنده كأنه يأتيك مثل السهم.

(إِلَى ثَوْرٍ): جبل صغير خلف أحد، جهة المجاري الآن، خلف أحد، يكون أحد عن يمينك وأنت خارج من المدينة، وإذا كنت داخلا يكون ثور خلفك وأحد عن يسارك.

(فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا) يعني من الأحداث الكبيرة العظائم.

(أَوْ آوَى مُحْدِثًا) من القتلة والمجرمين، والخوارج، ومن إليهم.

(فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وهذا دليل على عظم هذا الذنب، يلعنه الله، وتلعنه الملائكة، ويلعنه اللاعنون.

(لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا) يعني: توبة، **(وَلَا عَدْلًا):** فداءً لهذا الجرم الذي فيه انتهاك لحرمة المدينة، وقد جاء في الحديث: **«من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»**.

(ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ) يعني: رجل من الكافرين أو من غيرهم في حرب مع المسلمين أجاره مسلم ينبغي على المسلمين جميعا أن يقبلوا مجورة ذلك المسلم، ويبقى في جواره إلى أن يظهر منه ما يؤدي إلى الخروج من الجوار، والنبي ﷺ قد

قال لأم هاني وهي امرأة من المسلمين: «قد أجرنا من أجرت يا أم هاني»، حين زعم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قاتل ذلك الرجل.

وهكذا (ذِمَّةُ المُسْلِمينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ) ولو كان عبدا من عبيدهم، ولو كان صغيرا ما دام مكلفا.

(وَمَن ادَّعَى إِلَى غَيرِ أَبيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيرِ مَوَاليهِ) هذا هو الشاهد أن يُدَّعى إلى غير أبيه رغبة في أبيه، أو ينتمي إلى غير مواليه: إلى غير عشيرته وأهله رغبة فيهم، وزهدا فيهم (فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعينَ).

١٨٠٥ - وعن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بالكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُو اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ». متفق عَلَيْهِ، وهذا لفظ رواية مسلم[1].

الشرح:

(وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ) أما إذا كان لا يعلم فانتسب إلى غيره لا يقع في الكفر.

انظر (وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ) من الأموال، أو الأراضي، أو العقارات، أو غير ذلك، تدعي ما ليس لك، أو كتاب تنسبه إلى نفسك وليس بتأليفك وليس بتصنيفك، وإنما تتشبع به، إلى غير ذلك.

(وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بالكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُو اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)؛ لأنه لا يجوز تكفير للمسلمين إلا بوجه شرعي، المرء إذا دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).

وبهذا تعلم ضلال الخوارج ومن إليهم الذين يتجرؤون على تكفير المسلمين بمطلق المعصية، والله المستعان، فمن كفر مسلما رجع التكفير عليه، قيل: بأنه يكفر هو، وقيل: بأنه مستحق للوعيد، وقيل غير ذلك، ولا يكفر إلا إذا استحل تكفير المسلم الذي عُلم إسلامه يقينا استحلالا لشرع الله ولدين الله.

٣٦٨ - باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عَزَّوَجَلَّ أو رسوله ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣] .

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة آل عمران:٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [سورة البروج:١٢] .

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود:١٠٢] .

الشرح:

نسأل الله السلامة والعافية، هذا الوعيد العظيم على من خالف أمر الرسول الكريم، وأمر الرب العظيم قبل ذلك، (﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾) فإنه مطلع على ظواهركم، ومطلع على بواطنكم، لا تخفى عليه خافية.

والفتنة التي حذرنا الله منها قد تكون: أن يُصرف عن الهدى، عن السنة إلى البدعة، (﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) إما في الدنيا وإما في الآخرة.

(﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾) بالظالمين المتجاوزين لشرع الله.

(﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾) «ويملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»، والله المستعان.

١٨٠٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ: أَنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ». متفق عليه[1].

الشرح:

فيه: إثبات صفة الغيرة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، كما يليق بجلال الله وعظيم وسلطانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]، فلا نسلك سبيل الممثلة الذين يزعلون أن صفات الله كصفات المخلوقين، ولا سبيل المعطلة الذين يعطلون الله مما ثبت لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكن نسلك سبيل السلف الصالحين، والأئمة المهتدين، الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

(وَغَيْرَةُ اللهِ: أَنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ) وفي خطبة النبي ﷺ: **«يا أمة محمد لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته»**.

---

(١) انظر الحديث (٦٤).

٣٦٩ - باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهياً عنه

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [سورة آل عمران:١٣٥-١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [سورة النور:٣١] .

الشرح:

(﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾) وتب إليه، وارجع إليه، لعله أن يتجاوز عنك، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢].

(﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾) ربهم بفعل المأمور وترك المحظور.

(﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾): وقعوا في معصية بسبب وسوسة الشيطان، وإغواء الشيطان.

(﴿ذَكَرُواْ﴾) الله عَزَّوَجَلَّ، وأمره ونهيه.

(﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾): تائبون رجَّاعون.

(﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾): معصية، (﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾) بمعاصي وكبائر (﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾) وتابوا إليه، (﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾) بلسان حالهم ومقالهم، يقول: أستغفر الله وهكذا يرجع إلى الله، (﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾) ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢] .

(﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾) من المعاصي والسيئات، والبلاوى والموبقات، (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) والنبي ﷺ قد قال: **«ويل لأقمع القول الذين يصرون على ما فعلو وهم يعلمون»**، فمن طريقة سبيل المؤمنين: التوبة وعدم الإصرار، وقديما قيل: لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.

(﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) الذين تقدم ذكرهم (﴿جَزَآؤُهُمْ﴾): ثوابهم (﴿مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾) ستر وتجاوز، (﴿وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) الكثيرات، من عسل ولبن وماء، ونحو ذلك، (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾) لا مقطوعة ولا ممنوعة، (﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾): نعم الأجر أجر العاملين، نعم الثواب ثواب العاملين بطاعة رب العالمين.

(﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) من كل ذنب ومعصية، من صغائر وكبائر، فالتوبة واجبة من كل ذنب، كما قال العلماء رحمة الله على أمواتهم وحفظ الله لأحيائهم.

١٨٠٧ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاَّتِ وَالعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ». متفق عليه[1].

الشرح:

بمعنى: كما قال النبي ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»، والله المستعان.

بهذا نكون قد انتهينا من كتاب المنهيات في هذه الليلة الموافقة للواحد والعشرين من شعبان، لعام أربع وأربعين وأربعمائة وألف، والحمد لله رب العالمين.

لو أن طالبا يتقن هذا الباب كم سيعطي من خطب! وكم سيعطي من محاضرات! وكم سيعطي من توجيهات! جمع فيه النووي جمعا ليس باليسير في المنهيات، ما نهى الله عنه، وما نهى عنه رسوله ﷺ، ذكر المهمات منه، هذا الباب شبيه بكتاب (الكبائر) للذهبي، وما في بابه، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

كتاب المنثورات والمُلَح

المنثورات: الأحاديث التي لا تتقيَّد بباب خاص.

والمُلَح: جمع مُلحة: ما يُستملح ويُستعذب من الأحاديث.

٣٧٠ - باب أحاديث الدّجال وأشراط الساعة وغيرها

١٨٠٨ - عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فقالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا: يَا رسُولَ اللهِ، وَمَا لُبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَومًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ».

قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ، وَمَا إِسْراعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قال: «كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ، فَيَدْعُوهُم فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَولَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ

شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إلى حَيثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَومًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى عِيسَى ﷺ: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ.

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأَصْحَابُهُ ٪ إلى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأَصْحَابُهُ ٪ إلى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ ٪ إلى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ للأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيها تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رواه مسلم(١).

قولهُ: «خَلَّةً بَينَ الشَّامِ والعِراقِ» أي: طَرِيقًا بَيْنَهُمَا.

وقولُهُ: «عَاثَ» بالعين المهملة والثاء المثلثة، وَالعَيْثُ: أَشَدُّ الفَسَاد.

(وَالذُّرَى): بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأَسْنِمَةِ وهوَ جَمعُ ذِروةٍ بضمِ الذالِ وكَسْرها.

(وَاليَعَاسِيبُ): ذُكُورُ النَّحْلِ، (وَجِزْلَتَيْنِ): أَيْ: قِطْعَتَيْنِ.

(وَالغَرَضُ): الهَدَفُ الَّذي يُرْمَى إِلَيْهِ بالنَّشَّابِ، أَيْ: يَرْمِيهِ رَمْيَةً كَرَمْيَةِ النَّشَّابِ إلى الهَدَفِ، (وَالمَهْرُودَةُ) بالدال المهملة والمعجمة، وهي: الثَّوْبُ المَصْبُوغُ.

قَولُهُ: «لَا يَدَانِ» أَيْ: لَا طَاقَةَ.

(وَالنَّغَفُ): دُودٌ، (وَفَرْسَى): جَمْعُ فَرِيسٍ، وَهُوَ القَتِيلُ، وَ (الزَّلَقَةُ): بفتح الزاي واللام وبالقاف، وَرُوِي: الزُّلْفَةُ بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي المِرْآةُ.

(وَالعِصَابَةُ): الجَمَاعَةُ، (وَالرِّسْلُ) بكسرِ الراء: اللَّبَنُ، (وَاللِّقْحَةُ): اللَّبُونُ(٢)، (وَالفِئَامُ) بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعةُ.

(وَالفَخِذُ) مِنَ النَّاسِ: دُونَ القَبِيلَة.

الشرح:

هذا حديث من أوسع الأحاديث في قصة الدجال، وأوسع منه حديث أبي أمامة عند ابن ماجه، إلا أن حديث أبي أمامة ضعيف السند، ولكثير من ألفاظه شواهد،

(١) حديث رقم: (٢٩٣٧).

(٢) يعني الناقة اللبون، التي تحلب.

ذكرها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (قصة الدجال)، وقد يسر الله لي وله الحمد والمنة بتأليف كتاب قديم بعنوان: (تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال).

وهو رجل من بني آدم، من اليهود، يبدأ ويدعي النبوة، ثم يدعي الألوهية والربوبية، وضعفه ونقصه ظاهر في وجهه، **«مكتوب بين عينيه كافر»**، وسيأتي مزيد لأحاديثه، تم إن هيأ الله تكلمنا عليه جملة.

هذا أصح ما يكون في استيعاب قصة المسيح الدجال، وإلا كما أسلفت لكم حديث أبي أمامه أوسع من هذا الحديث، وأطول، وهناك أحاديث مثل حديث ابن عمر، إلا أن فيه كلام، أخرجه أحمد، وحديث جابر طويل، فيه كلام، أخرجه أحمد، لكن مجموع هذه الروايات مع ما في الصحيحين إن شاء الله ترتقي إلى الاحتجاج.

ونؤمن بهذا الحديث على ما دل عليه، ما يحتاج منا إلى تأويلات، وإلى رد فمثلا: يثبت نفس عيسى أنه النفس المعهود، ليس بمعنى التنفيس، بل النفس المعهود، جعله الله عَزَّوَجَلَّ لا يشمه أحد إلا مات من الكافرين.

وهكذا نؤمن بجنته، ونؤمن بناره، ونؤمن بأن معه جبال الخبز وجبال الماء، أمور يفتن بها أهل الفتنة، نسأل الله السلامة والعافية، وأما المسلم فكما قال النبي ﷺ: **«وَاللهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا»**[1]، وهكذا من سلم من الفتن التي قبله يسلم من فتنته، كما قال النبي ﷺ: **«ما من فتنة إلا وهي تهيء لفتنة الدجال، فمن سلم منها سلم من فتنة الدجال»**.

ومما يسلم بعد توفيق من فتنة الدجال: قراءة فواتح سورة الكهف، جاء عن أبي الدرداء في بعض الروايات قراءة خواتم سورة الكهف لكنها شاذة، شذ بها شعبة.

---

(١) أخرجه البزار في (مسنده)، حديث رقم: (٢٨٠٧)، عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) حديث رقم: (٣٠٦).

وهكذا مما يسلم من فتنة الدجال: الفرار منه في البوادي، وإغلاق الأبواب على النساء، من أمهات وأخوات وبنات، حتى لا يتبعن الدجال، كما جاء في حديث ابن عمر عند أحمد، وفي سنده ضعف، لكن له شواهد.

ومما يسلم منه: الدعاء، فانظروا كيف أمرنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله من فتنة الدجال، هكذا من رآه فليقل: حسبي الله ونعم الوكيل، وما ثبت من ذلك ويسلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومما يسلم من فتنته أيضا: سكنى مكة والمدينة، وجاء في بعضها أيضا بيت المقدس وجبل الطور، لكن سكنى مكة والمدينة أحاديثها في الصحيحين، وبيت المقدس وجبل الطور حديثه خارج الصحيح، وهو في (الصحيح المسند) لشيخنا مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وربما بعض أهل العلم يتكلم على هذه الزيادة، لكن كما ترون أن عيسى بن مريم يحرز المؤمنين إلى الطور من فتنة يأجوج ومأجوج.

ويأتي عيسى بن مريم إلى المسلمين وهم في بيت المقدس قد سلموا من فتنة الدجال، يصلي بهم، أو يصلي معهم، كما هو مذكور في غير ما موطن.

(فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا) نؤمن بهذا أيضا، أنه نشاب حقيقي، وأنه من السهام والحربة التي يرمى بها، ما يحتاج إلى تأويلات على أن هذه مثلا من الأسلحة الحديثة أو نحو ذلك، ما نحتاج إلى هذا، نحتاج أن نؤمن بالأحاديث كما جاءت.

وأيضا من الأحاديث: أن عيسى بعد ذلك يموت، ويصلي عليه المسلمون وتحصل أمنة في عهده، حتى يلعب الأطفال بالحيات، ويرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وهذا من بركة التوحيد، بركة التوحيد لا بركة مثلها، فأمنة الدنيا وأمنة الآخرة بالتوحيد.

حين ينزل عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحقق الناس التوحيد ولا يقبل منهم سوى ذلك تخرج الأرض بركتها، سواء ما تعطيه الأنعام من اللحم واللبن، أو ما يخرج من ثمار الأرض، فبركة التوحيد هي البركة التي تصلح بها الدنيا والآخرة، ويصلح بها الحال والمآل، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

وشؤم الشرك يقع معه كل بلية، إذا وقع الشرك في بلد حصل في هذا البلد أغلب الكبائر، أغلب أمور الجاهلية، وهكذا طوائف المشركين ضررهم بعظيم شركهم فانظر إلى فتنة الرافضة والباطنية ومن إليهم على المسلمين، بسبب ما هم عليهم الشرك، حين وجدوا إبراهيم رئيسي لعنه الله جعل صاحب الهلال الأحمر: يا حسين يا حسين يا حسين يا حسين، ما يعرفون الله.

أبو جهل أحسن منهم حالا، أبو جهل كان يشرك في الرخاء ويوحد في الشدة، أما هؤلاء في الشدة وفي الرخاء وهم يدعون الحسين من دون الله، بل كثير منهم لا يعرفون: يا لله، فاعتادت ألسنتهم اللهج بدعاء الحسين، فلذلك في أي شيء: حسين يا حسين، حتى كورونا تساقطوا في وحلها وهم يذهبون يتزاحمون: يا حسين، يطلبون السلامة.

حتى علق عليهم بعض السودانيين قال: أصحاب إيران لهم عشر ساعات يبحثون عن رئيسهم، لماذا ما يدعون الحسين يرده لهم؟ يعني كالمتهكم بهم، هم يقولون: الحسين يعلم الغيب، والحسين يرد الغائب، والحسين يخلق، والحسين يفعل ويفعل، خلاص، كان بإمكانهم: يا حسيناه، لكن لا أسوء منهم حالا، ولا أسوء منهم مآلا، إلا من كان مثلهم على شاكلتهم، وإلا حالا زنادقة، فجرة كفرة، ينطبق عليهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [سورة عبس:٤٢] ، وفي الآخرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥] .

وهم أعوان الدجال وأتباع الدجال، حتى أن الدجال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصفهان، السبعون الألف عندهم الآن، يؤذون أهل السنة، ويضيقون عليهم ويوسعون على اليهود ويكرمونهم، وبينهم وبين اليهود كثير من التجارات والمصالح لا تصدق هذه الدعايات التي تظهر بأنهم ضد اليهود وضد أمريكا التي هي الشيطان الأكبر، ما مكن لهم بعد تقدير الله عَزَّوَجَلَّ وما سلكه أهل السنة من القصور في الاستقامة إلا اليهود والنصارى، هم الذين جاؤوا بهم، وهم الذين يدفعون عنهم، وهم الذين يقومون عليهم.

ومما يعصم من الدجال أيضا: العلم؛ لما يأتي من حديث الشاب الذين قال: أنت الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، وهكذا البعد عن الفتن، والمبادرة بالأعمال الصالحات، ونحو ذلك من القربات، وملازمة أهل الصلاح.

١٨٠٩ - وعن رِبعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، قال: انطلقت مع أبي مسعود الأنصاري إلى حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما فقال له أبو مسعود: حَدِّثْنِي ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، قال: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ»، فقال أبو مسعود: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه[1].

الشرح:

في رواية: «**فليغمض عينيه، وليطأطع رأسه، ثم ليشرب، فإنه ماء طيب**»؛ لأنه إذا فتح عينيه ورأى النار تشتعل ربما يرهب من الدنو منها، لكن يغمض ويجد أن الشأن على برودة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

وهذا من رحمة الله للثابتين الموحدين المؤمنين، بينما أولئك الكفار الذين آمنوا بالدجال يتقادعون في جنته وهي نار، والعياذ بالله.

وفي الحديث السابق أن يأجوج مأجوج لم يخرجوا بعد، فمن ذهب إلى أن يأجوج ومأجوج هم الصين أو الهند أو روسيا أو أمريكا فهذا قول باطل ممجوج مردود، والله لو قال به من قال ما قبلناه منه، يأجوج ومأجوج يكون شأنهم من علامات الساعة الكبرى، والدجال من علامات الساعة الكبرى، فنؤمن بقصة الدجال كما قصها رسول الله ﷺ، لا يحتاج أن نخرج يمنة ولا يسرة.

والحربة التي يُقتل بها الدجال حربة حقيقية، ما هي كيماوي، ولا هي ذري، ولا قنبلة ولا شيء، حربة، هكذا يخبر النبي ﷺ، كيف نذهب ونقول: ما هي حربة؟

وهكذا مما يدل على أن خروج يأجوج ومأجوج يكون عند قيام الساعة: أنهم يمرون على بحيرة طبرية ويشربونها، أما هؤلاء الصين في بلدهم يشربون ويأكلون، وروسيا في بلدهم يأكلون ويشربون، وأمريكا في بلدها يأكلون ويشربون، لكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج:٤٦] .

في الزمن الماضي محمد رشيد رضا ذهب إلى أن الدجال رمز للخرافة، وكانوا يسمون محمد رشيد رضا سلفي، وتكلم عليه شيخنا مقبل وبدعه، وبين أنه بعيد عن السلفية، كيف الدجال رمز خرافة؟ الدجال أحاديثه متواترة في الصحيحين وفي غيرها، في الأخير رمز خرافة؟ وعيسى ابن مريم نزوله ما هو حقيقي عنده، إنما هو رمز للخير الإلهي الذي يكون في آخر الزمان.

أوه أوه من هذا التحريف لدلالة الكتاب والسنة الصحيحة، كتب الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه على أن يأجوج مأجوج الصين، رد عليه العلماء في حينه وخطأوه، حتى رجع في تفسيره إلى ما قرره أهل العلم، منذ بعث رسول الله ﷺ وإلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها عقيدة السلف عقيدة واحدة، ما تتغير ولا تتبدل، ولا تتأثر بالحضارة الجديدة ولا بالحضارة القديمة.

نحن عندنا الدجال: رجل من اليهود، يخرج ويمشي في الأرض أربعين يوما، أخبر الله على لسان رسوله ﷺ: أن اليوم كسنة أين الحضارة التي تستطيع أن تطيل اليوم كسنة؟ ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية الأيام كبقية الأيام.

لا نتلاعب بالنصوص، ولا نتجرأ على الكلام فيها بما لم يتكلم فيه السلف، بعض كلام والله يجعل الشعر يقشعر، والجسم يتشنج، كلام تأويل وتحريف، لا يجوز شرعا ولا عقلا، النبي ﷺ يتكلم بلسان عربي مبين: «يخرج الدجال»، واسمع لحديث عبد الله بن عمر بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

١٨١٠ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَومًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أو أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيسَ بَينَ اثْنَينِ عَدَاوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ريحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أو إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ.

فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وأَحْلامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاسُ حولَهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أو قالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ.

ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ؛ فَذَلِكَ يَومٌ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رواه مسلم[1].

(اللِّيتُ): صَفْحَةُ العُنُقِ، وَمَعْنَاهُ: يَضَعُ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَتَهُ الأُخْرَى.

الشرح:

(لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَومًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أو أَرْبَعِينَ عَامًا) قد تقدم في حديث النواس بن سمعان أنها أربعون يوما، لكن يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية الأيام كأيامنا.

(ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيسَ بَينَ اثْنَينِ عَدَاوةٌ) إلى هنا انتهى ما يتعلق بقصة الدجال، يقتله عيسى في باب لد، وأيضا ينماح كما ينحماح الملح، القول بأن انمياحه إنما هو بسبب الكيماويات هذا قول باطل، قول سمج، قول ماذا نقول فيه؟ إنما ينماح حين يرى مسيح الهدى فينماح مسيح الضلالة، ولو تركه لذاب، ولكن يقول: لي منك ضربه لا تفوتني إياها، فيضربه فيقتله.

هذا أمر ليس بالمستبعد، يدعي أنه الرب، ويدعي أنه المتمكن، فبينما هو كذلك وقد أتاه من يأخذ نفسه فمن شدة الخوف والهلع ينماح، ولا نحتاج إلى تأويل، ولا إلى تغيير للمعنى الذي جاء عن رسول الله ﷺ.

ثم مما يدل على أن هذه الحضارة: تذهب كلام النبي ﷺ في الذين يفتحون القسطنطينية: «ثم يأتيهم الصريخ بأن الدجال قد خلفكم في أهاليكم، فيرسل المهدي عشرة فوارس على خيل»، قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وألوان خيلهم»، كيف نقول في هذا الحديث؟ نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) حديث رقم: (٢٩٤٠).

(وَذَلِكَ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) فيه إثبات صفة الساق لله عَزَّوَجَلَّ، ومن فسر الساق بأنها الشدة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم:٤٢] فنقول: أولا: لم يثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا التفسير، ونقول ثانيا: هب أن هذا التفسير قد ثبت على السلف قد جاء إثبات الساق من أدلة أخرى.

فصفة الساق ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الخبرية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]، كما أثبتنا له وجها يليق بجلاله، وسمعا يليق بجلاله، ويدا تليق بجلاله، وقدما تليق بجلاله؛ نثبت له ساقا يليق بجلاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

وفي هذا الحديث قيام الساعة، وأن النفخة عبارة عن نفختين: نفخة الصعق، ونفخة البعث.

وفي هذا الحديث: أن آخر الزمان يكون الناس في سوء حال، خفة الطير إلى الباطل، وأحلام السباع لا تراحم بينهم، تصور الآن خفة الطير يعني الطائر ربما ما تستطيع تمسكه؛ لخفته، فهكذا الناس في عقولهم وفي سرعتهم إلى الباطل، وأحلام السباع في شدتهم وبطشهم، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، ما عندهم علم بالكتاب والسنة، فيتمثل لهم الشيطان يدعوهم إلى عبادة الأوثان يطيعونه.

١٨١١ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقَابِهِمَا إلاَّ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

تميز، ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [سورة يس:٥٩] ، هذا تميز للمجرمين في الدنيا، الدجال يعجز عن دخول المدينة.

وهناك أناس يستشرفون للدجال وينتظرون الدجال، وما أكثرهم في هذا الزمان لا كثرهم الله، المنافقون ينتظرون الدجال، اليهود ينتظرون الدجال الرافضة تنتظر الدجال، الباطنية تنتظر الدجال، فهو مهديهم؛ لأنه يملأ الأرض ظلما وزورا وجورا، وهم يبحثون عن هذا، أليس من عقيدة الرافضة: أن مهديهم يأتي إلى المدينة ويحيي خمسمائة من الصحابة ويقتلهم، ثم يحيي خمسمائة ويقتلهم، ثم يحيي خمسمائة ويقتلهم؟ ما عندهم تسلط إلا على الصحابة في ماضيهم وفي مستقبلهم؟ قبحهم الله، فهؤلاء سيخرجون إلى الدجال.

والنخاولة إلى الآن في المدينة بكثرة، تجد أحدهم في الروضة يزاحم على الصلاة فيها، وهو: خان الأمين، خان الأمين، يقلفح بيديه على فخديه، قبحهم الله وقاتلهم، أي واحد يعتمر يعرفهم، سيماهم في وجوههم من أثر الخبث ومن أثر العقيدة السيئة.

جزا الله الملك عبد الله خير الجزاء، قال: عندنا توسعة للحرم المدني؛ لأنهم أصلا قد أحاطوا بالحرم المدني من هاهنا ومن هاهنا، والأراضي لهم، والبيوت لهم،

(١) حديث رقم: (٢٩٤٣).

والعمارات لهم، فقدم مخططا للتوسعة إلى مسجد قباء، وعوضوهم، جزاه الله خيرا، وكذلك الملك الآن، عوضوهم، أراضي وقيمة.

لكن الحمد لله كثير من البيوت التي كانت قريبة من الحرم وهي للمكارمة وللنخاولة انزاحوا منها، فسينزاحون في زمن الدجال أيضا، ويخرجون إلى حيث الدجال قد وضع رُواقه؛ لأن الدجال يصعد على جبل أحد، فيرى المسجد، يقول لأصحابه: أترون ذلك القصر الأبيض؟ قالوا: نعم، قال: ذاك قصر محمد، ثم إذا أراد أن يدخل يصرفه الله بالملائكة الذين يحرسونها.

١٨١٢ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ». رواه مسلم[1].

الشرح:

يهودي إيران، يهود إيران يجتمعون لنصرة الدجال، فيجتمع يهود إيران الذين هم يهود أصلا مع يهود إيران الذين هم رافضة، تتشابه عقائدهم وينصرون الدجال، الله المستعان.

١٨١٣ - وعن أم شريكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سَمِعَتِ النَّبيّ ﷺ يقولُ: «لينْفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ». رواه مسلم[2].

الشرح:

من فتنته، قال النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، والله إن أحدكم ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ لما يلقي من الشبهات».

(١) حديث رقم: (٢٩٤٤).

(٢) حديث رقم: (٢٩٤٥).

وبهذا الحديث استدل أهل العلم على الفرار من أهل البدع، وعدم المناظرة لهم، وعدم المجالسة لهم.

١٨١٤ - وعن عمران بن حُصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

فتنة عظيمة، نسأل الله أن يسلمنا منها، وأن لا يرينا الدجال.

١٨١٥ - وعن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قال: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَّال، فَيَقُولُونَ لَهُ: إِلى أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلى هذَا الَّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قَالَ: يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هذَا الدَّجَّال الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ، فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ، فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيَجْعَلُ اللهُ مِا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيهِ سَبِيلًا، فَيَأْخُذُهُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هذا أَعْظَمُ النَّاس شَهَادَةً عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ». رواه مسلم. وروى البخاري بعضه بمعناه[2].

---

(١) حديث رقم: (٢٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(المسالِح): هُمُ الخُفَرَاءُ والطَّلائِعُ.

الشرح:

وهذا من أهل الحديث، هذا من السلفيين أهل الحديث، والدليل أنه يقول: الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، ليس معنى ذلك: أنه سمع النبي ﷺ يحدث عن الدجال، وإنما تلقى هذا العلم من أهل الحديث أهل السنة والجماعة.

أما الرافضة والمعتزلة والخوارج ومن إليهم لا يؤمنون بالدجال أصلا، هذه الأحاديث عندهم أحاديث آحاد، لا تفيد علما.

إذًا هذا الرجل عرف الدجال وعرف صفة الدجال من العلم الذي تلقاه من أهل السنة السلفيين، أهل الحديث المعظمين لآثار النبي ﷺ.

وأما القول بأن هذا الخضر فقول ضعيف، قول مردود، إنما قال به من يعتقد حياة الخضر، ولا دليل على حياته، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر:٣٠] ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٣٤] ، ولا يثبت حديث في حياة الخضر، وإنما هو من خزعبلات أهل التصوف ومن إليهم.

وفي هذا الحديث الصبر، انظروا إلى هذا الشاب كم ضُرب من مسالح الدجال، ضربوه ظهرا لبطن، وربما سالت منه الدماء، وهو صابر، ثم يوشر بالمنشار، وفي رواية: **«أنه ضَرب بالسيف رمية الغرض»**، ويصبر، هذه أمور يتألم منها الإنسان، لكن لا بد من الصبر، نسأل الله السلامة والعافية.

وفي هذا الحديث كرامات الأولياء، انظر حين أراد الدجال أن يذبحه مرة ثانية ما استطاع، جعل الله عَزَّوَجَلَّ على ترقوته نحاسا، فما استطاع.

١٨١٦ - وعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سألَ أَحَدٌ رسولَ الله ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، وإنَّهُ قَالَ لِي: «مَا يَضُرُّكَ؟» قُلْتُ: إنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ، قالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلكَ». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا الحديث لا يتعارض مع الحديث النواس بن سمعان، وقد بين الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم في أقوال كثيرة أنه لا تعارض، فإما أن يكون النبي ﷺ قال بهذا ثم أوحى الله إليه بما أوحاه، وإما أن النبي ﷺ أراد أن يهون على المغيرة بن شعبة، وأن الدجال أهون من حيث أنه لا يضر المسلمين، كما في الحديث الآخر: «والله لا يضر مسلمًا»، وإلا فهذه أمور ثابتة، وكلام النبي ﷺ الثابت لا يعارض بعضه بعضا، ولكن يجمع بينه.

ثم هب أن هذا مشكل أليس عندنا محكمات؟ فيرد هذا المشكل إلى تلك المحكمات.

١٨١٧ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ (ك ف ر)». متفق عليه[2].

الشرح:

بهذا الحديث يستدل أهل العلم على إثبات صفة العينين لله عَزَّوَجَلَّ، وقد جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أشار إلى عينيه، وهذا تأكيد لإثبات صفة العينين لله على ما يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

(١) أخرجه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وهذا المكتوب بين عينه كفر أو كافر يقرؤه كل مسلم.

١٨١٨ - وَعَن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أُحدِّثُكمْ حديثًا عن الدجالِ ما حدَّثَ بهِ نبيٌّ قومَهُ؟ إنَّهُ أعورُ، وَإنَّهُ يجيءُ مَعَهُ بِمِثالِ الجنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ إنَّها الجَنَّةُ هي النَّار». متفقٌ عليهِ(١).

١٨١٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «إنَّ اللهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ، ألَا إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». متفق عليه(٢).

الشرح:

العور في عينيه الثنتين، إلا أن اليسرى مطموسة جملة، واليمنى كأنها عنبة طافية، يعني ناتئة ظاهرة.

١٨٢٠ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلاَّ الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ». متفق عليه(٣).

الشرح:

وهذا في آخر الزمان، وهناك لفظ: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليها»، هم الذين يبدؤون بقتال المسلمين، ثم يسلط الله عَزَّوَجَلَّ عليهم المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).

١٨٢١ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرجُلُ على القَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، ما بِهِ إلاَّ البَلَاءُ». متفق عليه[1].

الشرح:

نسأل الله السلامة والعافية.

فيه الحلف بغير استحلاف، وفيه دلائل من دلائل النبوة، وفيه شدة البلاء في آخر الزمان على المؤمنين والكافرين، على الجميع، يقع قتال عظيم، فمثلا يقتتلون على الفرات كما سيأتي، ويقتتلون مع الكافرين، ومع الروم، يقتتل المسلمون حتى لا يبقى من أهل بيت مائة نفس ما يبقى منهم إلا واحد يرثهم.

١٨٢٢ - وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يُقْتَتَلُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو».

وَفِي رواية: «يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا». متفق عليه[2].

الشرح:

(فَيَقُولُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو) طمع، وإلا لو ذهب الإنسان يعمل ما يرزقه الله به خير له، لكن يتطمعون لاستخراج الذهب، فيقتتلون.

(فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا) لأن من أراد أن يأخذ منه ذهبت نفسه، تذهب نفسه بالقتل.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

١٨٢٣ - وعنهُ، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلاَّ العَوَافِي يُرِيد - عَوَافِي السِّبَاعِ والطَّيرِ - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا». متفق عليه(١).

الشرح:

أي بسبب الصعقة، فالمدينة يتركها أهلها في آخر الزمان، وتصبح مأوى للهوام والسباع، لاسيما مع سعة شوارعها الآن، والله المستعان.

وهذا الترك ربما يكون في آخر الزمان بعد الدجال، وأما في زمن الدجال فيأتي الدجال همته المدينة وهي مليئة، منها أهل الإيمان، ومنهم أهل النفاق والكفر، والكفار والمنافقون يخرجون إلى الدجال.

١٨٢٤ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلَا يَعُدُّهُ». رواه مسلم(٢).

الشرح:

أي يعطي الناس الذين يقدمون عليه لطلب الأرزاق، لا يعد؛ لكثرة الأموال ولكرمه.

١٨٢٥ - وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ؛ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ». رواه مسلم(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

(٢) حديث رقم: (٢٩١٤).

(٣) حديث رقم: (١٠١٢).

الشرح:

ليس معناه أن هذه النساء تكن زوجات له كما يفهم البعض، لكن تكثر النساء؛ لكثرة القتل، وربما لا يبقى للقبيلة من الناس من الأولياء إلا واحد، أو يبقى اثنان، فيكثر النساء، يبحثن عمن يقوم بشأنهن، وبرعايتهن، وبغير ذلك.

وفي عهد ابن مسعود قال رجل: قامت الساعة، قامت الساعة، فغضب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: ماذا تقول؟ أتدري متى الساعة؟ لا تقوم الساعة حتى لا يُفرح بغنيمة ولا يُقسم ميراث، قالوا: كيف يا ابن مسعود؟ قال: يلتقي قوم من المسلمين بقوم من المشركين، فينهزم ثلثهم، لا يغفر الله لهم أبدا، ولا يتوب عليهم، يعني: يفرون من الزحف، ويبقى من بقي، فيشترطون شرطه فيما بينهم، ويتعاقدون أن يهجموا على أهل الكفر، قال: فيقتتلون حتى يعزل بينهم الليل.

وهذا دليل على أنهم في زمن ما هناك كهرباء، وإلا ما عزل بينهم الليل، يحتربون بالسيوب، وهكذا يهلك ثلث هذا الجيش، وفي اليوم الثاني يقتتلون فيهلك ثلث هذا الجيش، وفي اليوم الثالث يقتتلون فينصر الله المسلمين، وكم قد ذهب منهم؟ ذهب منهم المئات والآلاف.

قال ابن مسعود: حتى يتعاد أهل البيت، فيجدون أنه قد قُتل منه مائة نفس، فأي ميراث يقسم وبأي غنيمة يفرح؟ فآخر الزمان فتن كثيرة.

١٨٢٦ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قال أَحَدُهُما: لِي غُلَامٌ، وقالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قال: أَنْكِحَا الغُلَامَ الجَارِيَةَ، وأَنْفِقَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم من قصص بني إسرائيل، يدل على عفتهم، ويدل على كرمهم وأمانتهم، صاحب أرض باع أرضه، والآخر اشترى الأرض، بينما هو يحرث وجد جرة، قال لصاحب الأرض الأصلي: خذ جرتك، هذا ذهبك، قال: ليست لي، أنا بعتك الأرض بما فيها، وهذا يقول: إنما اشتريت منك الأرض، ثم وقع بينهم التحاكم، فقُضي بينهما صلحا: أن يزوج الابن بالبنت، ويقع النفقة عليهما من هذا المال.

وهذا دليل على الأمانة، ففي كل زمن هناك من الأمناء ما الله به عليم، والله المستعان.

الحكم الشرعي في هذا المال: إن كان من دفن الجاهلية فهو لمن وجده، ويخرج الخمس، قال النبي ﷺ: «وفي الركاز الخمس»، وإن لم يكن من دفن الجاهلية فالأصل أنه لمن وُجد في أرضه، لا سيما والناس كانوا يدفنون، إلا أن يوجد ما يدل بالقرائن على أن هذا المال لفلان من الناس، لكن كلاهما زهد في هذا المال رغبة فيما عند ذي الجلال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١).

١٨٢٧ - وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّه سمعَ رسُول الله ﷺ يقولُ: «كانت امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالتِ الأخرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فتَحَاكَمَا إِلى دَاوُدَ ﷺ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُد ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ رَحِمَكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ للصُّغْرَى». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه طريقة الحكم فيما يقع بين المتخاصمين، والاستدلال بالقرائن، فداود عَلَيْهِ السَّلَامُ حكم له بما ظهر، ولعل الكبرى كانت ألحن بحجتها، فقضى به لها، وأما سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فنظر إلى القرائن، فلما رأى الرحمة والشفقة في قلب الصغرى أكثر علم أنه ابنها، بينما الكبرى ما بالت قُتل أو بقي، وهذا دليل على أنه ليس بابن لها.

١٨٢٨ - وعن مِرداس الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهُمُ اللهُ بَالَةً». رواه البخاري[2].

الشرح:

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، فكان الصالحون في صدر الأمة أكثر من الصالحين بعد ذلك، وما زال الصالحون يقلون، حتى يكون المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، ويقل الصالحون حتى يبقى منهم العصابة والطائفة القليلة، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).

(٢) حديث رقم: (٦٤٣٤).

فإذا كثر الخبث ربما أخذ الله الصالحين مع الطالحين، كما في الحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»، ويبعث الناس على نياتهم، من كان من أهل الصلاح بعث مع أهل الصلاح، ومن كان من أهل الفساد بعث على أهل الفساد، والحال فاصبروا حتى تلقوا ربكم.

(يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ) انظر في عصرنا هذا ذهب العلماء الكبار، والأئمة الأطهار، من البدع والخرافات وغيرها، ذهب الإمام ابن باز إمام المسلمين في عصره، ذهب الإمام الألباني، ذهب الإمام ابن عثيمين، ذهب الإمام الوادعي، وذهب غيرهم، وإذا ذهب العلماء ظهر الشر والبلاء.

(وَيَبْقَى حُثَالَةٌ) يعني: أهل الصلاح يبقون كالحثالة يعني: الذي هو في أسفل الإناء، (كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهُمُ اللهُ بَالَةً) ربما لا يستجاب دعاؤهم، ولا يحقق رجاؤهم، ليس لأن الله عَزَّوَجَلَّ يبغضهم، فالله يحب المؤمنين، ويفرج عن المسلمين، لكن يكثر الشر والفساد حتى يلحق البلاء الأمة أجمع، ولا يسلم إلا من سلمه الله.

١٨٢٩ - وعن رفاعة بن رافع الزُّرَقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ قال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قال: وَكَذلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. رواه البخاري[1].

الشرح:

فيه فضيلة أهل بدر على من سواهم من الصحابة، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: «اعملوا ما شئتم، فقد غُفر لكم».

(١) حديث رقم: (٣٩٩٢).

وفيه التفاضل بين المسلمين بعضهم بعضا، وبين الملائكة بعضهم بعضا، وهذا التفاضل بالإيمان والأعمال الصالحة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿* تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣] ، إلى غير ذلك من الأدلة.

والمهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار، وأهل أحد اختُلف في تفضيلهم على أهل بيعة الرضوان، فذهب جمع من أهل العلم إلى تفضيل أهل بيعة الرضوان؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ رضي عنهم وعن صنيعهم، وأخبر النبي صل الله عليه وسلم أنه: **«لن يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»**، وهكذا أهل أحد.

ولا يستوي من أنفق من قبل الفتح وآمن، والفتح هو بيعة الرضوان، صلح الحديبية، ومن أنفق من بعد وآمن، وكلا وعد الله الحسنى.

١٨٣٠ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِقَومٍ عَذَابًا أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ». متفق عليه[1].

الشرح:

وهذا معنى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت:٤٦] ، فقد تقع الزلزلة، وقد تقع المصيبة، وقد يقع الغرق، فيصيب العذاب الجميع، ثم يجازي الله عَزَّوَجَلَّ المؤمن بإيمانه، والمحسن بإحسانه، وقد يجازي المسيء بإساءته، أما إذا كان كافرا فلا بد، وأما إن كان من عصاة المسلمين فهو تحت المشيئة.

(١) أخرجه البخاري (٧١٠٨)، ومسلم (٢٨٧٩).

١٨٣١ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ يَعْنِي فِي الْخُطْبَةِ - فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ.

وَفِي روايةٍ: فَلَمَّا كَانَ يَومُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ.

وفي رواية: فصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبي الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قال: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، حتى الشجر اليابس يحن له، ويأتي بما يدلل على نبوته، وعلى عظيم كرامته، والله المستعان.

جاء في بعض الروايات: أنه لو تركه لبقي إلى يوم القيامة.

١٨٣٢ - وعن أبي ثعلبة الْخُشَنِيِّ جُرثومِ بنِ ناشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» حديث حسن. رواه الدارقطني وغيره[2].

الشرح:

(إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ): التوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والصوم، وغير ذلك من الفرائض التي لا يجوز أن تُترك، ويجب أن يؤتى بها.

---

(١) حديث رقم: (٩١٨).

(٢) أخرجه: الدارقطني (٤/ ١٨٣)، وهو ثابت بطرقه وشواهده.

(فَلَا تُضَيِّعُوهَا) حافظوا عليها في أوقاتها، حافظوا عليها بهيئاتها، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [سورة النساء:١٠٣] .

(وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا): محارم حرمها، فلا يجوز أن يأتيها الإنسان، فكما يجب غشيان وإتيان الفرائض يجب البعد عن المحارم، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [سورة الطلاق:١] .

(وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا) حرم أمورا كالزنا واللواط والخمر، والغيبة والنميمة، والربا، وغير ذلك، فلا تنتهكوها بغشيانها وإتيانها.

(وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ) أشياء كثيرة، لكن تدخل تحت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [سورة البقرة:٢٩] ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [سورة الجاثية:١٣] .

(رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا) فلا تنقب، فمثلا إذا مشيت من مكان ووجدت بِلَّة إما أن تكون مطرا وإما أن تكون من غير ذلك، فلا تبحث: أيش هذا الماء؟ وأيش أصله؟ من أين خرج؟ ولعله كذا، قد جاء في بعض الأحاديث: أن بعضهم مر من تحت ميزاب، فسقط عليه من مائه، فقال: ما هذا الماء؟ فقال: لا تخبره.

وهكذا في الحيوان الأصل فيه الإباحة، لا تبقى تنقب، النبي ﷺ قال: **«أعظم الناس إثما من سأل عن شيء فحرم بسببه»**.

والله عَزَّوَجَلَّ منزه عن النسيان؛ لأنه العالم المحيط، بكل شيء، وما جاء من قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [سورة التوبة:٦٧] أي: تركهم.

وهذا الحديث دليل على البعد عن التكلف، ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص:٨٦] ، وعمر يقول كما في البخاري: نُهينا عن التكلف.

وهذا الحديث فيه إثبات صفة السكوت لله عَزَّوَجَلَّ، لكن ما معنى السكوت في حق الله؟ السكوت: أنه لم يأت بحكم، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ متكلم أزلا وأبدا، كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

١٨٣٣ - وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجَرَادَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ. متفق عليه[1].

الشرح:

الحديث دليل على حل الجراد وما في بابه من الحشرات التي ليس لها نفس سائلة، والجراد وما في بابه يجوز أن يؤكل بغير ذكاة.

وضابط ذلك: ما كان من ذوات النفس السائلة وهي بحرية فهي حلال ميتها وحيها، وما كان من ذوات النفس السائلة وهي برية فلا تجوز إلا بتذكيتها الذكاة الشرعية، بذكر اسم الله عليها، وإنهار الدم بغير السن والعظم، وإن كان من الحشرات التي ليس لها نفس سائلة فتؤكل ولو ماتت بحتف نفسها، ومن ذلك الجراد، ومن ذلك كذلك القواقع وما في بابها مما يأكله الناس.

وفيه قلة ما كان عليه الصحابة رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يخرجون مع رسول الله ﷺ ما عندهم كثير شيء، يأكلون للحاجة الجراد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٩٥)، ومسلم (١٩٥٢).

١٨٣٤ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ». متفق عليه[1].

الشرح:

وهذا حديث نبوي، وهو مثل عربي مشهور، أن الإنسان العاقل لا يُلدغ من جهة مرتين، والعامة تقول: طائر السوق يُلطم مرتين، فهو بمعنى هذا، يعني أن الإنسان إذا لُدغ من جهة لا يلدغ منها مرة أخرى.

مع أن المؤمن غر كريم، بينما الفاسق خب لئيم، كثير الغدر، كثير التقلب، والمؤمن قد يُخدع؛ لطيبة قلبه، لصفاء نفسه، لغير ذلك.

١٨٣٥ - وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا سِلْعَةً بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ بِاللهِ لأَخَذَهَا بِكذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ». متفق عليه[2].

الشرح:

وهذا الحديث من أدلة الوعيد.

(ثَلَاثَةٌ) أي: أوصاف، لا أشخاص؛ لأن لو قيل: ثلاثة أشخاص؛ سيكون العدد فقط ثلاثة، لكن الأوصاف كل من تحلى بهذه الصفة دخل فيها.

(لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ) كلام رحمة، **(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ)** نظر رحمة، وإلا فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينادي جميع من في الموقف: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٨)، ومسلم (١٠٨).

القصص:٦٥] ، والله عَزَّوَجَلَّ اسمه البصير: الذي يبصر جميع مخلوقاته، لا تخفى عليه خافية.

(وَلَا يُزَكِّيهِمْ): لا تزكو حياتهم، لا في دنيا ولا في أخرى، نسأل الله السلامة والعافية، بينما المؤمن تزكو حياته بطاعة الله وامتثال سنة رسوله ﷺ.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) موجع، إما في الدنيا بالزلازل والقتل والفقر ونحو ذلك، وإما في الآخرة.

(رَجُلٌ) وأيضا امرأة، ليس فقط الرجل، إنما ذكر الرجل مخرج الغالب.

(عَلَى فَضْلٍ): زيادة **(مَاءٍ بِالفَلَاةِ)** في الطريق البعيدة عن البنيان.

(يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ) ربما أدى ذلك إلى إتلاف ابن السبيل، وإلى الإضرار به، والواجب التعاون على البر والتقوى، وهذا معنى حديث: **«الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والزرع»**.

(وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا سِلْعَةً بَعْدَ العَصْرِ) فيه تعظيم بعض المواقيت على بعضها، مع أن الكذب والحلف بغير الله ممنوع في أي وقت، لكن بعض الأوقات أكثر من بعض.

وبهذا الحديث استدل من استدل من العلماء كالشافعية وغيرهم إلى تعظيم اليمين في الوقت، فعندنا ثلاث أنواع من التعظيم: الأول: التعظيم القولي، الثاني: التعظيم المكاني، الثالث: التعظيم في الوقت.

فالقولي: مثلا تقول له: تقسم بالله الذي لا إله إلا هو القوي الجبار، وهكذا كما قال النبي ﷺ لليهود: **«أنشدكم الله الذي أنزل التوراة على موسى»**.

والتعظيم المكاني: قول النبي ﷺ: **«من حلف عند منبري هذا كاذبا حرمه الله على الجنة، وأدخله النار»**، أو كما قال النبي ﷺ.

والتعظيم الوقتي: فهو شدة الحلف بعد العصر.

(فَحَلَفَ بِاللهِ لأَخَذَهَا بِكذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ) صدقه بسبب اليمين بالله، وهو كاذب، ففيه تحريم الحلف كاذبا، وفيه خطورة التغرير بالناس.

(وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا) بايع خليفة من خلفاء المسلمين، أو رئيسا من رؤساء المسلمين، لكن لدنيا.

(فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ) وهذا حال أهل البدع، ما ابتدع رجل بدعة إلا رأى السيف، تجد عندهم الخروج على الحكام، والمناداة بذلك، وكثرة التشغيب عليه، تارة بالمظاهرات، وتارة بالاعتصامات، وتارة بالخروج المسلح، وتارة بالممالأة عليه.

١٨٣٦ - وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أَبَيْتُ، قالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أَبَيْتُ، «وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، فيه بيان أن للساعة نفختين: النفخة الأولى: نفخة الصعق، والنفخة الثانية: نفخة البعث والنشور.

وبين النفختين أربعون، الله أعلم ما هي؛ لأن أبا هريرة لم يصرح بهما، ولعل النبي صل الله عليه وسلم لم يخبر بهما.

(وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ) وهو عظم صغير مثل حبة الحُمُّص، يكون في أسفل ظهر الإنسان، هذا يسلم من أكل الأرض له، حرم الله على

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

الأرض أن تأكل عجب الذنب، ثم ينزل الله المطر، فتنبت كما تنبت البقلة، والله المستعان.

والله لا يعجزه شيء، الذي خلقكم أول مرة لا يعجزه أن يعيدكم تارة أخرى، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يس:٧٨-٨٢].

١٨٣٧ - وعنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَومَ، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قال: هَا أنا يَا رسُولَ اللهِ، قال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قال: كَيفَ إِضَاعَتُهَا؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وفيه مجالسة النبي ﷺ لأصحابه، ومذاكرة العلم، ومذاكرة الخير، وفيه ملازمة النبي ﷺ وأصحابه للمسجد.

وفيه: أن الإنسان إذا كان في حديث لا يقطع حديثه، وهكذا ينبغي أن لا يقاطع بالسؤال؛ لأن الإنسان إذا سئل وهو يتحدث ربما اختلج عليه الكلام، وعجز عن الإتمام.

(١) حديث رقم: (٥٩).

(فَقالَ بَعْضُ القَومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَـمْ يَسْمَعْ) يعني اختلفوا: ما السبب الذي جعل النبي ﷺ لا يجيبه مع أنه كان يُسأل ويجيب؟

(حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟) وهذا كثير ما كان يتم حديثه ثم يعود للسائل.

(إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ) إذا ضيع الدين (فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله»، هذه هي الأمانة، مع أن الحديث دليل على تضييع أيضا الأمانة الأخرى، الأمانة في الأموال، الأمانة في الأعراض، الأمانة في الأقوال، التشبه بالمنافقين الذي من آيته: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

(فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله»، «قبل الساعة أيام يفشو فيها الخمر، ويكثر فيها الزنا، ويرفع فيها العلم، ويظهر فيها الجهل»، «قبل الساعة أيام خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين»، فإذا وُجدت مثل هذه الأوصاف انتظر الساعة، ستأتي، وكل ما آتي فهو قريب.

١٨٣٨ - وعنه: أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ». رواه البخاري[1].

الشرح:

هذا الحديث استدل به على صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر من المسلمين، فصل مادام مسلما صل خلفه، سواء كان حزبيا، أو كان من أصحاب الموالد، أو كان أشعريا، أو كان معتزليا، ما دام من المسلمين صل خلفه، وصلاتك صحيحة.

قال البخاري: باب الصلاة خلف المفتون والمبتدع.

(١) حديث رقم: (٦٩٤).

قال الحسن البصري: صل وعليه بدعته.

وهكذا يقول الطحاوي: ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من المسلمين.

(يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا) السنة **(فَلَكُمْ)** ولهم، الأجر للجميع.

(وإِنْ أَخْطَئُوا) السنة **(فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ)**، ولذلك إذا صلى بك إمام لا يطبق السنن طبق السنن، واحرص عليها، ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وقد قال عثمان بن عفان لعبيد الله بن عدي بن الخيار حين سأله عن الصلاة خلف الخوارج: يا بني، إن أفضل ما تتقربون به إلى الله الصلاة، ثم أمره أن يصلي خلفهم.

١٨٣٩ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠] قالَ: خَيْرُ النَّاسِ للنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ[(١)].

الشرح:

يعني أن هذه الأمة أمة خير، أهل الإسلام أهل خير، يدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إلى توحيده، وإلى إفراده بما يجب له.

وكان من دعوتهم ما تقع منهم من الحروب والفتوحات، فيأسرون بعض الكفار وهم كفار يأسرونهم، ثم بعد ذلك يسلم، فيكون هذا الأسر من أسباب دخوله الجنة، وهكذا رب كاره للطاعة فيؤطر عليه أطرا حتى يتعود تلك الطاعة، ثم تكون من أسباب دخوله الجنة.

ليس معنى الحديث: أنهم لا بد أن يكونوا مربطين في السلاسل، وإنما هو كناية عن دخولهم في الإسلام كارهين، ثم بعد ذلك صلح حالهم مع الإسلام، وإلا فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه موافقا لسنة نبيه ﷺ.

(١) انفرد به البخاري (٤٥٥٧).

وهذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠] استدل بها ابن عباس على أنها في فضائل الصحابة، والصحيح أنها من فضائل الأمة والصحابة يدخلون فيها دخولا أوليا.

١٨٤٠ - وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: «عَجِبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ قَومٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ». رواهما البخاري[(١)].

معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

الشرح:

وفيه إثبات صفة العجب لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة هود:١٠٧]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

١٨٤١ - وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: «أَحَبُّ البِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا». رواه مسلم[(٢)].

الشرح:

فيه إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، وإثبات صفة البغض لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية، كما يليق بجلال وجهه.

وفيه أن البقاع تتفاضل، فالمسجد أفضل البقاع، وأفضل المساجد مكة، ثم مسجد النبي ﷺ، ثم مسجد بيت المقدس، وهكذا من المساجد مسجد قباء، كان النبي ﷺ يأتيه كل سبت راكبا وماشيا، ويصلي فيه ركعتين، وقال النبي صل الله عليه وسلم: **«من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كانت له كحجة وعمرة تامة تامة»**.

---

(١) حديث رقم: (٣٠١٠).

(٢) حديث رقم: (٦٧١).

والسبب في فضيلة المساجد: أنها أماكن العبادة، أماكن الطاعة، أماكن القراءة، أماكن الذكر، أماكن العلم، أماكن الخير، بخلاف الأسواق فإنها أماكن الغفلة، وأماكن الظلم، ربما تجد المجاوزات، في الغش، في الغرر، في البيع والشراء، إلى غير ذلك، وربما وقع فيها اللهو عن الصلاة، وغير ذلك.

وهذا دليل على أن الأرض إنما تشرف بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ فيها.

١٨٤٢ - وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قولهِ قال: لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. رواه مسلم هكذا[1].

ورواه البرقاني في صحيحهِ عن سلمان، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ»[2].

الشرح:

فيه بيان لسبب شؤم الأسواق، يعني لا تكن أول من يدخل تأتيها قبل أن يأتيها الناس، وربما وقعت منك الغفلة بسبب فرحك أنك بدأت قبل الناس، وربما يحصل لك، وربما كذا، وربما بعضهم يذهب ويفتح دكانه قبل أن يصلي الفجر، مستعجلا.

وهكذا لا تنتظر حتى يخرج جميع الناس وتبقى فيها، مكان الشيطان، مكان اللهو، مكان الغفلة، والله المستعان.

---

(١) حديث رقم: (٢٤٥١).

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) (٦١١٨).

١٨٤٣ - وعن عاصمٍ الأحوَلِ، عن عبدِ اللهِ بن سَرْجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ: يا رسولَ اللهِ، غَفَرَ اللهُ لَكَ، قال: «وَلَكَ»، قال عاصمٌ: فَقُلْتُ لَهُ[1]: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هذِهِ الآية: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد:١٩] . رواه مسلم[2].

الشرح:

فيه فضيلة دعاء النبي ﷺ لأمته، لحاضرهم وغائبهم، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد:١٩] يدخل فيه جميع أمة محمد ﷺ، الحاضرين والغائبين، والأحياء والميتين، وهكذا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء:٦٤].

ومما يدل على أن غير الصحابة يدخلون في هذا الاستغفار: أن عاصم الأحول وهو من التابعين يسأل عبد الله بن سرجس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أَسْتَغْفَرَ لَكَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَمْ وَلَكَ)** واستدل بالآية، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون قد دخلنا في هذا الاستغفار، ونسأل الله العون والسداد، إنه ولي ذلك.

وفي هذه الآية تعين استغفار المؤمنين لبعضهم، **«ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند كتفه ملك موكل يقول: آمين ولك بمثل»**.

وفيه فضيلة الاستغفار، فإنه مذهب للذنوب، مكفر للسيئات، رافع للدرجات، والنبي ﷺ يقول: **«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا»**، طوبى له هذا الصنف الذي يتوب في صبحه ومسائه، في ليله ونهاره، وفي الحديث: **«إن الله يبسط يده**

(١) أي: لعبد الله بن سرجس.

(٢) حديث رقم: (٢٣٤٦).

بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس مغربها»، والنبي صل الله عليه وسلم يقول: **«يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أستغفره في اليوم أكثر من مائة مرة»**، وسيأتي الأحاديث.

١٨٤٤ - وعن أبي مسعودٍ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري[1].

الشرح:

قيل: هذا مذكور في الإنجيل، وقيل في غير ذلك من الكتب، والشاهد أن النبي ﷺ أثبته من كلام النبوة الأولى.

وهذا ليس فيه التجريء على المعاصي والسيئات بقوله: **(اصْنَعْ مَا شِئْتَ)**، وإنما هذا على التقبيح؛ لقوله: **(إِذَا لَمْ تَسْتَحِ)** من الله، ولم تستح من خلق الله، **(فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)** من القبائح، فمثلك سيء القول، وسيء الفعل، والله المستعان.

١٨٤٥ - وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ». متفق عليه[2].

الشرح:

هذا فيما يكون من الحقوق التي بين العباد، والمظالم التي بين المكلفين، وأما إذا كانت المظلمة بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ فأول ما يقضى في الصلاة، نسأل الله السلامة والعافية.

ففي الحديث تعين البعد عن سفك دماء المسلمين، **«من استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم فليفعل»**.

---

(١) حديث رقم: (٣٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

وفيه أن الحساب واقع على الناس يوم القيامة، **«ومن نوقش الحساب عُذب»**.

١٨٤٦ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وهذا رد على الفلاسفة ومن إليهم الذين يزعمون أن الملائكة ما هي إلا قوى الخير، لا يؤمنون بملائكة، لا يؤمنون بجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وملك الجبال، وخازن النار، وخازن الجنة، وغير ذلك من الأملاك الذين خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ، وسخرهم لطاعته، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦] .

(وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ) وهذا دليل على أن الشيطان ليس من الملائكة، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [سورة الحجر:٣٠-٣١] يعني المراد: أنه كان في جملتهم في السماء، كان طائعا لله قبل أن يقع منه الكبر والحسد لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ): من طين لازب، من تراب، من صلصال، من حمأ مسنون، والجمع بين ذلك: أنه كان في مبدئ الأمر تراب، ثم بعد ذلك بُلل بالماء فصار طينا لازب، ثم بعد ذلك أحمي بالنار أو جفف فصار فخارا، من حمأ مسنون كالفخار، ثم بعد ذلك نُفق فيه الروح فكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) حديث رقم: (٢٩٩٦).

١٨٤٧ - وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ القُرْآن. رواهُ مسلم في جملة حديث طويل[١].

الشرح:

في جملة حديث طويل في قيام الليل.

(كان خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ القُرْآن) هذا حديث جامع لمن أراد أن يتأسى برسول الله ﷺ، فعليه أن يكون عاملا بالقرآن، عالما به، إذ أن العلم هو مفتاح العمل، والعمل الصالح لا يقوم إلا على العلم، فالقرآن يدعو إلى مكارم الأخلاق، بدء بالتوحيد، والسنة، والصلاة، والصيام، وجميع الطاعات والقربات.

قالت: كان خلقه القرآن أيضا والسنة، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم:٤] .

فالفرقة التي تدعو إلى نبذ السنة والاكتفاء بالقرآن هم ليسوا من القرآن في سرد ولا ورد، وإلا فإن القرآن يدعو إلى الأخذ بهدي رسول الله ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١] .

١٨٤٨ - وعنها، قالت: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أكَراهِيَةُ المَوتِ؟ فكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ، قال: «لَيْسَ كَذَلِكَ، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». رواه مسلم[٢].

الشرح:

(١) حديث رقم: (٧٤٦).

(٢) حديث رقم: (٢٦٨٤).

يعني: أن قضية كراهية الموت وحب الموت ليست هي المرادة هنا، كل واحد يكره الموت، من المؤمنين الأبرار ومن الكافرين الفجار، لكن حين تتشنج الأصابع وتتحشرج الصدور ويأتي ملك الموت بالبشارة أو النذارة، إما أن يقول: **«أبشري أيتها الروح الطيبة، كانت في الجسد الطيب، أبشري بروح وريحان، ورب راض غير غضبان»**، فهذه تتمنى لقاء الله، كما في الحديث: **«قدموني قدموني»**.

وإذا قيل لها: **«أبشري أيتها الروح الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، أبشري بسخط من الله ونصب»**، فعند ذلك تكره لقاء الله، فيكره الله عَزَّوَجَلَّ لقاءها.

وقد بين الله هذا في آخر سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾ [سورة الواقعة:٨٨-٩٦].

١٨٤٩ - وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالتْ: كان النبيُّ ﷺ مُعْتكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فقال ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالَا: سُبْحانَ اللهِ يَا رسولَ اللهِ! فقالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: شَيْئًا». متفق عليه[1].

الشرح:

هذا الحديث بابه عظيم في باب الاعتكاف وهو جواز زيارة المرأة لزوجها، وتحدث الزوج مع زوجته، وأن ذلك لا يؤثر على اعتكافه.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

وفي هذا الحديث فائدة دعوية، ينبغي للدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يتفطنوا لها، وهي ما يعبر عنه بقول القائل: **(عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ)**، فإن الظنون قد تخطر، والشيطان قد يقذف في قلب كثير من المؤمنين فضلا عن غيرهم من المعرضين إساءة الظن بالدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فلذلك المتعين البعد عن موطن التهمة أولا، ثانيا: المبادرة بالبيان إن احتاج إلى ذلك في مسألة يتلقفها المتلقفون ويتكلم فيها المتكلمون، فالنبي ﷺ قد خشي على رجلين من صحابته أن يقذف الشيطان في قلبيهما شرا وظنا سيئا، فإذا كان الشيطان قد يصل إلى هذا الظن في النبي ﷺ فكيف بغيره؟ وكيف بنا في هذه الأزمنة المتأخرة؟ التي صار فيها أكثر الناس على الظنون الفاسدة، إلا ما رحم ربي، وقليل ما هم.

فظنونهم لا تنفك، ولا تتوقف، من لم يتوقفوا عند الظنون، بل تجاوزوا ذلك إلى الكلام، وتجاوزوا ذلك إلى الكتابة، وتجاوزوا ذلك إلى الغيبة، وقد ذكر شيخ الإسلام: أن غيبة الصالحين أعظم إثما من غيبة غيرهم، فليتنبه المتنبه.

ما أُمرنا بالحكم على الناس بظنوننا- وإنما أُمرنا أن نحكم عليهم بما ظهر من أفعالهم، وما ظهر من أقوالهم، والنبي ﷺ يقول: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»**، والله عَزَّوَجَلَّ قبل ذلك يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢] .

فالمتعين على الجميع من ظُن به ظن السوء أن يبين، وأن يكون بعيدا عن مواطن التهمة، وعلى غير هذا أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يسارع إلى إساءة الظن بالمسلمين، بل يُحملون على السلامة، حتى يظهر منهم، من أقوالهم، من أفعالهم، من غير ذلك ما يدل على فسادٍ عندهم، فعند ذلك الحكم ليس على الظن، ولكن على ما ظهر وبان، وبدا.

النبي ﷺ يقول في حق امرأة أظهرت السوء: «**لو كنت راجما أحدا بغير بينة لرجمت هذه**»، ومع ذلك ما رجمها، مع ظهور قرائن على فساد فيها، لكن لم يثبت بالشرع ما هي واقعة فيه فيتعين عليها الحكم الشرعي.

وفي هذا الحديث من الفوائد أيضا: أن الداعي إلى الله يوطن نفسه لأصحاب الظنون السيئة، إذا كان النبي صل الله عليه وسلم بأبي هو وأمي قد خشي أن يقذف الشيطان الشر في قلب مؤمنين عليه فكيف بغير النبي ﷺ ممن سار على سيره وسلك سبيله وأخذ طريقه؟

فإن الشيطان يحرص على تشويهه في قلوب الناس، حتى يزهدوا في خيره، ويزهدوا في علمه، ويزهدوا في نصحه، ويزهدوا في توجيهه، ولو استطاع أن يصرفهم عن الداعي إلى الله لصرفهم، ولو استطاع أن يجلب بخيله لإساءة الظن بالداعي إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإظهار ذلك لفعل.

وفيه إثبات المس، وهذا من الرد على العقلانيين، فإن النبي ﷺ أخبر أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥] ، فينكر التلبس المعتزلة، ومن سلك سبيلهم من العقلانيين، وأصحاب الأهواء والبدع.

وإلا فإنك تجد الرجل المصروع تسمع منه كلام العجمي، وهو من بادية العرب ما دخل مدرسة، وربما تسمع منه كلام المرأة، وهو رجل خشن الصوت، وربما إذا صارعك صرعك وهو ضعيف البنية، ويحتاج إلى عدة أشخاص لتثبيته وإمساكه.

ولا عبرة بالمعتزلة ولا بأفراخ المعتزلة، وكان دائما ما يقرأ بين يدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهاكموا زبارة، وعلمه زبالة، يقول: ما بش ما بش، الجن ما بش ما بش، أو نحو هذا، سألوه في الإذاعة عن المس فقال: ما بش مس، ما بش مس، فهم من أفراخ المعتزلة.

١٨٥٠ - وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْن، فَلَزِمْتُ أنا وأبو سُفْيَانَ بن الحارثِ بن عبد المطلب رَسُول الله ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، قالَ العَبَّاسُ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا - فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فقالوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارُ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ.

فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ»، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم[1].

(الوَطِيسُ) التَّنُّورُ، ومعناهُ: اشْتَدَّتِ الحَرْبُ.

وقوله: (حَدَّهُمْ) هو بالحاء المهملة: أَيْ بَأْسَهُمْ.

الشرح:

(وأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) أبو سفيان بن الحارث، وليس بأبي سفيان صخر بن حرب.

(أَصْحَابُ السَّمُرَةِ): الذين بايعوا رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية تحت سمرة.

(١) حديث رقم: (١٧٧٥).

وهذا الحديث فيه فضيلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وفضيلة أصحاب الشجرة خصوصا، وفضيلة الأنصار أيضا، فإنهم كانوا محيطين برسول الله ﷺ مدافعين عنه، باذلين أنفسهم في سبيل ذلك، وقد جاء في حديث أنس في التسعة الذين كانوا مع النبي ﷺ من الأنصار وهو يقول: **«من يردهم عني وله الجنة؟»** فما زالوا يقاتلون عن رسول الله صل الله عليه وسلم حتى قتلوا عن آخرهم.

وفيه الاستعانة بالحي الحاضر القادر، وأن هذا ليس من الشرك.

وفيه المناداة باسم القبيلة، واسم الفخذ، واسم المحافظة، لكن لا على سبيل العصبية والازدراء للغير، وإنما على سبيل المناصرة، وعلى سبيل المؤازرة، والله المستعان.

وفيه من دلائل النبوة النبي ﷺ: أنه حين رمى بالحصى حصل لهم الانهزام، وحصل لهم الخذيلة.

وفيه ما لحق المسلمون في أول المعركة من الهزيمة، وكان سببه ما قال الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [سورة التوبة:٢٥] .

وفي هذا الحديث عظيم شجاعة النبي ﷺ، وقد جاء في حديث علي بن أبي طالب: أنهم كانوا إذا اشتد الوطيس احتموا برسول الله ﷺ.

وفيه سرعة استجابة الصحابة رضوان الله عليهم حيث رجعوا بمجرد سماع: يا للأنصار، يا أهل بيعة الرضوان، أو نحو ذلك.

١٨٥١ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [سورة المؤمنون:٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٧٢] »، ثُمَّ ذَكَرَ «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، وفيه أحكام كثيرة، منها: أن من أسماء الله الطيب، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يقبل إلا الطيب من الأعمال، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [سورة فاطر:١٠] .

وفيه: أن شأن الدين واحد للمرسلين والمؤمنين، إلا ما خُصوا به، فإن خطاب الله لمحمد ﷺ وأمر الله لمحمد ﷺ هو أمر لأمته، إلا إذا كان من خصوصياته، وتدل الأدلة على ذلك، وإلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب:١] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [سورة التحريم:١] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [سورة الطلاق:١] ، فبدأ بنداء النبي ثم قال: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [سورة الطلاق:١] .

(فقالَ تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾) الطيبات: الحلالات التي ليست بحرام وليست بشبهات، **«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»**.

(١) حديث رقم: (١٠١٥).

(وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾) فانظر إلى اتحاد الأمر: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [سورة المؤمنون:٥١] ، و ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [سورة البقرة:٥٧]، وكله رزق الله وعطاء الله.

(ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ) أي النبي ﷺ ذكر الرجل، ويدخل فيه المرأة، إنما ذكر الرجل مخرج الغالب.

(يُطِيلُ السَّفَرَ): يكثر الأسفار، ويبعد عليه المفازة، **(أَشْعثَ)** رأسه وشعره؛ لشدة سفره وتعبه ونصبه، **(أَغْبَرَ)** جسمه ووجهه، ومع ذلك **(يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)**، فاجتمع في حقه أمور:

الأمر الأول: السفر، وهو من أسباب استجابة الدعاء.

الأمر الثاني: ضيق الحال الذي لحقه، وهو من أسباب استجابة الدعاء.

الأمر الثالث: رفع اليدين، وهو من أسباب استجابة الدعاء؛ لما فيه من التذلل.

الأمر الرابع: تكرار الدعاء: **(يَا رَبِّ يَا رَبِّ)** يكرر الدعاء ولا يستجاب له، ما السبب؟ **(وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)** أي: أن من موانع استجابة الدعاء الحرام، فعلا وقولا، وشربا ولبسا، ونسأل الله السلامة والعافية، مع أنه في حالة اضطرار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [سورة النمل:٦٢] ، ومع ذلك لم يقع لهذا المكروب الفرج؛ بسبب ما هو عليه.

١٨٥٢ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ». رواه مسلم[1].

(العَائِلُ): الفَقِيرُ.

الشرح:

(ثَلَاثَةٌ) أي: أصناف لا أشخاص.

(لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) كلام رحمة، وكلام تجاوز وإحسان.

(وَلَا يُزَكِّيهِمْ) لا تزكروا أعمالهم، ولا أقوالهم، ولا أحوالهم.

(وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) كما تقدم نظر الرحمة، وإلا فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تخفى عليه خافية، وهو السميع البصير.

(شَيْخٌ زَانٍ) بدأ به؛ لأن الشيخ قد ضعفت قواه، وذهبت رغباته، وضعفت وقلت شهواته، ومع ذلك يعالج نفسه معالجة للوصول إلى هذه المصيبة وإلى هذه البلية، فهذا دليل على فساد في قلبه، وفساد في حاله.

(وَمَلِكٌ كَذَّابٌ) ملك لا يضره أن يتحدث بالصدق، ما أحد يستطيع أن يعارضه، ومع ذلك يكذب على رعيته، يكذب في وعوده، يكذب في عهوده، نسأل الله السلامة والعافية.

(وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ): فقير محتاج، مثله ينبغي أن يكون متواضعا، أن يكون مستكينا، أن يكون لينا، ومع ذلك تجد عنده التطاول وعدم التواضع، وهذا دليل على فساد في قلبه، وعلى فساد في خلقه، وإلا فإن المؤمن مأمور ولو كثرت أمواله ولو كثر أتباعه بالتواضع، «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا»، فكيف بهذا الفقير المسكين الذي يحتاج

(١) انظر الحديث (٦١٦).

أن يكون متواضعا متذللا بسبب فقره وذلته ومع ذلك يظهر منه الكبر؟ نسأل الله السلامة والعافية.

١٨٥٣ - وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وسيحان وجيحان في المشرق، والفرات في العراق، والنيل في بلاد مصر، وهكذا السودان، وله مصدران: المصدر الأول: من بلاد الحبشة ومن أعالي جبالها، والمصدر الثاني: من أطراف تنزانيا وكينيا، وما إلى ذلك، وهي ما تسمى ببحيرة فكتوريا.

فلهذا حين يعمد الأحباش المتمثلين في هذه الدولة التي يترأسها آبي أحمد إلى عمل السدود الكثيرة لحجب المياه عن بلاد مصر والسودان أو نحو ذلك لن يتمكن؛ لأن المجرى قد يأتي من المكان الآخر، وهو بلاد كينيا وبلاد تنزانيا.

وهو نهر من أنهار الجنة، نؤمن بذلك، وهذا دليل على أنهم لن يستطيعوا التحكم فيه، وأنه لن ينضب، فأمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فالجنة فيها أنهار باطنة، وفيها أنهار ظاهرة، ولكن مع ذلك ما نقول: أن هذه المياه من الجنة؛ لأن مياه الجنة من شربها لا يظمأ بعدها، لكن نؤمن بظاهر الحديث على ما قال رسول الله ﷺ.

---

(١) حديث رقم: (٢٨٣٩).

١٨٥٤ - وعنه، قال: أَخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَومَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فيها الجِبَالَ يَومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الإثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَومَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأربِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوابَّ يَومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَومِ الجُمُعَةِ في آخِرِ الخَلْقِ في آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا الحديث مُنتقد، انفرد به مسلم، وهو موقوف على كعب الأحبار، وممن نص على ذلك كما نقل المحقق البخاري في (التاريخ الكبير)، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، والبيهقي، والمزي، وابن كثير، والزركشي، وابن القيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، والملا علي بن سلطان القاري، والحوت في (أسنى المطالب)، وطاهر السمعوني في (توجيه النظر)، وشيخنا مقبل في (المقترح).

ودافع عنه إمامان وهما: المعلمي في (الأنوار الكاشفة)، والألباني في (الصحيحة).

والله عَزَّوَجَلَّ قد دلت الأدلة على أنه خلق السماوات الأرض في ستة أيام، وما مسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من لغوب، ولكن لحكمته، فعلى ذلك.

(١) حديث رقم: (٢٧٨٩).

١٨٥٥ - وعن أَبي سليمان خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ. رواه البخاري[(١)].

الشرح:

فيه شجاعة خالد بن الوليد، وبسالة خالد بن الوليد، وهو سيف الله المسلول، سماه النبي ﷺ بذلك.

وفيه أن اليمن كانت بلاد حضارة، وبلاد صناعة، وبلاد قوة، بخلاف ما هي عليه الآن تحتاج إلى استيراد غذائها، وتحتاج إلى استيراد سلاحها، وتحتاج إلى استيراد ملابسها، بينما تجد في الزمن الماضي: كان على النبي ﷺ حلة يمانية، برد يماني، كفن في أثواب يمانية، وهذا دليل على قوة الصناعة في البلاد اليمنية، لكن الأيام دول، تارة ترفع دولة، وتارة تخفض دولة، والأمر الى الله عَزَّوَجَلَّ.

ولو تمسك الناس بدينهم لرفعهم الله، لكن الواقع أن كثيرا من الناس يضعفون في باب الاستقامة، وفي باب الأمانة، فيسلط عليهم بسبب ذنوبهم، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى:٣٠] .

١٨٥٦ - وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ». متفق عَلَيْهِ[(٢)].

الشرح:

وهكذا المجتهد في المسائل العلمية، وفي المسائل العملية، إن وافق الصواب له أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن خالف الصواب بعد الاجتهاد له أجر الاجتهاد

(١) حديث رقم: (٤٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

ويعفى عنه من الخطأ، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦] ، وهذا من عظيم شأن الإسلام.

١٨٥٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ». متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

ذكر بعض أهل العلم كابن القيم: أن الحمى على نوعين: منها ما تبرد بالماء، ومنها ما يضرها الماء، فيحتاج المريض إلى أن يعرف نوع الحمى التي فيه حتى يتعامل معها التعامل الذي يصلح به حاله.

١٨٥٨ - وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَومٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ» متفق عَلَيْهِ[2].

وَالمُخْتَارُ جَوَازُ الصَّومِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ لِهَذَا الحَدِيثِ، وَالمُرَادُ بالوَلِيِّ: القَرِيبُ وَارِثًا كَانَ أَوْ غَيْرَ وَارِثٍ.

الشرح:

فإن لم يصم وليه صام عنه غيره، من أحب أن يتطوع عنه، وأن كذلك يؤدي دينه.

وفيه أن حق الله يقدم على كثير من الحقوق، «فدين الله أحق أن يقضى»، كما قال النبي ﷺ.

وفيه أن الصيام على الميت يجوز، وهكذا الحج والعمرة، والدعاء، أما الصلاة وقراءة القرآن فالصحيح أنها لا تجوز ولا تصل.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

وهل يجب عليهم الصيام؟ لا يجب، الصحيح أنه لا يجب، ومتى يتعين الصيام على الميت ويجب في ذمته؟ إذا كان قد ترك الصيام لمرضٍ أو نحوه ثم تمكن من القضاء ولم يقض، أما من استمر به المرض حتى مات فليس عليه صوم.

كما هو الحال الآن في بعض أصحاب السرطانات، وأصحاب أمراض الفشل الكلوي، ومن في بابهم، ربما يمرض السنة بعد السنة حتى يموت، ما تعين عليه الصيام، ولا وجب عليه في الذمة.

١٨٥٩ - وعن عوف بن مالك بن الطُّفَيْلِ: أَنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حُدِّثَتْ أَنَّ عبدَ اللهِ بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنها: واللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، قالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قالوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِيْنَ طَالَتِ الهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا، واللهِ لَا أَشْفَعُ فِيهِ أبدًا، وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعبدَ الرحْمَانِ ابْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا اللهَ لَمَا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ، وَعَبدُ الرحْمَانِ حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قالت عَائِشَةُ: ادْخُلُوا، قالوا: كُلُّنَا؟ قالتْ: نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ معهُمَا ابْنَ الزُّبَيرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيرِ الحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ، وَعَبدُ الرَّحْمَانِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولانِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ،

فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيرِ، وأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعدَ ذَلِكَ فَتبكِي حَتَّى تَبِلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاري[1].

الشرح:

فيه أن كفارة النذر كفارة يمين.

وفيه أنه لا يحل هجر المسلم فوق ثلاث ليال، إلا أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهدت لشدة وجدها من ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفيه أن الإنسان قد يقع في نفسه إن وقعت عليه كلمة من صاحب أو صديق أو قريب، ومع ذلك دية الذنب عندنا الاعتذارُ.

وفي جواز الدخول في البيوت إذا كانت المرأة محتجبة وأمنت الفتنة، مع وجود المحرم وعدم الخلوة.

وفيه رد على الرافضة الذين يزعمون أن عائشة كان يدخل عليها الرجال، وأنها ما قبلت ابن الزبير، كانت تظن هؤلاء الرجال، انظر أيها المسلم أنها كانت في الحجاب، ودخل عليها ابن الزبير في الحجاب، إنما كانوا يدخلون ربما إلى الحجرة، مع أمن الفتنة، مع عدم الخلوة، مع عدم النظر، وهي أم المؤمنين.

وفيه عظيم تعظيم عائشة لرب العالمين، إذ أنها مع أنها لو أطعمت عشرة مساكين لكفرت عن نذرها، ومع ذلك أعتقت أربعين نفسا، وما زالت كلما ذكرت هذا النذر بكت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفيه ما عليه الناس الآن من عدم المبالاة بالنذور، أحدهم في حال حاجته يأتي بالنذور الكثيرة، فإذا ذهبت الحاجة أتى بالأعذار الكثيرة، ولم يفي بنذر، والله المستعان.

---

(١) حديث رقم: (٦٠٧٣).

وفيه الشفاعة، والدخول في هذا الباب، «اشفعوا تؤجروا»، لا سيما الشفاعة لإصلاح ذات البين، من الأمور المتعينة والأمور المهمة، التي ينبغي للإنسان أن يحرص عليها؛ لأن فساد ذات البين الحالقة، الشيطان يدخل منها، يقع غيبة، نميمة، بهت، إلى غير ذلك من البلاء.

وأيضا قوله: (حَتَّى تَبِلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا) دليل على أنها كانت متخمرة.

١٨٦٠ - وعن عُقْبَةَ بن عامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، أَلَا وإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. متفق عَلَيْهِ(١).

وفي رواية: «وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

قَالَ عُقْبَةُ: فكانَ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

وفي روايةٍ قَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وإِنِّي واللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وإِنِّي واللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَالمُرَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، لَا الصَّلَاةُ المَعْرُوفَةُ.

الشرح:

وهذا هو الصحيح، لأن الشافعي قال: من زعم أن النبي ﷺ صلى على شهداء أحد كصلاته على الميت فليستح على نفسه.

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

وهذا حديث عظيم، تضمن عدة وصايا من أواخر حياة النبي ﷺ، جاء في بعض الروايات أنه قبل موته بخمس ليال.

وفيه أن النبي ﷺ ودع أمته أحياءها وأمواتها.

وفيه الوصية للأحياء.

وفيه عظيم شرف النبي ﷺ، وأنه فرط على الحوض، والحوض من خصائصه على الصحيح.

وقوله: (وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ) يشهد على الإنسان النبي، والملائكة، والجوارح، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [سورة النساء:٧٩].

(وإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ) أي: اللقيا عليه، **«من ورده شرب، ومن شرب لم يظمأ»**.

(وإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا) فيه أن الحوض موجود الآن، والحوض إنما أنكره المعتزلة ومن إليهم.

(أَلَا وإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا) مع أن الشرك يقع في الأمة، وقد قال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول الخلصة»**، ولكن في زمن النبي ﷺ لم يخش على الصحابة الشرك؛ لأنهم قد عرفوا الشرك وعرفوا التوحيد، فلازموا التوحيد.

عرفت الشر لا للشر ... لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الشر ... من الخير يقع فيه

(وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا) كما قال: **«كيف أنتم إذا فتحت عليكم فارس والروم؟»** قالوا: نكون كما كنا يا رسول الله، قال: **«بل تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتقاطعون، ثم تتدابرون، ثم تعمدون إلى رقاب المهاجرين فتضعوا بعضها على بعض»**.

وفيه شدة فتنة الدنيا، وأن كثيرا من البلاء إنما يقع بسبب التنافس في الدنيا، حتى باب البدع، أنت لا تظن أن باب البدع خارج عن هذا التنافس.

لولا التنافس في الدنيا لما وُضعت ... كتب التناظر لا المغني ولا العمدُ

يحللون بزعم منها عقد ... وهم بفعلهم زادت العقد

فالخوارج إنما خرجوا على علي بن أبي طالب وقبل ذلك على عثمان بن عفان وهكذا بسبب الدنيا، ولهذا الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع أحاديث الخوارج في آخر كتاب الزكاة؛ للإشارة أن فتنة الخوارج سببها الدنيا، فلا يغرنك قولهم: نحن نريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشرع، وإقامة الحدود، هم إنما ينافسون من أجل الدنيا، ويرغبون في الدنيا، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويستحلون المحارم، وهكذا غيرهم، فما من بدعة من البدع إلا ولها حظ من الحرص على الدنيا، والتنافس في الدنيا.

وانظروا في هذه الأزمنة المتأخرة إلى أصحاب الجمعيات، وإلى أصحاب الحزبيات، وهكذا الصوفية الذين يظنون أنهم يتنسكون ويزهدون، وهم من أشد الناس حرصا على الدنيا، وإنما أظهر كثير منهم ما أظهر للأوقاف التي أوقفت على القبور، وعلى الأضرحة، وعلى المساجد، وما تأتيهم من النذور، وغير ذلك.

وهكذا تجد هذا يتعلم السحر، وذاك يتعلم الشعوذة، وهذا يدخل في السياسة مع علمه بالكذب فيها، وذاك يتعصب لحزب ولقبيلة، كله من أجل الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية، وإن أظهر كثير منهم الزهد في الدنيا، لكن الواقع تفضحهم أعمالهم وأقوالهم.

(وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) كاليهود والنصارى، فالبدعة هلكة، وترك الاستقامة هلكة، وفيه عظيم منة الله على هذه الأمة.

(وإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ) وفعلا جُلبت إلى المسلمين خزائن فارس، وخزائن الروم، وهي الأرض في ذلك الزمان، هي الأرض من حيث المدن، من حيث التجارات، من حيث الممالك الكبيرات.

(وإِنِّي واللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي) قد يستدل عباد القبور من الصوفية بهذا اللفظ على عدم وجود الشرك في الأمة، وقولهم مردود، وفعلهم ممجوج، فالنبي ﷺ يقول: **«لتتبعن سنن كان قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»**.

وقد أشرك اليهود، وأشرك النصارى، ونددوا، وتابعهم كثير من الأمة، أدخلوا الأموات في المساجد، وبنوا كذلك القباب، وشدوا لها الرحال، وصوروا التصاوير، كل ذلك تشبه باليهود والنصارى.

لكن يئس الشيطان في زمن النبي ﷺ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ثم بعد ذلك حين ضعف الناس عن الاستقامة عادوا إلى شرهم، وهكذا النبي ﷺ يخاطب الصحابة: **(مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي)**، وأما ما بعد الصحابة فكثير من الناس قد وقع عندهم الغلو في الصالحين، وعبدوهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

١٨٦١ - وعن أَبي زيد عمرو بن أَخْطَبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الفَجْرَ، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا. رواه مسلم[1].

الشرح:

وجاء هذا الحديث أيضا عن حذيفة.

(١) حديث رقم: (٢٨٩٢).

فيه أن النبي ﷺ خطب من بعد الفجر إلى غروب الشمس، كم أتى على أحكام، وكم أتى على وقائع، وكم أتى على أمور، لكن كثيرها ربما يأتي في أحاديث متفرقة، والله المستعان.

وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، من منا يستطيع يحاضر ساعة ونصف أو يحاضر ساعتين؟ يتعب، وربما إذا حاضرها بشدة وكلفة، ويحتاج إلى أن يستريح، ومع مكبر الصوت، ومع غير ذلك.

والنبي ﷺ من بعد الفجر إلى الظهر، أكثر من سبع ساعات، أو ربما ثمان ساعات، ثم من الظهر إلى العصر قريب ثلاث ساعات، ثم من العصر إلى المغرب فوق ساعتين ونصف، والله المستعان، وقت طويل، وعلم غزير، وقوة وبسالة وصبر عند الصحابة، وتحمل ومحبة.

وإلا عندنا لو طالت المحاضرة قليلا تجد الناس يتعبون وينصبون، وربما يخرجون ويتحدثون، والصحابة رضي الله عنهم كلهم يصغون للنبي ﷺ ويسمع، والنبي ﷺ يحدثهم ويرغبهم، وينذرهم ويخوفهم، والله المستعان.

١٨٦٢ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ». رواه البخاري[1].

الشرح:

وكفارته كفارة يمين، سواء نذر الطاعة إن لم يأت به، أو نذر المعصية إن لم يأت به، ولا يجوز له أن يأتي به، «كفارة النذر كفارة يمين»، وهذا الحديث مع أنه منتقد إلا أن العمل عليه.

(١) حديث رقم: (٦٦٩٦).

١٨٦٣ - وعن أمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرها بِقَتْلِ الأَوْزَاغِ وقال: «كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ» متفق عَلَيْهِ[1].

الشرح:

الوزغ: هو سام أبرص، اللسقة، الوزغة، ويصلح فيها اللغة الثلاث: بالزاي: لزقة، وبالصاد: لصقة، وبالسين: لسقة، وهكذا: وزغة، ووسغة ووصقة، كالصراط أيضا: صراط وزراط وسراط، والله المستعان.

وفيه معاقبة المجرمين.

وفيه أن المفسد ما يصلح فيه أمر، فانظر إلى وزغة، قد جمع الناس الحطب من هاهنا ومن هاهنا، وأوقدوا نارا عظيمة، ربما تذيب الحجارة وتحرق الأشجار، ومع ذلك لفساد قلبها تنفخ على نبي الله، قوتلت وقُبحت.

ولذلك إلى الآن من قتلها في الضربة الأولى له قريب مائة حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فدون ذلك، قالوا: السبب أن من قتلها في الضربة الأولى دليل على حرصه على التخلص منها، وعلى ملازمة الأمر النبوي.

١٨٦٤ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».

وفي رواية: «مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ». رواه مسلم[2].

قَالَ أهلُ اللُّغة: (الوَزَغُ) العِظَامُ مِنْ سَامِّ أَبْرَصَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧).

(٢) حديث رقم: (٢٢٤٠).

الشرح:

وهي حرام، أكلها حرام، وذهب بعضهم إلى أكلها، لكن الصحيح أنه حرام.

ويذكرون: أنك إذا أردت أن تطردها من البيت ضع كسر البيض في الأرضية، فإذا رأت كسر البيض تشرد، تخاف أن يكون بيض الثعابين.

١٨٦٥ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ! لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فوَضَعَهَا في يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وعلى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فقيل لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ عَنْ زِنَاهَا، وأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ». رواه البخاري بلفظه ومسلم بمعناه[1].

الشرح:

هذا حديث عظيم، دليل على محبة الصالحين للصدقة، وحسن الصدقة حين تقع في يد المسكين والمحتاج، لا كما هو حال الناس الآن كثير منهم الصدقات على سبيل المحاباة، وهذا غلط، فالصدقة ينبغي أن تصرف على المستحق لها، فهي حق الله، أوجبه في المال للفقير والمسكين ومن إليه، هذا الصدقات الواجبات.

وأما المستحبات فالإنفاق على الأهل صدقة، وعلى الصاحب صدقة، والله المستعان.

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

وفيه أن الأعمال الصالحة سبب لصلاح المجتمع، فانظر إلى هذا الرجل تصدق على زانية، لعلها تتوب من زناها؛ لأن بعض النساء إنما تزني طمعا في المال، ولذلك قال النبي ﷺ: «ومهر البغي حرام»، وفي رواية: «خبيث»، وفي رواية: نهى عن مهر البغي.

وهكذا الغني ربما يكون بخيلا، فحين يرى جود الكرماء ربما تأثر بهم، واتصف بهم، إما لحب الكرم بعد ذلك، أو للطاعة، يقول: انظر إلى هذا كيف هو حريص على الإنفاق في أوجه الخير.

وهكذا السارق حين يمد يده إلى أموال الناس، لعله يستعف حين يرى إيصال الخير إليه بدون سرقة وبدون معالجة لذلك، والله المستعان.

١٨٦٦ - وعنه[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

---

(١) أي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَيَأْتُونَ نوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فيقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فيقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

وفي روايةٍ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنتَ رَسُولُ اللهِ وخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ

مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ».

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

هذا حديث عظيم، وهو من أحاديث الشفاعة، فإن النبي ﷺ يأتيه الناس بعد كربتهم وشدتهم، بعد أن يأتوا آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وكل يبدي ذنبه، إلا ما كان من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يذكر ذنبا، فيترادون الشفاعة، ثم يقوم بها النبي ﷺ.

وهذه الشفاعة تسمى بالشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [سورة الإسراء:٧٩] ، ومن ذهب بأن المقام المحمود هو جلوس النبي ﷺ على العرش فقوله مردود لا دليل عليه، إذ أن في حديث جابر في (صحيح مسلم) تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة، وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن روى أحاديث الشفاعة.

والحديث فيه فوائد كثيرة، منها أيضا: إثبات الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، وإن كان المحدثون يذكرون ما يتعلق بطلب الشفاعة ثم لا يذكرون ما يتعلق بالشفاعة العظمى؛ لأن أهل البدع يثبتونها كما يثبتها أهل السنة، وإنما مباشرة يتكلمون عن الشفاعة في أهل الكبائر، انظر يقول: «أمتي أمتي»، وهذا بعد أن يكون قد شفع في فصل القضاء بين الأمم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

وفيه: أن من هذه الأمم من يدخل الجنة من لا حساب عليه ولا عذاب، وفضل الله واسع، هم سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا.

وفيه أن أبواب الجنة ثمانية، بين كل مصراع من مصاريعها بين مكة وهجر، ومع ذلك يأتي عليها يوم القيامة وهي مليئة ومزدحمة؛ لكثرة من يدخل الجنة.

وفي هذا الحديث: شدة الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، انظر إلى الأنبياء وإلى المرسلين مع ما هم عليه من الهدى والتقى والتوبة النصوح كل منهم يقول: ذنبي، ونحن نسأل الله السلامة والعافية إذا أذنب الإنسان وقال: أستغفر الله اطمئن على أنه قد غفر ذنبه، الله أعلم قبلت التوبة أم لا.

وفي هذا الحديث فضيلة لهؤلاء الرسل والأنبياء الذين ذكروا فيه، وأفضلهم وأشرفهم محمد ﷺ.

وفي هذا الحديث: التحدث بنعمة الله على الإنسان.

وأن الله يذكر بأسمائه وصفاته، وأن أسماء الله غير محصورة، لو كانت محصورة ما احتاج إلى أن يفتح عليه في ذلك اليوم بما لم يفتح عليه في الدنيا من الأسماء والصفات، فإنه يفتح عليه بما لم يكن يحسنه من قبل، ولا يعلمه من قبل.

١٨٦٧ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ إبراهيم ﷺ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيل وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعهَا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ

دَعَا بِهؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [سورة إبراهيم:٣٧].

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ، حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النبيُّ ﷺ: «فَلذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا»، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ - تُرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ - أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. وفي رواية: بِقَدَرِ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النبيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا».

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هاهُنَا بَيْتًا للهِ يَبْنِيهِ هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ، وإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.

وكان البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهذا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاء، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ، فَإِذَا هُمْ بِالمَاءِ، فَرَجَعُوا

فَأَخْبَرُوهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فقالوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابن عباس: قَالَ النبيُّ ﷺ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وهي تُحِبُّ الأُنْسَ»، فَنَزَلُوا، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِهَا أَهْلَ أَبْيَاتٍ وَشَبَّ الغُلَامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِيْنَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ: وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَما تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ؛ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا - وفي روايةٍ: يَصِيدُ لَنَا - ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ؛ وَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءنا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ.

فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَت: المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ»، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلاَّ لَمْ يُوَافِقَاهُ.

وَفِي رواية: فجاء فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتْ امْرأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: أَلَا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القاسم ﷺ: «بَرَكَةُ

دَعوةِ إبْرَاهِيمَ»، قَالَ: فإذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أتَاكُمْ مِنْ أحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أتانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَألَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرتُهُ، فَسَألَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأخْبَرْتُهُ أنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأمُرُكَ أنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أبِي، وأنْتِ العَتَبَةُ، أمَرَنِي أنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعدَ ذَلِكَ وإسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، قَالَ: يَا إسْمَاعِيلُ، إنَّ اللهَ أمَرَنِي بِأمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أمَرَكَ رَبُّكَ، قالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أَبْنِيَ بَيْتًا هاهُنَا، وأشَارَ إلَى أكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إسْمَاعِيلُ يَأتِي بِالحِجَارَةِ وَإبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحجارة وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٢٧] .

وفي روايةٍ: إنَّ إبْرَاهِيمَ خَرَجَ بِإسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إسْمَاعِيلَ، مَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبْرَاهِيمُ إلَى أهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إسماعيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءَ نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إبْرَاهِيمُ إلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إلَى اللهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ باللهِ، فَرَجَعَتْ وَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدُرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا.

قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أحدًا؟ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِي سَعَتْ، وأتَتِ المَرْوَةَ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ أشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ، كَأنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا،

فَنَظَرَتْ ونظرت فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فَقَالَ بِعقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ بِعَقِبِهِ عَلَى الأَرْضِ، فَانْبَثَقَ المَاءُ فَدَهِشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِنُ ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ، رواه البخاري بهذه الروايات كلها[1].

(الدَّوْحَةُ) الشَّجَرَةُ الكَبِيرَةُ.

قولُهُ: (قَفَّى) أيْ: وَلَّى.

(وَالجُرِيُّ): الرَّسُولُ، (وَأَلْفَى): معناه وَجَدَ.

قَولُهُ: (يَنْشَغُ) أيْ: يَشْهَقُ.

الشرح:

(عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوقَ زَمْزَمَ) يعني: قبل أن يكون زمزم، إنما هذا لما آل إليه الأمر.

(فِي أَعْلَى المَسْجِدِ) قبل أن يكون ثمة مسجد.

(وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ) قبل أن تكون مكة أصلا، إنما هذه التسميات لما آل إليه الأمر.

(قَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا) ثقة في هذه المرأة وشجاعة في هذه المرأة، ولا غرو فهي متعلمة، ومستفيدة من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذلك الإمام الذي واجه عباد الأصنام، وسلمه الله عَزَّوَجَلَّ من لهب النيران.

وهذه الثقة لو وُجدت عندنا لرأينا البركة العظيمة، ولكن ضعف توكلنا، وضعف اعتمادنا، وضعفت ثقتنا في الله، فجوزينا بأعمالنا، وإلا حين وثقت بالله جاءها النصر من الله، والفرج من الله.

(١) حديث رقم: ((٣٣٦٤) و (٣٣٦٥)).

(﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾) انظر وادي لا زرع، لا أنيس، لا جليس، لا شجر، وتنام فيه ليالي متعددة، وحدها، مع ابنها، ولكن الثقة بالله.

(وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ) يعني: يتحرك هكذا وهكذا من شدة العطش، ويبكي، الطفل يبكي ويصيح، وقلب الأم ينفطر على ولدها.

(ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ) يعني: المتعب.

(فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ) انظر الآن السعي بين الصفا والمروة يحتاج إلى ساعة ونصف، أو قريبا من ذلك، قل: ساعة، في الأيام العادية التي لا زحام فيها، وهو مبلط، مكيف، مضلل، فكيف بذلك الزمان؟ جبل حجاره ناتئة، ووديه فيه البطحاء، وأرضه ربما فيها الشوك والشمس، مسافة ليست بالقليلة، ربما قريب ثلاثمائة وخمسين مترا، مسافة طويلة، تذهبها وترجع، وتجري في الوادي، مع قلة الطعام، ومع كثرة الهم والغم.

(فَقَالَتْ: صَهْ) يعني لنفسها، الإنسان يخاطب نفسه.

(قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ) أي: ما تُغيث به.

(فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا) يعني تزمزمه.

(لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا) لله حكمة، لو كان عينا ربما الآن يتأذى منه الطواف والسعاة، لكن لله حكمة.

(لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هاهُنَا بَيْتًا للهِ يَبْنِيهِ هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ، وإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ) احفظوا هذه الموعظة البليغة، لا تخافوا الضيعة، فإن الله لا يضيع أهله، فيا أهل الاستقامة، ويا أهل الديانة، استبشروا من الله بالفرج العظيم، وبالنصر والتمكين، وبالحفظ والكلاءة، وإذا أراد الله الابتلاء فنسأل الله اللطف في عباده، لكن الواقع: إن الله لا يضيع أهله.

يا أخي سلم المؤمنين في زمن الطوفان على سفينة، وسلم إبراهيم في وسط النار، وسلم يونس في بطن الحوت، وسلم عيسى بعد أن أحاطوا به لقتله، وسلم موسى ورُبي في بيت فرعون، وسلم محمد ا صل الله عليه وسلم وقد اجتمعوا على بيته، فخرج من بينهم، وأتى الغار الذي هو فيه، وسلم منهم، وأحاطوا به يوم أحد، وأصابوه وجرحوه، وسلم منهم.

فإن الله لا يضيع أهله، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [سورة الطلاق:٢] ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [سورة الطلاق:٤] .

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

لا تبتئس أبدا، ولا تحزن أبدا، ولا تيأس من روح الله عَزَّوَجَلَّ أبدا، فإن اليأس من روح الله كبيرة من كبائر الذنوب، والأمن من مكر الله كبيرة من كبائر الذنوب، وقد قلت في ذلك:

لا تيأسن من الإله فإنه ... بر كريم بالعباد خبيرُ
فليأس من روح الإله كبيرة ... والأمن من مكر الإله كبير
إن التوسط في الأمور يزينها ... ويفوح ريانا شذًى وعبير

فالإنسان لا يأس من روح له مهما كان، بيده الأمر، يصرفه كيف يشاء، أخرج أصحاب الغار بعد أن انطبقت عليهم الصخرة، في ليلة مظلمة، في ليلة مطيرة، ما عندهم من آلات السلامة شيء، عندهم الدعاء، فاستجاب لهم وأخرجهم، وكم هي الحوادث التي تذكر في هذا الباب من الفرج بعد الشدة! والله المستعان.

(مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ) كداء وكُدَي وكِدَا، ثلاث مناطق.

(أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟) كانت عند الناس مروءات، الآن ربما لو أتى بعضهم ووجد مثل هذه الحال يقتلها ويتخلص منها، لكن كان عند الناس مروءات.

وهذا دليل على أن من سبق إلى مباح فهو أحق به من غيره.

(وهي تُحِبُّ الأُنْسَ)؛ لأنها من مصر، أم إسماعيل من مصر، من مدينة، تحب الأُنس.

(وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ) تعلمها وبعد ذلك أتى بها على وجهها.

(فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ؛ وَشَكَتْ إِلَيْهِ) انظر إلى الزوجة السيئة، الله يهدي نساء المسلمين، يعني ما قالت: الحمد لله، وإن شاء الله يكون خير، ويأتي الله بالفرج، تسخطت، وأظهرت المعايب والمثالب، وهذه المرأة يضيق معها الصدر.

فإبراهيم حين أمره بفراقها؛ لشدة وطأتها على ولده، ربما يرجع من صيده متعب: ماذا أتيت لنا؟ ماذا أعطيت لنا؟ إلى متى نصبر على هذا الحال؟ وإلى متى كذا وكذا؟ لا أسوأ من سلاطة لسان المرأة على زوجها في إدخال الضيق عليه، ربما يكون له العدو الصائل أهون عليه من سلاطة لسان زوجته، فانظر إبراهيم قال: فارقها، مثل هذه ما يبقى معها.

(الْحَقِي بِأَهْلِكِ) هذا دليل على أن كلمة (الحقي بأهلك) ليست بطلاق صريح، لكنها إن نواه الطلاق تقع طلقة.

(اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ) ولذلك بلاد مكة كانت بلاد صيد، وإلى الآن بلاد لحم وبلاد ماء، وتجدهم يَشكرون: يسمنون باللحم والماء.

(فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ) تعانقا، كل منهم يرحب بالثاني، وسرور.

(قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ...) انظروا إلى هذا الهدي العظيم، الآن بعض الآباء قد يضغط ولده ضغطا في بعض أعماله: اعمل وأد إلي، أو: ابني بيتا ويكون لأخيك من أبيك فقط، لابن الضرة الثانية لأمه، ويجبره إجبارا، ولا يراعي له حالا، وانظروا إلى هذا: يا إسماعيل وتعينني؟ يتلطف به، ويأتيه بالكلام الطيب.

ألا فليكن الآباء على هذا المنهال، وليكن الأبناء على هذا الحال، فإنها والله السعادة أن يقع التوافق بين الآباء والأبناء، وبين الأزواج والزوجات.

(وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحجارة وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) تعاون على البر والتقوى.

حديث عظيم، انظروا لما تفانوا في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورضوا بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ والتزموا أمر الله عَزَّوَجَلَّ جعل الله أفعالهم يقتدى بها إلى يوم القيامة، وكم لهم من الأجور! وكم لهم من الثناءات عند المؤمنين!

السعي بين الصفاء والمرأة فُرض علينا؛ إحياء لطريقة هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ في البحث عن طعام ولدها، رمي الجمار، الوقوف بعرفة، المبيت بمزدلفة، المبيت بمنى، وهكذا الطواف كله، من مقامات إبراهيم، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٩٦-٩٧].

قال العلماء: ليس المراد بمقام إبراهيم هنا الحجر الذي يصلى عنده في صحن الكعبة، ولكن المراد: جميع مقامات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشعائر المقدسة، ومن الأفعال المشروعة في الحج والعمرة.

وهذه قصة فيها عظيم التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، وحسن الاعتماد عليه، وطاعة المرأة لزوجها، وعناية الزوج بزوجته، وهكذا الطاعة فيما بين الزوجات والأزواج، وما بين الأبناء والآباء، ورفق الاباء بالأبناء، إلى غير ذلك مما سمعتموه وتلي عليكم.

١٨٦٨ - وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» متفق عَلَيْهِ(١).

الشرح:

يعني (مِنَ المَنِّ)؛ لأنها تُنال بدون تعب ولا نصب، إنما يحفر الإنسان في الأرض قليلا ثم يجمع منها الشيء الكثير، فتؤكل، ويستفاد منها، وإذا أراد الإنسان أن يقطر منها في عينه ربما تذهب بعض الالتهابات، لكن لا بد من تخفيفها؛ لأن بعضها لا سيما الأسود منها والأحمر يكون ماؤه حارا، ربما يؤدي إلى الالتهاب، أو إلى تلف العين، بينما الأبيض أخف، فما كان منها شديد الحرارة له أن يخففه بالماء.

وهي مثل البطاطا، وحتى نشأتها تحت الأرض مثل البطاط، وشجرها يسير، فكثير من الناس يعرفونها بالحفر لها، والله المستعان.

بهذا نكون قد انتهينا مما يتعلق بكتاب المنثورات والملح، منثورات أحاديث من هاهنا ومن هاهنا، وفيها ملاحة، وفيها استطراف، وفيها فوائد، وتضمنت أشراط الساعة، وتضمنت مثل هذه الأحاديث العظيمة الجميلة الجليلة، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩).

كتاب الاستغفار

الاستغفار: طلب المغفرة، وهو من العبادات الجليلات التي بعث بها الرسل، وأنزلت بها الكتب، ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [سورة هود:٣] ، في آيات كثيرات يخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين حيث يدعوهم الأنبياء والمرسلون، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [سورة هود:٥٢] ، ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [سورة نوح:١٠] ، ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢] .

والاستغفار يكون على أنواع:

النوع الأول: على ترك المأمور، فمن ترك المأمور الواجب فقد ارتكب معصية يحتاج معها إلى الاستغفار والتوبة.

الثاني: الاستغفار من فعل المحظور، فمن فعل ما نهي عنه من المحرمات فقد ارتكب محظورا يحتاج منه إلى الاستغفار.

الثالث: الاستغفار بعدم الصبر على المقدور، ولذلك كان النبي ﷺ إذا انتهى من الصلاة استغفر، وإذا انتهى من الحج استغفر، وفي آخر الليل تجد المؤمنين يستغفرون، إلى غير ذلك؛ لعظيم فضيلة هذه الشعيرة العظيمة.

ومن ضاق حاله وتأخر فرجه فعليه بكثرة الاستغفار، بالاستغفار سلم الله عَزَّوَجَلَّ يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأخرجه من بطن الحوت، حيث قال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى

كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

بالاستغفار سلم الله عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن أكل من الشجرة وتاب عليه، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:٣٧] ، والكلمات: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:٢٣] .

وموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث قتل القبطي استغفر الله عَزَّوَجَلَّ وأناب إليه: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص:١٦] .

وهكذا حتى عزيز مصر يقول لامرأته: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ [سورة يوسف:٢٩] ، فهي شعيرة عظيمة يلزمها الجميع.

٣٧١ - باب الأمر بالاستغفار وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [سورة محمد:١٩] .

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٠٦] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [سورة النصر:٣] .

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾ [سورة آل عمران:١٥] إِلَى قَولِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [سورة آل عمران:١٧] .

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة النساء:١١٠] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٣٣] .

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥] .

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح:

(﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾) قال بعض السلف حين قال له أحدهم: أستغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ولك، استدل بهذه الآية ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [سورة محمد:١٩] .

(﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾): متجاوزا موفقا مسددا.

(﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾) يتوب على من استغفره، ورجع إليه وأناب.

(﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾) يعني: الذين يصلون بالأسحار، وقيل: على ظاهرها الذين يدعون الله ويطلبون منه المغفرة.

(﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾) فالاستغفار جالب للبركات مبعد للنكبات.

(﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) أي فاحشة أي ذنب يشرع الاستغفار منه، ويجب الاستغفار من كل ذنب ومعصية، لا سيما الكبائر، في كل وقت، من ليل أو نهار.

وهل يشترط في التوبة الاستغفار؟ ذهب بعض أهل العلم إلى ذلك، فلو قال: أتوب إلى الله قال بعضهم: يلزمه أن يقول: استغفر الله، حديث أنس: **«يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي»**، ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥] .

١٨٦٩ - وعن الأَغَرِّ المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُول اللهِ ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وإِنِّي لأَسْتَغفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

وذكر العلماء: أن الغين الذي يكون على قلب النبي ﷺ لانشغاله عن الذكر بتجهيز الجيوش، وقضاء حوائج المسلمين، فكيف بنا الذين يقع منا الغفلة الشديدة بسبب ذنوب ومعاصي وإعراض ونحو ذلك؟ ومع ذلك كان النبي ﷺ كثير

(١) حديث رقم: (٢٧٠٢).

الاستغفار، حتى يعد له في المجلس الواحد: «ربي اغفر لي وتب عليه إنك أنت التواب الرحيم» أكثر من مائة مرة.

١٨٧٠ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمعتُ رَسُول اللهِ ﷺ يقولُ: «وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَومِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري[1].

١٨٧١ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه مسلم[2].

الشرح:

في هذا الحديث فضيلة الاستغفار، وأما من استدل بهذا الحديث على تسويغ الذنوب وارتكابها فلا دلالة له فيه، وإنما هذا أوتي من جهله، وإنما معنى الحديث: أن ما بقي الناس على ذنب وتوبة، وعلى معصية ورجوع، على سنة وبدعة فهم في دار ابتلاء، يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بالمعرضين، ويبتلي الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بالتوبة والعودة إلى الرب الرحيم، فيقع منهم ذلك، أما المجرم لا يقع منه ذلك.

وإذا تمالأ أهل الأرض كلهم على الإجرام وعلى الكفر قامت الساعة، «لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: الله الله».

(١) انظر الحديث (١٣).

(٢) انظر الحديث (٤٢٢).

١٨٧٢ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كُنَّا نَعُدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المَجْلِسِ الواحِدِ مئةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[1]». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب[2].

الشرح:

قيل: هذا الذكر يقال في صلاة الضحى، وقيل في غيرها، والذي يظهر أنه من الأذكار المطلقة.

١٨٧٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ». رواه أبو داود[3].

الشرح:

ومعناه صحيح، يدل عليه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة نوح:١٠-١٢]، وأيضا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود:٥٢] ، والنبي ﷺ يقول: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا».

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على أن التوبة من أسباب تفريج الكرب، وقضاء الحاجات، وإصلاح الحال والمآل.

---

(١) جاء في بعض النسخ: «الغفور الرحيم».

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤).

(٣) حديث رقم: (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩) وأحمد، وهو ضعيف، في سنده الحكم بن مصعب المخزومي، مجهول، وقد ضعفه الألباني.

١٨٧٤ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وإِنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ». رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم[1].

الشرح:

أما تقييده بأذكار الصباح والمساء لا يثبت، ولكن هو ذكر مطلق.

(وَأَتُوبُ إِلَيهِ) من الذنوب والمعاصي، (غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ): سيئاته، (وإِنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ)، وليس في هذا أن الكبائر تكفر بالطاعات، وإنما الكبائر تكفر بالتوبة، فهذا الذي يقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه هذا قد تاب، فقوله: (وإِنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ) المغفرة بالتوبة لا بمجرد الطاعة؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [سورة النجم:٣٢] ، فمن شروط مغفرة الصغائر: البعد عن الكبائر.

١٨٧٥ - وعن شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». رواه البخاري[2].

(أبوءُ) بباءٍ مَضمومةٍ ثم واوٍ وهمزة ممدودة ومعناه: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧)، والحاكم (١/ ٥١١).

(٢) حديث رقم: (٦٣٠٦).

الشرح:

أولا: ليس لشداد بن أوس في البخاري إلا هذا الحديث.

ثانيا: هذا الحديث كان سيدا للاستغفار؛ لما تضمنه من المعاني البليغة، فإن المستغفر جمع فيه بين الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، والتذلل، والخضوع، والاعتراف بالنعمة.

(سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ) دليل على أن الاستغفار أنواع، وبعضها أفضل من بعض، وكلما تضمن الاستغفار وصف الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليه كان أفضل، وهكذا الاعتراف بالذنب، والاعتراف بالتقصير، والاعتراف بعظيم نعمة الله على العبد.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ): التوسل بالتوحيد.

(خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ) التوسل بضعفه وعبوديته لربه.

(وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ): على توحيدك، **(وَوَعْدِكَ)** طالب لوعدك راجيا له.

(مَا اسْتَطَعْتُ) ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦] .

(أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ) استعاذة من جميع الشرور والآثام، من كبيرها وصغيرها.

(أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ): اعتراف بعظيم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على العبد، من النعم اللازمة والمتعدية، من النعم الحسية والمعنوية، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم:٣٤].

(وأَبُوءُ بِذَنْبِي): أعترف بذنبي وبتقصيري، وأستغفرك منه وأتوب إليك.

(فَاغْفِرْ لِي) ذنوبي، واستر عيوبي.

(فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:١٣٥] ، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢] ، وبذلك تعلم ضلال من يدعو النبي ﷺ لمغفرة ذنوبه.

(مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ) لأنه مات على توبة، (وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ) لأنه مات على توبة، لكن بشرط الإيقان، بشرط الإيمان، ليس بمجرد النطق بها.

١٨٧٦ - وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللهَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ».

قيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ - وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ-: كَيفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: يقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[1].

الشرح:

أي ثلاث مرات، فانظر إلى هذا الموطن للاستغفار بعد أن يأتي بالصلاة التي هي من مكفرات الذنوب، وهو في طاعة لرب العالمين، ومع ذلك يلزم الاستغفار.

١٨٧٧ - وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» متفق عليه[2].

الشرح:

يتأول قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [سورة النصر: ١-٣].

(١) انظر الحديث (١٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

وجمع بين التسبيح الذي هو التنزيه، وبين الحمد لله الذي هو الثناء، قبل طلب المغفرة.

١٨٧٨ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن[1].

(عَنَانَ السَّمَاءِ) بفتح العين: قِيلَ هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَيْ ظَهَرَ.

(وَقُرَابُ الأَرْضِ) بضم القاف، ورُوي بكسرِها، والضم أشهر، وَهُوَ ما يُقَارِبُ مِلأَها.

الشرح:

(قَالَ اللهُ تَعَالَى) فيه إثبات كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي) لطلب الحاجات، ولدفع الكربات.

(وَرَجَوْتَنِي) الرجاء، والتأمل أن الله عز و جل يستجيب لك، ويحقق لك بغيتك.

(غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي)؛ لأن الله لا يعجزه شيء، الكافر يكون قد ارتكب آلاف الكبائر، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ غفر له جميع ذنوبه، وبدلت سيئاته حسنات، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ

(١) حديث رقم: (٣٥٤٠)، هذا الحديث في سنده كثير بن فائد، مجهول الحال، لكن الحديث له شواهد، تابعه كثير، تابعه سلمة بن قتيبة عن بكر بن أنس، كما ذكر المحقق، وأصله في مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾ [سورة طه:٨٢] ، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال:٣٨] .

(يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ) في الكثرة والعظمة.

(ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي) فضيلة التوبة.

(يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) فضل التوحيد، والتحذير من الشرك والتنديد، فإن من مكفرات الذنوب: ملازمة التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، واعتقاد التوحيد، فلذلك ذلك الرجل الذي يؤتي له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر تكفرها التوحيد.

١٨٧٩ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، قالت امرأةٌ مِنْهُنَّ: مَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»، قالت: ما نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قال: «شَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأَيَّامَ لَا تُصَلِّي». رواه مسلم[(١)].

الشرح:

في هذا الحديث حث النبي ﷺ للنساء على الإكثار من الاستغفار، مع كثرة ذنوبهن واستحقاقهن للنار بسبب كثرة الذنوب دلهن على المكفر لذلك وهو الاستغفار.

فينبغي للإنسان ألا يبخل على نفسه باستغفار اللسان، مع استحضار القلب، مع بعد الجوارح عن الذنوب والمعاصي.

(يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ) فيه موعظة النساء وأهمية ذلك.

(١) حديث رقم: (٧٩).

(تَصَدَّقْنَ) فيه فضيلة الصدقة، فهي من مكفرات الذنوب.

(وأَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ) يعني باللسان مع تواطئ القلب.

(فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) أطلعه الله عَزَّوَجَلَّ عليها، قال: **«نظرت إلى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»**.

(قالت امرأةٌ مِنْهُنَّ: مَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟) السؤال عما يشكل.

(تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ) لعن الأزواج، لعن الأبناء، لعن الدواب.

(وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ) في رواية: **«تكفرن»**، قال: الكفر بالله؟ قال: **«لا، كفران العشير»**، بحيث أنها لا تنظر إلى نعمته عليها، وعلى إحسانه إليها، وفي الحديث: **«خير ما يدخره الإنسان قلبا شكورا، ولسانا ذاكرا، وزوجة صالحة تعينه على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ»**.

وكثير من النساء في هذا الباب كما يقول العامة: صفر على الشمال، يعني: فاشلات في حسن العشرة مع أزواجهن، وحسن التبعل والتجاوز، وغير ذلك مما يلزم لعمارة البيت بالسكينة والهدوء، وصلاح الحال، فحق الزوج على امرأته عظيم، كما أن المرأة لها حق، لكن حق الزوج عظيم، فينبغي للمرأة أن تعتني به، وأن تستغفر ربها من التقصير فيه.

(مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ) نقصان الدين: أنها تمكث الأيام لا تصلي، وتفطر في رمضان، ونقصان العقل: أن شهادتها بشها بنصف شهادة الرجل، هذا دليل على أنها لا تضبط.

ولذلك تجد كثيرا من النساء تذهب وتقول: زوجي طلقني، وعند المحاققة تجد أن الزوج ما طلقها، لو سألت الزوج تجد أن الزوج ما طلقها، ولكن لنقصان عقلها تحمل بعض الكلام على الطلاق، وهكذا.

٣٧٢ - باب بيان مَا أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر:٤٥-٤٨].

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٨-٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الدخان:٥١-٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿١٤﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الانفطار:١٣-٢٨].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح:

وهو آخر باب.

(﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ ...) آيات بينات واضحات جليلات في بيان منزلة المتقين عند ربهم في جنات النعيم.

(﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾) دار نعيم، دار نعيم في مأكولاتها، في ملبوساتها، في مشروباتها، في سكناها، في جميع شأنها.

(﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾) عيون من خمر، وعيون من عسل، وعيون من لبن، وعيون من ماء.

(﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾): الحرير الطيب الخالص.

(﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾) حوريات يأتي وصف بعضهن.

(﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾): يطلبون فيها، (﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾): يؤتون فيها بكل فاكهة، بكل أنواع الفاكهة، مع أمنهم، لا يخافون الموت، ولا يخافون ما ينغصهم.

(﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾) التي كانت في الدنيا.

(﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا النعيم الذي هم فيه، (﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾): الفوز الواسع.

(﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾) لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾): البهاء، والصفاء؛ لكثرة النعيم الذي هم فيه.

(﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾) قيل: يغلق عليه بالمسك، وقيل: خاتمة شربه مسك.

(﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾) إلى الجنة ليشمر المشمرون.

(﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾) أي: هذا الشراب (﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾) وتسنيم هذا (﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾).

(والآيات في الباب كثيرة معلومة) منها الآيات التي في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن:٤٦] ، ومنها كثير من الآيات التي وصفها الله بها الجنة وصفا عظيما، من تأمله شمر، وعن الفتور أعرض.

١٨٨٠ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». رواه مسلم(١).

الشرح:

وهل هذه الأمور توجد في الدنيا؟ أبدا، تجد أحدهم يتغوط، ولا بد، وإلا لكان مريضا، ويشرب ولا بد، وإلا للحقته الهلكة، ويمتخط من تغير الجو، أو من الزكام، أو نحو ذلك، وهكذا البول يلازمه، لا سيما إذا كان مصابا ببعض الأمراض، ربما يحتاج إلى الحمام في كثير من الأوقات، بينما في الجنة سلم من هذه المنغصات.

ومع ذلك طعامهم يأكلون ويشربون ويتنعمون ويذهب جشاء كالمسك الأزفر، الآن الجشاء رائحته كريهة.

١٨٨١ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة:١٧] ». متفق عَلَيْهِ(٢).

الشرح:

وهذا دليل على أن الجنة جنان، فيها مُعَد ومذكور ما فيها، وفيه ما لم يذكر، وأحال الله فيه على الغيب الذي اختص به عباده المؤمنين.

---

(١) حديث رقم: (٢٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

١٨٨٢ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ - عُودُ الطِّيبِ - أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» متفق عَلَيْهِ(١).

وفي رواية البخاري ومسلم: «آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا».

قوله: «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحِدٍ» رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح.

الشرح:

وهؤلاء الزمرة يدخلون بغير حساب والأعذاب.

وفيه تفاوت الناس في مراتب الجنة بتفاوتهم في أعمالهم.

(«عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحِدٍ» رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح) أي: على خلُق رجل واحد أو على خلْق رجل واحد.

وانظر إلى عظيم نعيم الجنة (لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا) يكون حالهم في الكمال من حيث العبادة كحال الملائكة، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم:٦] ، إلا أنهم مع ذلك يتنعمون في الجنة ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة:١٧].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

١٨٨٣ - وعن المغيرةِ بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسُولِ الله ﷺ قال: «سألَ مُوسَى ﷺ رَبَّهُ: ما أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وأخَذُوا أخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيَقُولُ في الخامِسَةِ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». رواه مسلم[1].

الشرح:

هذا من الأحاديث العظيمات الدالة على عظيم شأن الجنة، إذا كان أدنى أهل الجنة منزلة يعطى مثل الأرض عشر مرات، أو يعطى مثل ملك من ملوك الدنيا عشر مرات، فكيف بأعلاهم منزلة؟ شيء عجيب في نعيمها.

١٨٨٤ - وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنِّي لأعْلَمُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ، فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشرَةَ أمْثَالِهَا، أوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أتَسْخَرُ بِي، أوْ

(١) حديث رقم: (١٨٩).

تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ». قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: «ذلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً» متفق عليه(١).

الشرح:

الحديث ظاهر المعاني.

وفيه إثبات صفة الضحك لله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات الفعلية.

١٨٨٥ - وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا» متفق عليه(٢).

(المِيلُ): سِتة آلافِ ذِراعٍ.

الشرح:

وهذا من عظيم نعيم الجنة، **(إِنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ)** ليست من الخزف، وليست من القماش، وإنما من لؤلؤة، لا تحتاج إلى أعمدة، ولا فيها ما ينغص.

(مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا) إذا كان طولها ستون ميلا فكم عرضها؟ لأن العرض في الغالب أوسع بكثير من الطول، فتخيل إذا كان الطول ستون ميلا، ربما من هنا إلى أبعد من حصوين، سبحان الله! كم سيكون العرض في هذه الخيمة العظيمة التي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا إياها، وما شاء من النعيم.

(لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ) زوجات، وخدم وحشم.

(يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ) على زوجاته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).

١٨٨٦ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا» متفق عليه(١).

ورواياه في الصحيحين أيضًا من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا»(٢).

الشرح:

نوع من شجر الجنة، قيل: هي طوبى، وقيل غير ذلك.

(يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ) يعني ليس كل خير؛ لأن الخيل يختلف، مثل البراذين ومثل الخيل التي لم تضمر تجري قليلا وتتعب، لكن الجواد المضمر الذي قد التصق بطنه بظهره، يجيعونه، ويغطونه بالجلود، فيرشح، ويصيبه الجوع، ثم يعطونه، وهكذا، حتى يتضمر، بحيث يتحمل المشاق، فهذا مائة سنة وما يقطع هذه الشجرة، يعني ما يصل إلى حدود جذعها، فكيف بأوراقها؟ وكيف بفروعها؟ شيء عظيم.

(فِي ظِلِّهَا) الجنة ليس فيها شمس، وهي ظل ممدود.

١٨٨٧ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالُوا: يا رسول الله تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لَا يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قال: «بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه(٣).

الشرح:

نالوها بالعمل الصالح، وأكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بفضله العظيم.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

١٨٨٨ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ» متفق عليه(١).

الشرح:

قيل: قاب القوس: هو المسافة التي ما بين الوتر وبين المكان الانحناء، هذه المسافة التي يكون فيها السهم، قاب القوس، وقيل غير ذلك، لكن هذا أظهر.

١٨٨٩ - وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا». رواه مسلم(٢).

الشرح:

شيء عظيم، شيء عظيم من نعيم الجنة يزداد عليهم كل جمعة، كما كانوا في الجمعة يأتون المساجد طلبا للحسنات ففي الجنة يأتون ذلك الموضع طلبا للمكرمات، فيجازيهم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الجزاء العظيم، يزداد جمالهم وجمال نسائهم، يزداد بهاؤهم، وبهاء نسائهم، يزدادون خيرا إلى خيرهم، وفضلا إلى فضلهم.

ليس هناك ما ينغصهم، نحن في الدنيا نعايش المنغصات، الفقر ينغص ويجعل وحشة بين الزوج وزوجته، وهكذا كثرة الاختلافات، وتنافر القلوب، أما الجنة لا فقر، لا تباغض، لا تحاسد، لا تقاطع، لا تدابر، كله على حال قلب واحد في الخير والصلاح، والذكر، ونحو ذلك، فتنشرح صدورهم، ويزداد بهاؤهم، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس:٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٣)، والحديث انفرد به البخاري، ومن أوهام النووي قوله: متفق عليه.

(٢) حديث رقم: (٢٨٣٣).

١٨٩٠ - وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءونَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ» متفق عليه(١).

١٨٩١ - وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْتُ مِنَ النبيّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فيهَا مَا لَا عَينٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [سورة السجدة:١٦] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة:١٧] . رواه البخاري(٢).

١٨٩٢ - وعن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكمْ أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». رواه مسلم(٣).

الشرح:

يعني تنتهي فيها المنغصات، وتبقى فيها أسباب السعادات.

١٨٩٣ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ أدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». رواه مسلم(٤).

١٨٩٤ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ،

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).

(٢) انفرد به مسلم (٢٨٢٥)، واتفق عليه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حديث رقم: (٢٨٣٧).

(٤) حديث رقم: (١٨٢).

فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». متفق عليه[1].

الشرح:

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة التوبة:٧٢] ، وأدخلهم الله عَزَّوَجَلَّ بعد أن رضي عنهم الجنة، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة:١١٩].

وفيه إثبات صفة الرضا لله، وهي من الصفات الفعلية، وإثبات صفة السخط لله، وهي من الصفات الفعلية، ورضا الله لأهل الجنة، وسخط الله على أهل النار، يسخط عليهم سخطا لا يرضى عنهم بعده أبدا، وأهل الجنة يرضى عنهم رضا لا يسخط عليهم بعده أبدا.

١٨٩٥ - وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» متفق عليه[2].

الشرح:

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ) أي: يوم القيامة.

(كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي.

وفيه بيان لقول النبي ﷺ: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، فهذه مسألة عقدية مهمة، وهي اعتقاد أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، يرونه في موطنين:

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) انظر الحديث (١٠٥١)، وهذا لفظ البخاري، ولفظة: «عيانا» منتقدة، تفرد بها أبو شهاب عبد ربه بن نافع الكناني الحناط، وهو وإن كان ثقة إلا أنه زادها، مع أنها موافقة.

المواطن الأول: في أرض المحشر، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]، نضرت وجوههم بنظرها إلى ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم في الجنة، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [سورة المطففين:٢٣].

١٨٩٦ - وعن صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ».

رواه مسلم[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [سورة يونس:٩-١٠].

الشرح:

(فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ) وفيها زيادة: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [سورة يونس:٢٦] ، فسرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله.

(﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾) يهديهم ربهم إلى الجنة بسبب إيمانهم.

﴿فِي جَنَّٰتِ﴾: بساتين، **﴿ٱلنَّعِيمِ﴾**: الإقامة.

(﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾) دعواهم تنزيه الله عن النقائص، وتحيتهم مع بعضهم، ويحييهم ربهم بالسلام.

(﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾) حين يُقضى بين الخلائق قال: **(﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)**.

---

(١) حديث رقم: (١٨١).

هكذا ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب بأحاديث الاستغفار مشيرا إلى أهمية كفارة المجلس، «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فالنبي ﷺ كان ينتهي من مجالسه بالاستغفار والتوبة، والإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ثم ختم بوصف الجنة وما فيها من الخير العظيم، وما فيها من الفضل العميم، الذي ينبغي أن يشمر له المشمرون، وأن يتنافس من أجله المتنافسون، وأن يدعو المرء ربه في صباحه ومسائه وليله ونهاره أن يدخله هذه الدار التي من غمس فيها غمسة نسي نكد الحياة، ما بالك بمن يسكنها ويقطنها بجوار محمد صل الله عليه وسلم؟ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [سورة القمر:٥٤-٥٥]، في جوارهم لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهكذا يجاورون الأنبياء والمرسلين كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [سورة النساء:٦٩-٧٠].

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعلى آلِ إِبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إبراهيم في العالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قال مؤلِّفُهُ يحيى النووي غفر الله له: فَرَغْتُ مِنْهُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ رَابِعَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِدِمشق.

ونحن بحمد الله فرغنا من قراءته ليلة السابع والعشرين من شعبان، سنة أربعة وأربعين وأربعمائة وألف، وكما ترون أنه كتاب عظيم النفع، كثير الفائدة، قد حشاه

مؤلفه بالأحاديث الكثيرة، والآيات الدالة على المواضيع المفيدة لمن تأملها ولمن حفظها.

فكم قد صُنف في باب الترغيب والترهيب! ومع ذلك لم يأت أصحاب تلك التصانيف بمثل ما جاء به النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم (رياض الصالحين)، ومع كثرة أحاديثه قلَّت الأحاديث الضعيفة فيه، وسبب ضعف الكثير منها: أنه اعتمد تصحيح الأئمة كأبي داوود والترمذي ومن إليهم، وإلا فهو من أهل الحديث.

فالنصيحة لطلاب العلم: بحفظ هذا السفر المبارك، وإدامة النظر فيه، فإنهم يستعينون به بعد الله على حسن الخطابة، وحسن المحاضرة، ومعرفة السنن، ومعرفة الآداب، وكم فيه من الأبواب المفيدة لمن تأملها، فتجد فيه المنثورات والملح، وتجد فيه القصص، وتجد فيه الأدعية والأذكار، وتجد فيه الترغيب والترهيب، وتجد فيه الخير العظيم، والله المستعان.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبل منا قراءة هذا الكتاب، وأن يجعله نافعا لنا في حياتنا ومماتنا، وأن يجعله خالصا لوجهه، وأن يجعله نافعا لعباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتاب (رياض الصالحين) كاسمه رياض الصالحين، يستفيده أهل العلم، وأما جماعة التبليغ ومن إليهم لا سيما فرع العرب منهم الذي يتخذ من كتاب (رياض الصالحين) كتابا له فربما يجهل معانيه.

مرة كنا في صنعاء ونحن ما قد عرفنا طريقة السلف أصحاب الحديث، وإنما كنا نحب دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الفطرة التي فطرنا عليها بفضل الله، ثم بسبب ما كنا عليه من ملازمة الآباء، وما نرى منهم من محبة الخير، ولم يكن قد كثر الشر والضير كحال الناس الآن.

فجاءت مجموعة من جماعة التبليغ إلى مسجد الحسين بن علي في شارع هائل، وهو مسجد للشيعة، ما كنا نعرف أن هناك شيعة وهناك سنة، كنا نصلي فيه، وكانوا يجتمعون بعد الفجر يقرؤون قرآنا، وكل منا يقرأ ما يسر الله له، وهكذا بعد المغرب كان المسجد منتعشا بالقارئين لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتكلم المتكلم من جماعة التبليغ، وذكر في آخر مجلسه هذا الحديث حديث صهيب، فقام بعد العشاء ذلك الرافضي يعقب عليه، وعلى أن الله لا يُرى في الآخرة، وأن هذا كلام غير مقبول، ولم يكن لدى ذلك التبليغي من علم للرد على ذلك الرافضي إلا أنه يقول له: الحديث في (رياض الصالحين)، الحديث في (رياض الصالحين).

نعم الحديث في (رياض الصالحين)، والأدلة كثيرة على إثبات هذه الشعير العظيمة، وعلى هذه العقيدة المهمة، التي تواترت الأدلة على إثباتها، سواء مما كان منها في القرآن ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [سورة المطففين:٢٣]، ﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦] ، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق:٣٥] ، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣]، إلى غير ذلك من الأدلة، مع الأحاديث المتواترة المتكاثرة.

فأنا أهيب بطلاب العلم حفظهم الله على العناية بهذا الكتاب، والإكثار من القراءة، ومن استطاع أن يحفظه أن يحفظه، ويديم النظر فيه حتى يتقنه، بعد ذلك سيجد أنه يغترف منه اغترافا، أما أن تحفظه مثلا حفظ المرور ثم تتركه يضيع، لكن اقرأ فيه، وراجع فيه، حتى يكون عندك كما تحفظ القرآن، أو قريبا من ذلك، ثم بعد ذلك تستطيع.

وليس بالضرورة مثلا أن تتكلم عن الإخلاص ما تأتي إلا بالأحاديث التي ذكرها في باب الإخلاص، ستجد في باب التوبة أحاديث تدل على الإخلاص، في باب

الصدق أحاديث تدل على الإخلاص، في باب المنهيات أحاديث تدل على الإخلاص، في باب العلم أحاديث تدل على الإخلاص.

فالكتاب مرجع عظيم، مرجع طيب كريم، ونرجو أن صاحبه قد أخلص فيه، فلذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ لهذا الكتاب قبولا بين عباد الله الصالحين، والله المستعان وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

وانظروا مع أننا كنا نقرأ في الأسبوع درسا كيف جعل الله بركة! الإنسان مع العلم يصل إلى تحصيل الكثير.

اليوم شيء وغدا مثله ... من نخب العلم التي تُلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

ولو أن بعضهم بدأ في الحفظ معنا لربما انتهى منه معنا، ثم يرجع ويراجعه، ويستفيد منه في خطبه، وفي محاضراته، وفي جميع شأنه، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.

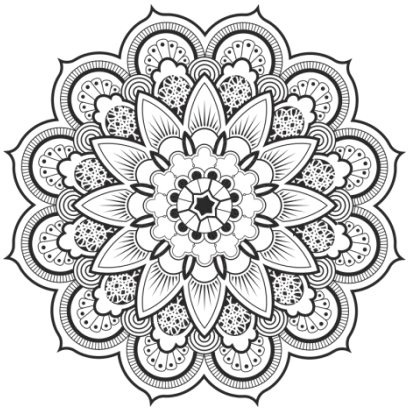

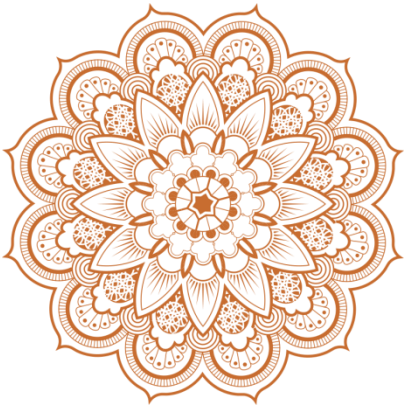

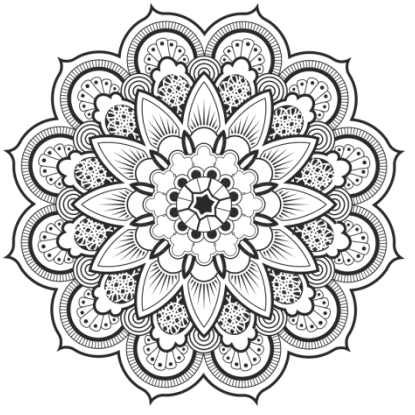

الفهرس

كتاب الأمور المنهي عنها ٣

٢٥٤ – باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان ٣

٢٥٥ – باب تحريم سماع الغيبة، وأمر من سمع غيبةً مُحرَّمةً بِرَدِّها والإنكارِ عَلَى قائلها، فإنْ عجز أَوْ لَمْ يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه ٢١

٢٥٦ – باب مَا يباح من الغيبة ٢٤

٢٥٧ – باب تحريم النميمة وهي نقل الكلام بَيْنَ الناس عَلَى جهة الإفساد ٣٣

٢٥٨ – باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إِلَى ولاة الأمور إِذَا لَمْ تَدْعُ إِلَيْهِ حاجة كخوف مفسدة ونحوه ٣٦

٢٥٩ – باب ذمِّ ذِي الوَجْهَيْن ٣٨

٢٦٠ – باب تحريم الكذب ٤١

٢٦١ – باب بيان مَا يجوز من الكذب ٥٦

٢٦٢ – باب الحثّ عَلَى التثبت فيما يقوله ويحكيه ٥٨

٢٦٣ – باب بيان غلظ تحريم شهادة الزُّور ٦٢

٢٦٤ – باب تحريم لعن إنسان بعينه أَوْ دابة ٦٥

٢٦٥ – باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين ٧٢

٢٦٦ – باب تحريم سب المسلم بغير حق ٧٤

٢٦٧ – باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحةٍ شرعية ٧٨

٢٦٨ – باب النهي عن الإيذاء ٨٣

٢٦٩ - باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر ٨٦

٢٧٠ - باب تحريم الحسد ٩٢

٢٧١ - باب النَّهي عن التجسُّس والتَّسَمُّع لكلام من يكره استماعه ٩٥

٢٧٢ - باب النهي عن سوء الظنّ بالمسلمين من غير ضرورة ١٠٢

٢٧٣ - باب تحريم احتقار المسلمين ١٠٣

٢٧٤ - باب النهي عن إظهار الشماتة بِالمُسْلِم ١٠٧

٢٧٥ - باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع ١٠٩

٢٧٦ - باب النهي عن الغش والخداع ١١١

٢٢٧ - باب تحريم الغدر ١١٤

٢٧٨ - باب النهي عن المنِّ بالعطية ونحوها ١١٩

٢٧٩ - باب النهي عن الافتخار والبغي ١٢١

٢٨٠ - باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إِلاَّ لبدعة في المهجور، أَوْ تظاهرٍ بفسقٍ أَوْ نحو ذَلِكَ ١٢٥

٢٨١ - باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إِلاَّ لحاجةٍ وَهُوَ أن يتحدثا سرًا بحيث لا يسمعهما وفي معناه مَا إِذَا تحدثا بلسان لا يفهمه ١٣٢

٢٨٢ - باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أَوْ زائد عَلَى قدر الأدب ١٣٤

٢٨٣ - باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حَتَّى النملة ونحوها ١٤٢

٢٨٤ - باب تحريم مطل الغني بحقٍّ طلبه صاحبه ١٤٤

٢٨٥ - باب كراهة عود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إِلَى الموهوب لَهُ، وفي هبة وهبها لولده وسلمها أَوْ لَمْ يسلمها، وكراهة شرائه شَيْئًا تصدّق بِهِ من الَّذِي تصدق عَلَيْهِ أَوْ أخرجه عن زكاة أَوْ كفارة ونحوها، وَلا بأس بشرائه من شخص آخر قَدْ انتقل إِلَيْهِ ١٤٥

٢٨٦ - باب تأكيد تحريم مال اليتيم ١٤٨

٢٨٧ - باب تغليظ تحريم الربا ١٥١

٢٨٨ - باب تحريم الرياء ١٥٥

٢٨٩ - باب مَا يتوهم أَنَّه رياء وليس هُوَ رياء ١٦٣

٢٩٠ - باب تحريم النظر إِلَى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية ١٦٤

٢٩١ - باب تحريم الخلوة بالأجنبية ١٧٢

٢٩٢ - باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذَلِكَ ١٨٦

٢٩٣ - باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار ١٩١

٢٩٤ - باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد ١٩٤

٢٩٥ - باب النهي عن القَزَع وَهُوَ حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حَلْقِهِ كُلّهِ للرجل دون المرأة ١٩٥

٢٩٦ - باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان ١٩٨

٢٩٧ - باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما، وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه ٢٠٤

٢٩٨ - باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر ٢٠٥

٢٩٩ - باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائمًا لغير عذر ٢٠٦

٣٠٠ - باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره ٢٠٨

٣٠١ - باب النهي عن التكلف، وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة ... ٢١٠

٣٠٢ - باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور ٢١١

٣٠٣ - باب النَّهي عن إتيان الكُهّان والمنجِّمين والعُرَّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك ٢١٧

٣٠٤ - باب النهي عن التَّطَيُّرِ ٢٢٧

٣٠٥ - باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصورة ٢٢٩

٣٠٦ - باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع ٢٣٩

٣٠٧ - باب كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر ٢٤١

٣٠٨ - باب كراهة ركوب الجَلاَّلة، وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة، فإنْ أكلت علفًا طاهرًا فطاب لَحمُهَا زالت الكراهة ٢٤٣

٣٠٩ - باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه، والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار ٢٤٤

٣١٠ - باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فِيهِ ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات ٢٤٧

٣١١ - باب نهي من أكل ثومًا أَوْ بصلًا أَوْ كراثًا أَوْ غيره مِمَّا لَهُ رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إِلاَّ لضرورة ٢٥١

٣١٢ - باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب لأنَّه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء ٢٥٥

٣١٣ - باب نهي من دخل عَلَيْهِ عشر ذي الحجة وأراد أَنْ يضحي عن أخذ شيء من شعره أَوْ أظفاره حَتَّى يضحّي ٢٥٦

٣١٤ - باب النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان، والأمانة وهي من أشدها نهيًا ٢٥٧

٣١٥ - باب تغليظ اليمين الكاذبة عمدًا ٢٦١

٣١٦ - باب ندب من حلف عَلَى يَمينٍ فرأى غيرها خيرًا مِنْهَا أَنْ يفعل ذَلِكَ المحلوف عَلَيْهِ ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه ٢٦٦

٣١٧ - باب العفو عن لغو اليمين وأنَّه لا كفارة فِيهِ، وَهُوَ مَا يجري عَلَى اللسان بغير قصد اليمين كقوله عَلَى العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ ٢٦٨

٣١٨ - باب كراهة الحلف في البيع وإِنْ كان صادقًا ٢٧٠

٣١٩ - باب كراهة أَنْ يسأل الإنسان بوجه الله عَزَّوَجَلَّ غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به ٢٧١

٣٢٠ - باب تحريم قوله: شاهنشاه للسلطان وغيره لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٢٧٤

٣٢١ - باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بِسَيِّد ونحوه ٢٧٥
٣٢٢ - باب كراهة سب الحمّى ٢٧٦
٣٢٣ - باب النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها ٢٧٨
٣٢٤ - باب كراهة سب الديك ٢٨١
٣٢٥ - باب النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوء كذا ٢٨٢
٣٢٦ - باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر ٢٨٤
٣٢٧ - باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان ٢٨٥
٣٢٨ - باب كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم ٢٨٧
٣٢٩ - باب كراهة قوله: خَبُثَتْ نَفْسي ٢٩٠
٣٣٠ - باب كراهة تسمية العنب كرمًا ٢٩١
٣٣١ - باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلاَّ أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه ٢٩٢
٣٣٢ - باب كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ، بل يجزم بالطلب ٢٩٥
٣٣٣ - باب كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان ٢٩٦
٣٣٤ - باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة ٢٩٦
٣٣٥ - باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إِذَا دعاها ولم يكن لَهَا عذر شرعي ٢٩٩
٣٣٦ - باب تحريم صوم المرأة تطوعًا وزوجها حاضر إِلاَّ بإذنه ٣٠٠
٣٣٧ - باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أَو السجود قبل الإمام ... ٣٠١

٣٣٨ - باب كراهة وضع اليد عَلَى الخاصرة في الصلاة..... ٣٠٢

٣٣٩ - باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أَوْ مَعَ مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط ٣٠٣

٣٤٠ - باب النهي عن رفع البصر إِلَى السماء في الصلاة..... ٣٠٤

٣٤١ - باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر..... ٣٠٥

٣٤٢ - باب النهي عن الصلاة إِلَى القبور ٣٠٦

٣٤٣ - باب تحريم المرور بَيْنَ يدي المصلِّي ٣٠٧

٣٤٤ - باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة، سواء كَانَتْ النافلة سنة تلك الصلاة أَوْ غيرها ٣٠٨

٣٤٥ - باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أَوْ ليلته بصلاة من بين الليالي ٣٠٩

٣٤٦ - باب تحريم الوصال في الصوم وَهُوَ أَنْ يصوم يَومَينِ أَوْ أكثر وَلَا يأكل وَلَا يشرب بينهما ٣١١

٣٤٧ - باب تحريم الجلوس عَلَى قبر ٣١٣

٣٤٨ - باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٣١٤

٣٤٩ - باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده..... ٣١٥

٣٥٠ - باب تحريم الشفاعة في الحدود..... ٣١٦

٣٥١ - باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلِّهم وموارد الماء ونحوها ٣١٩

٣٥٢ - باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد ٣٢٠

٣٥٣ - باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة..... ٣٢١

٣٥٤ - باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ٣٢٤

٣٥٥ - باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان، والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خطبته إلا أَنْ يأذن أو يردّ..... ٣٢٧

٣٥٦ - باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها ٣٣١

٣٥٧ - باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه، سواء كان جادًا أو مازحًا، والنهي عن تعاطي السيف مسلولا ٣٣٤

٣٥٨ - باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة ٣٣٦

٣٥٩ - باب كراهة رد الريحان لغير عذر..... ٣٣٧

٣٦٠ - باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه، وجوازه لمن أمِنَ ذلك في حقه ٣٣٨

٣٦١ - باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارًا منه وكراهة القدوم عليه ٣٤٢

٣٦٢ - باب التغليظ في تحريم السحر ٣٤٥

٣٦٣ - باب النهي عن المسافرة بالمصحف إِلَى بلاد الكفار إِذَا خيف وقوعه بأيدي العدوّ..... ٣٤٦

٣٦٤ - باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال ٣٤٧

٣٦٥ - باب تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا ٣٤٩

٣٦٦ - باب النهي عن صمت يوم إِلَى الليل ٣٥١

٣٦٧ – باب تحريم انتساب الإنسان إِلَى غير أَبيه وَتَولِّيه إِلَى غير مَواليه ٣٥٢

٣٦٨ – باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عَزَّوَجَلَّ أَو رسوله ﷺ عنه..... ٣٥٧

٣٦٩ – باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيًا عنه ٣٥٩

كتاب المنثورات والمُلَح ٣٦٢

٣٧٠ – باب أحاديث الدّجال وأشراط الساعة وغيرها ٣٦٢

كتاب الاستغفار..... ٤٣٥

٣٧١ – باب الأمر بالاستغفار وفضله..... ٤٣٧

٣٧٢ – باب بيان مَا أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة..... ٤٤٧

الفهرس ٤٦٣